محمد بن القاسم

في اليمن

تأليف

حياة محمد الحمد البسّام



الدّار السّعوديّة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات عن المؤلفة : -

الاسم : حياة محمد الحمد البسام .

مكان وتاريخ الميلاد : مكة المكرمة ، في **٢٤/ ٥/ ١٣٧٤هـ** الموافق **١٩٥٤م** .

الحياة العلمية : -

درست الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدارس الزهراء الأهلية بمكة المكرمة ثم التحقت بجامعة الملك عبد العزيز شطر مكة عام **١٣٩٤هـ** ، بكلية الشريعة قسم / التاريخ الاسلامي ، نالت درجة البكالوريوس في التاريخ الاسلامي عام **١٣٩٧هـ** ، بتقدير « جيد جداً » .

سافرت الى الولايات المتحدة لمدة عام ، ثم عادت وعينت معيدة في نفس القسم والتحقت بالدراسات العليا التاريخية عام **١٤٠٠هـ** .

نالت درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي الحديث عام **١٤٠٥هـ** ، بتقدير « ممتاز » على أطروحتها « الامام المؤيد محمد بن القاسم في اليمن - **٩٩٠هـ - ١٠٥٤هـ** ، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

تعمل حالياً محاضرة في نفس القسم ، **وتشغل** منصب / وكيلة العميد لشؤون الاسكان والتغذية .

سجلت لرسالة الدكتوراة في نفس المجال .

حياة محمد الحمد البسّام

الإمام المؤيَّد بالله

محمّد بن القاسم

تأليف

في اليمن

٩٩٠هـ - ١٠٥٤هـ

الدّار السّعوديّة
للنشر والتوزيع

مقدّمة

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وحبيبنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم ، وعلى من سار على هديهم إلى يوم الدين .

بفضل اللَّه ومنّته وكرمه ، فقد أعانني سبحانه وساعدني على القيام بهذا العمل العلمي الذي ارجو ان تكون فيه الفائدة للمطّلع عليه وأن يهبني اللَّه الخير والجزاء عليه .

لقد كان اختياري لهذا الموضوع بمحض المصادفة ولم يكن هناك اعداد مسبق له ، فقد رغبت في بداية الأمر أن تكون اطروحتي المكملة لدرجة الماجستير عن شيخ الإسلام ابن تيمية، تلك الشخصية الفذة التي قل أن يجود الدهر بمثلها ، ولكن مجلس القسم عارض في ذلك لأن هذا الموضوع قد سبقتني إليه إحدى الزميلات في قسم التاريخ لذا أشار عليَّ مشرفي سعادة **الدكتور عبد اللَّه الحيد بأن يكون موضوع الاطروحة عن الإمام المؤيد باللَّه** محمد بن القاسم من عام ٩٩٠هـ/١٠٥٤ هـ . ففي البداية ترددت في أن أعمل في هذا الموضوع لعدة أسباب أولها : انني لا أعرف شيئاً عن هذه الشخصية ، وليس لدي خلفية عنها ، ثانياً ندرة المصادر في مثل هذه المواضيع ، ثالثاً : انحصار هذه المعلومات في المخطوطات التي يندر الحصول عليها وخاصة لتفرقها في مكتبات العالم .

لكنني بعد أن قرأت عنه نبذة تاريخية مختصرة كتبها المؤلف الحبشي في كتابه حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، وعرفت ما لهذه الشخصية من أهمية تاريخية اهملتها غالبية كتب التاريخ الحديث ، ولم تفرد لها بحثاً كأي شخصية تاريخية أخرى ذات أهمية ، كذلك عرفت عن طريق استاذي الدكتور عبد اللّٰه الحبيد ان المؤلف الوحيد الذي أفرد له بحثاً هو المطهر الجرموزي وسمي هذا المؤلف « **الجوهرة المضيئة في تاريخ الخلافة المؤيدية** » ، وعلمت ان هذا المؤلف لم يكن قد حقق حتى يصبح في متناول ايدي الباحثين ، بل لم يزل مخطوطة ، ونحن نعرف مدى الصعوبة في التوصل إلى مثل هذا النوع من الكتب ، أما باقي المؤلفين فأجملوه في مؤلفاتهم مع من ذكروهم سواء كانت كتبهم حوليات ، أم تراجم وهي الأخرى لم تزل مخطوطة في المكتبات العالمية .

أما المؤلفون المعاصرون فإن ذكروه فإنهم يجملونه في كلمات قليلة لا تتعدى الورقة الواحدة ، والمعروف أن الإجمال والاختصار لا يفيد القارىء ، ولا يمده بالمادة العلمية الكاملة وإن مثل هذه الشخصية يجب إفراد دراسة خاصة لها لما لها من أهمية تاريخية كبيرة ، فهو يعتبر المؤسس الأول لحكم الزيدية في اليمن ، وهو الذي وحد اليمن ، تحت لوائه بعد أن كانت تحكمه حكومات متعددة ، فقد بدأ والده الإمام القاسم هذا العمل ولكن يد المنون لم تمهله لإكماله فأخذ الرسالة من بعده ابنه الإمام المؤيد الذي كرّس جل حياته لتحقيق هذا الهدف ألا وهو توحيد اليمن تحت حكومة واحدة مستقلة . لذا فمنذ توليه الحكم وهو يسعى لبسط جناح سلطانه على البلاد حتى تم له ذلك في سنة ١٠٤٦هـ. ولهذا فقد أردت أن تكون رسالتي عن هذه الشخصية العظيمة التي اهملتها غالبية الكتب التاريخية الحديثة . وإن ورد ذكرها في بعض مؤلفات المؤرخين اليمنيين فإنهم يسردون احداث عهده على طريقة الحوليات وقد أهملوا تفصيل الكثير من جوانب حكمه فإن الكثير من هذه المؤلفات أهملت وبشكل ملحوظ الجانب الحضاري في البلاد وصبت كل اهتمامها على الجانب السياسي وهذا ربما يكون إجحافاً في حق هذه

ذكرناها في هذا الفصل لكن هذه المعاهدة نقضت ، وادى نقضها إلى إشعال نار الحرب بين الطرفين وحمل السلاح كل فرد من أفراد الشعب واندلعت نيران الحرب في كل جانب من جوانب البلاد ، ولم تهدأ هذه الثورة إلا في سنة ١٠٤٥هـ. بخروج آخر الباشوات من آل عثمان وهو الباشا قانصوه ، وتوحيد البلاد تحت لواء الأئمة الزيدية لأول مرة .

أما الفصل الثالث فقد عرضت فيه العلاقات الخارجية لهذه الدولة وقد اشتمل الفصل على عرض للخطابات المتبادلة بين الإمام المؤيد والدول الخارجية كذلك كانت له علاقات ودّ ومحبة مع الدول المجاورة له ، ولم يقتصر الفصل على علاقات الإمام المؤيد ،الودية بين الدول المجاورة ، فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى ذكر العلاقات غير الحسنة بينه وبين بعض رؤساء الدول مثل علاقته بالدولة الكثيرية في حضرموت ، والسيد العلّامة زين العابدين العيدروس والسيد الحسين بن أبي بكر .

وقد اشتمل الفصل على فقرات مختارة من بعض الرسائل التي بعث بها الإمام إلى ملوك وامراء الدول مثل الحبشة ، والهند ، والمغرب وأشراف الحجاز وغيرهم . وقد تبين من خلال ذلك مدى أهمية هذه الدولة الفتية وما لها من هيبة في نفوس جيرانها .

أما الفصل الرابع فهو دراسة تاريخية شاملة للإصلاحات التي قام بها الإمام في دولته . وقد قسمت الفصل إلى ثلاث نقاط وهي : النقطة الأولى وتشتمل اصلاحاته العلمية ، وتناولت بالدراسة أهم أعماله العلمية من تأليف وفتح دور للعلم وغيرها من الإصلاحات العلمية .

أما النقطة الثانية فقد خصصتها لإصلاحاته الادارية . مثل تولية الولاة على المناطق ، والتقسيمات الادارية لها ، وتأمين البلاد .

أما النقطة الثالثة فقد اشتملت على اصلاحاته العمرانية مثل بناء المدن والحصون، والقلاع ، والمدرجات ، وحفر الترع وتوصيل القنوات لها حتى ازدهرت الزراعة فيها ، وكثرت الخيرات .

الشخصية التي عملت الكثير من اجل البناء والتعمير ولم تفضل جانباً على جانب .

لهذا فقد حرصت ان يكون بحثي شاملاً لكل جانب من جوانب حكم الإمام وان تكون المعلومات موثقة ، وقد استمددت المعلومات من المصادر التاريخية المعاصرة له . وكذلك المراجع المتأخرة والتي كتبت عنه بعد أعوام من وفاته . وقد حرصنا في هذا البحث على الالتزام بأسلوب النقد العلمي ، وتحليل بعض المعلومات ، والاستنتاج المبني على النصوص المعتمدة .

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد واربعة فصول وخاتمة ، وقد تضمنت المقدمة كيفية اختيار الرسالة ، وتحليلاً لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الرسالة ، واهم الصعوبات التي واجهتني في كتابتها .

واحتوى التمهيد على دراسة جغرافية موجزة عن بلاد اليمن ، ودراسة تاريخية موجزة عن تاريخه منذ القدم ، ومن ثم إشارة موجزة عن الإمام القاسم المؤسس الأول لهذه الدولة الفتية ، ولم أطل الحديث لأن زميلة قد تناولته بالبحث والدراسة .

أما الفصل الأول فيشتمل على دراسة تاريخية مفصلة عن حياة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم منذ توليه الحكم، إلى وفاته، وقد تطرقت في هذا الفصل إلى تربيته ونشأته وأهم الأعمال التي مارسها قبل توليه القيادة ، ثم انتقلت إلى حياته السياسية بعد توليه زمام الحكم وأهم الأحداث فيها ، وإشارة موجزة عن علاقته بالدولة العثمانية ، ثم ثورة ابن أخيه أحمد بن الحسن وكيف استطاع إخماد جميع الثورات وفي نهاية الفصل تطرقت إلى وفاته رحمه الله .

أما الفصل الثاني فقد خصصته لذكر علاقة الامام المؤيد بالله بالدولة العثمانية الحاكمة للبلاد في تلك الفترة ، وقد اشتمل هذا الفصل على المعاهدات التي عقدت بين الإمام القاسم وبين الباشوات العثمانيين والتي استمرت إلى عصر ابنه الإمام المؤيد الذي حاول الإبقاء عليها ، لاسباب

أما الخاتمة فهي استعراض موجز لأهم النتائج التي توصل اليها البحث أما من ناحية المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي فقد كان اعتمادي الكلي والأساسي على المخطوطات فقد اعتمدت على هذا النوع في جمع معلومات البحث وذلك لندرة المصادر ، كذلك لما لهذه المخطوطات من أهمية تاريخية وذلك لمعاصرتها للأحداث ، ولكن يجب علينا عند أخذ أي معلومة منها أن نلزم جانب الحياد لعدة أسباب .

أولاً : ان هذه المخطوطات كتبت من قبل مؤلفين كانوا معاصرين لهذه الأحداث ، وبعضهم تولى مناصب مهمة في الدولة فربما مالت بهم الأهواء إلى مجاملة الإمام والوقوف في صفه ، وتجاهل اخطائه أو نسبتها إلى غيره أما حباً له أو خوفاً منه .

ثانياً : يجب أن تكون الكتابة التاريخية معتدلة خالية من الاهواء والميل والمجاملة لطرف من الاطراف .

ولكن هنا يجب علينا ان لا ننكر ما لهذه المخطوطات من فائدة علمية تعود على الباحث العادل المقارن للاحداث ، وذلك لأنها تنقل لنا الأحداث كما حدثت ، وأقول كما سبق ربما لا تخلو من الميل ولكنها تفصِّل لنا الحدث كما وقع . فمثلاً نجد بعض المعلومات في هذه المخطوطات تنقل واقعة بين الإمام والاتراك فنجد أن المؤرخ المعاصر ينقلها كما حدثت ولكنه يورد قوله «الأروام أهلكهم اللّه» أو «الكفرة» أو «الظلمة» ونحن نعرف أن الدولة العثمانية دولة مسلمة ، وانه لا يجوز تكفير المسلم ، ولكن هذه المخطوطات افادتني في بحثي هذا إفادة كبيرة لأنها أولاً : معاصرة للأحداث كما سبق . ثانياً : انها أخذت الأحداث عن طريق المشافهة والمشاهدة .

وأهم المخطوطات التي اعتمدت عليها في بحثي هذا هي :

مخطوطة «**الجوهرة المضيئة**» للمطهر بن محمد الجرموزي الذي كان متولياً على بلاد عُتُمة في عهد الإمام المؤيد باللّه ، كما كان مستشاراً له وهذه المخطوطة أفردها للإمام المؤيد منذ ولادته حتى وفاته وقد احتوت على أهم

صفات الإمام . وعن تربيته وعلومه التي نبغ فيها ، ثم عن توليه زمام الحكم وأهم الأحداث السياسية التي حدثت في هذه الفترة سواء كانت داخلية أم خارجية كذلك شملت هذه المخطوطة بعض الرسائل التي بعث بها الإمام لرؤساء جيشه في الداخل والرسائل التي بعثها إلى ملوك ورؤساء الدول الخارجية ، وتضمنت هذه المخطوطة احداثاً ومعلومات كثيرة ، وتعتبر هذه الموسوعة الوحيدة التي شملت احداث هذه الفترة ، فقد تعدت صفحاتها الخمسمائة والتي انهاها بوفاة الإمام المؤيد وتولى الإمام المتوكل لزمام الأمور في اليمن . وتعتبر هذه النسخة من الموسوعة هي المسودة التي كتبها الجرموزي[1] .

أما المخطوطة الثانية للجرموزي فهي «**النبذة المشيرة**» والتي خصها بذكر الإمام المنصور القاسم بن محمد . فقد تكلم فيها عن الإمام القاسم ، نشأته ، تربيته ، أهم علومه التي نبغ فيها ، وأهم الأحداث في تلك الفترة ، وهي على طريقة «**الجوهرة المضيئة**» .

أما المخطوطة الثالثة فهي مخطوطة يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ١١٠٠ هـ . وهي « **أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن** » اختصرت هذه المخطوطة في كتاب « **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** » ولكن أجزاء المخطوطة لم تكتمل في هذا الكتاب ، وكان لا بد للقارىء أو الباحث أن يعود إلى المخطوطة نفسها وهي عبارة عن حوليات ذكر فيها الأحداث حسب ترتيبها الزمني .

أما المخطوطة الرابعة فهي « **روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح** » لمؤلفها عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين اليماني الكوكباني المتوفي عام ١٠٤٨ هـ .

---

(١) الحبيد ، عبد الله بن حامد «المطهر الجرموزي ومؤلفاته عن الدولة القاسمية» مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٥٨ ـ ٦٩ جـ ٢ من الكتاب الأول الرياض ، ١٣٩٩هـ.

وقد اتبع في كتابه هذا طريقة الحوليات . وقد غلب عليه طابع الميل إلى آل القاسم كعادة المؤلفين اليمنيين الذين كتبوا عن هذه الفترة ، وكانت هذه المخطوطة عبارة عن ثلاثة أجزاء ، وقد اكمل الجزء الأخير ابنه صلاح وقد بدأه من سنة ١٠٢٩ هـ وأنهاه في سنة ١٠٦٧ هـ .

واكتفي بهذا القدر من المخطوطات لأن غالبيتها تتبع نفس الطريقة وهي طريقة الحوليات ، ما عدا الجرموزي الذي كان يفرد لكل شخصية كتاباً خاصاً .

أما عن أهم الصعوبات التي واجهتني اثناء كتابة هذا البحث فأهمها ندرة المصادر التي تتكلم عن هذه الشخصية واقتصارها على المخطوطات المتفرقة في أنحاء العالم ، ولولا مساعدة اللّه ثم الدكتور المشرف على رسالتي سعادة الدكتور عبد اللّه الحميد الذي أمدني بكل ما احتاجه من هذه المخطوطات لما استطعت أن أُخرج أو أُنجز هذا العمل العلمي .

كذلك اتفق مع ما ذكرت الأخت الزميلة أُميرة مداح في أن المخطوطات كانت رديئة الخط ، وأحياناً تكون قد بليت بعض أوراقها مما يجعل أخذ بعض المعلومات منها صعباً جداً ، كذلك في كثير منها نجد نقصاً في أوراقها وهذا أفقدها التسلسل التاريخي هذا بالإضافة إلى رداءة الخط، وصعوبة الاسلوب الذي كتبت به هذه المخطوطات مما يجعل الباحث في هذا المجال يواجه مشكلات جمة. هذا بعض ما واجهت من صعوبات خلال كتابتي لهذا العمل العلمي ، ولكن كل هذه الصعوبات تهون وتقل في نظر الباحث عندما يشعر أنه أنجز عملاً تاريخياً ستكون له الفائدة الكبيرة بإذن اللّه .

وهنا لا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بأجل آيات الشكر والامتنان إلى كل من مد لي يد التعاون لإنجاز هذه الاطروحة وأخص بالشكر والتقدير أُستاذي الجليل المشرف على رسالتي سعادة الدكتور عبد اللّه بن حامد الحميد الذي لم يدخر جهداً في مدي بالمعلومات والكتب والمخطوطات والنصح والإرشاد حتى استطعت أن أتمم هذا العمل، كذلك أخص بالشكر والتقدير

سعادة الدكتور عبد العزيز محمد الزيد عميد المكتبات الذي أمدني بما لديه من كتب أفادتني في رسالتي ، ولا أنسى أن أشكر سعادة الدكتور شرف الشريف عميد شؤون الطلاب الذي وفّر لي الوقت لكتابة هذه الرسالة .

كذلك أتقدم بالشكر والتقدير لكل من مد لي يد العون والمساعدة سواء من داخل الجامعة أو من خارجها .

وأسأل اللّه العلي القدير أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه تعالى ، وأن يوفقنا ويسدد خطانا ويكتب لنا الأجر الجزيل والصلاة والسلام على سيدنا وسيد المرسلين محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

الطالبة

حياة محمد الحمد البسام

مكة المكرمة

تمهيد

أ - دراسة جغرافيّة لبلَاد اليمَن .
ب - نبذة عن تاريخ اليمن منذ القِدَم .

يجب علينا قبل الدخول في تفاصيل هذه الرسالة وأن نتعرف على البلاد التي دارت فيها أحداث هذا الموضوع وهي بلاد اليمن، فمثلاً موقعها الجغرافي، وأهميتها التاريخية منذ القدم ، وأهم المذاهب المنتشرة في هذا القطر .

فمنذ أقدم العصور كانت هذه البلاد تعرف باسم اليمن السعيد ، وإطلاق هذا المسمى عليها دلالة واضحة على أن هذه البلاد كانت تنعم بالخير الوفير والبركة والرخاء التي منّ اللّه بها عليها ، إضافة إلى ذلك عرفت هذه البلاد أيضاً باسم اليمن الخضراء ، وسميت بهذا الإسم نسبة إلى ما كانت تمتاز به هذه البلاد من اخضرار اراضيها وأنها ذات أشجار كثيفة[1] .

موقعها الجغرافي :

تقع في جنوب الجزيرة العربية وتحدها شمالاً منطقة عسير وجنوباً البحر

---

(١) شرف الدين، أحمد حسين، **اليمن عبر التاريخ** ، ص ١٤/ ١٥، الطبعة الثالثة ، الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

العربي ، وشرقاً الخليج العربي ، وغرباً البحر الأحمر ، ويطل اليمن على مضيق هام هو مضيق باب المندب ، ويتضح لنا أن اليمن بموقعه الهام أصبح يتحكم في التجارة العابرة من الشرق إلى الغرب والعكس(٢) .

وتقدر مساحته بحوالي ١٩٩,٠٠٠ ميل٢ ، ويقدر عدد سكانه في الوقت الحالي قرابة الاحدى عشر مليون نسمة .

أما تقسيمه الاداري : فهو ينقسم إلى عدة ألوية هامة هي :

أ - لواء صنعاء ويضم قضاء عمران ، قضاء الجوف ، وقضاء حوث ، وقضاء المحويت ، وقضاء ريحة .

ب - لواء الحديدة ويضم قضاء الحديدة ، قضاء باجل ، وقضاء بيت الفقيه ، قضاء الزيدية ، قضاء اللّحية ، قضاء ميدي .

جـ - لواء ذمار ويضم قضاء رداع ، وقضاء ذمار .

د - لواء تعز ويضم قضاء تعز ، قضاء المخا ، وقضاء الحجرية وقضاء ماوية .

هـ - لواء صعدة ويضم قضاء صعدة ، وقضاء جماعة ، وقضاء همدان ، وقضاء رازح وقضاء خولان بني عامر .

و - لواء حجة ويضم قضاء حجة ، وقضاء الأهنوم ، وقضاء وشحة ، وقضاء الشرفين .

ولكل لواء من هذه الألوية الستة أهمية عظيمة وتاريخ عريق(٣) . ولليمن موانىء ذات أهمية كبيرة مثل ميناء المخا ، والصليف وأهم جزرها كمران ، وحنش ، وفرسان .

أما طبيعة بلاد اليمن فهي تنقسم إلى قسمين طبيعيين هما :

---

(٢) كحالة، عمر رضا، **جغرافية شبه جزيرة العرب** ، ص ٢٥٠ الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، شرف الدين، أحمد حسين، **اليمن عبر التاريخ** ، ص ١٤ .

(٣) كحالة، عمر رضا، **جغرافية شبه جزيرة العرب** ، ص ٢٥١ .

أ ـ منطقة تهامة وهي ذات مناخ حار ، وتمتاز هذه المنطقة بخصوبة أرضها ، وغزارة مياهها .

ب ـ المنطقة الجبلية الآهلة بالسكان ذات مناخ صحي معتدل .

أما عن ثرواتها ، فهي غنية بالثروات الزراعية ، والحيوانية والمعدنية ، وتحتل الزراعة المكانة الأولى في صادرات اليمن ويعود ذلك لطبيعة أرضها .

أما أهم هذه الصادرات فهي القمح والشعير ، والذرة ، والدخن والعدس والحمص ، كذلك اشتهرت بزراعة البن والقطن والقات(٤) .

أما الثروة الحيوانية أهمها الخيول العربية الأصيلة. أما عن الثروة المعدنية فقد كشفت عمليات التنقيب عن بعض المعادن ، وهذا ليس بجديد على اليمن ففي السابق استخرج من أرضها ثروات عظيمة مثل الذهب الحميري ، والحديد الصعدي والرصاص والنحاس ، كذلك الملح الذي يحتوي على نسبة من كلوريد الصوديوم ، وهذه دلالة واضحة على أن بلاد اليمن ليست بالمادة التاريخية فحسب بل غنية بثرواتها الطبيعية(٥) .

أما عن أهميتها التاريخية فيشهد بذلك التاريخ منذ عصوره الأولى وتشهد على ذلك الآثار والنقوش التي أمدتنا وما تزال تمدنا بالمعلومات الهامة عن هذا الوطن ، إذن فإن اليمن منذ أقدم العصور له حضارات وتاريخ عريق ترك طابعه واضحاً على صفحات التاريخ الإسلامي ، فقد ورد ذكر بلاد اليمن في القرآن الكريم . بأن أقدم أمة في التاريخ هي أمة عاد، وروى القرآن الكريم مدى التقدم الحضاري والمعماري الذي وصلت إليه حين قال جلّ وعلا : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾(٦) صدق

---

(٤) الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ، **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن** ، ص ٤٣ . الطبعة الثالثة ، اليمن ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، شرف الدين، أحمد، **اليمن عبر التاريخ** ، ص ٥١ .

(٥) كحالة، عمر ، **جغرافية شبه جزيرة العرب** ، ص ٢٥١ .

(٦) سورة الفجر آية ٦ ، ٧ ، ٨ .

اللَّه العـظيم . وهذا أكبـر دليل على تقـدم هذه الأمـة منذ عصـور مـوغلة في القدم[٧] .

كذلك يجب أن نتعرف ولو بشكل موجـز عن أهم الممالـك اليمنية في تلك الفترة من الزمن وأهمها مملكة معين التي كان لها من العظمة والمجد ما يضاهي أكبر الممالك فقد تأسست هذه المملكة في القـرن الرابـع عشر قبـل الميلاد ، وانتهت بقيام مملكة سبأ سنة ٨٥٠ ق . م .

مملكة سبأ التي تعتبر من أعظم الممالك في تلك الحقبة التاريخية من أهم أعمـالها وأعـظمها سـد مأرب العـظيم الذي يعتبـر مفخرة عـظيمة لهـذه الدولة ، أما عن أسباب تسميتها بهذا الاسم، فهذا يعود إلى مؤسسهـا سبأ بن يشجب بن يعرب ، وقد قامت هذه المملكـة منذ عـام ٨٥٠ ق . م واستمرت حتى عام ١١٥ ق . م حيث قضت عليها المملكة الحجريـة ، ثم قامت على أنقاض هذه الدولة دولة أخرى هي دولة زيدان[٨] .

أما مملكة حضرموت التي تأسست سنة ١٠٢٠ ق . م فلها تاريخ عظيم خلد ذكرها ، وهنا لا نستطيع الاسهاب في هذا المجال حتى لا يؤدي بنا إلى الخروج عن الموضوع ، ولكن هذه العجالة الموجزة تؤكد ما لهـذا القطر من تاريخ مجيد منذ أقدم العصور[٩] .

وبعـد هذا المـوجز عن أهم الممـالك اليمنيـة يجب التعرف على أهم المـذاهب المنتشرة في اليمن . فهناك مذهبـان رئيسيان بـالإضـافـة إلى بـاقي المذاهب الأخرى وهما :

المـذهب الشافعي وهـو المـذهب الأول في كثـرة المنتمين إليـه ، ثم المذهب الزيدي والذي تنتمي إليه أكثر الأسر الحاكمـة في اليمن منذ القـدم حتى يومنا هذا .

---

(٧) شرف الدين، **اليمن عبر التاريخ** ، ص ١٦ .

(٨) الواسعي ، **فرجة الهموم**، ص ١٦ ، شرف الدين ، **اليمن عبر التاريخ** ، ص ١٦ .

(٩) الواسعي ، **فرجة الهموم** ، ص ١٦ .

المذهب الشافعي ويعتنقه غالبية أهل اليمن ، فلقد انتشر هذا المذهب في حوالي القرن الثالث الهجري بعد أن ذهب الإمام الشافعي إلى هناك وأخذ في نشر مبادئه ، ثم تولى هذه العملية من بعده الشيخ الحافظ موسى بن عمران ، ومن بعده عبد العزيز بن يحيى بن حزازة وهو أحد تلاميذ الإمام الشافعي وكان هذا المذهب يعتبر المذهب الأول في اليمن لأن اتباعه يعتبرون غالبية السكان(١٠) .

ويأتي بعد ذلك المذهب الزيدي الذي اعتنقه غالبية الأئمة في اليمن وخاصة أئمة آل القاسم ، أما عن كيفية انتشاره في اليمن فقد كان ذلك على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في أواخر القرن الثالث الهجري ، وقد سمي بالمذهب الزيدي نسبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين الذي ولد سنة ٨٠ هـ وتربى ، وتتلمذ في الأصول على يد واصل بن عطاء ، كما سافر إلى العراق عدة مرات ، وكان الهدف من زيارته هذه الالتقاء بالشيعة هناك ، ولكن البعض نقل إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أن زيداً يريد من هذه الزيارات الخلافة لنفسه لذلك أمر عامله على العراق يوسف بن عمر الثقفي أن يخرجه ، فامتثل زيد للأمر وغادر البلاد(١١) .

وبعد خروجه من العراق أتته طائفة من أتباعه وقالوا له : تبرأ من الشيخين أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنهما ، فرفض هذا وانكره عليهم فقالوا له : «إذن نرفضك» فقال : «اذهبوا فانتم الرافضة» أما الذين اتبعوه

---

(١٠) **صبحي** ، أحمد محمود، **الزيدية** ، جـ ١ ، المجلد الثاني من علم الكلام ص ٦١/ ٦٢ . مكان الطبع بدون ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ،أحمد أمين،**ضحى الإسلام** ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ . الطبعة العاشرة ، بيروت ، بدون تاريخ ، أبو زهرة ، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، جـ ١ في السياسة والعقائد ، ص ٤٩ مكان الطبع بدون ، التاريخ بدون .

(١١) الإمام زيد ، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، **مسند الإمام زيد** ، ص ١١ ، الطبعة الأولى ، لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م . أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٧/ ٤٨ ، الشهرستاني ، **الملل والنحل** . ص ١٥١ ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٧٧م .

واعترفوا بإمامة الشيخين فسمي بالزيدية نسبة إليه[١٢] .

أما عن انتشار مذهب الزيدية في اليمن فقد انتشر هذا المذهب عام ٢٨٨ هـ على يد الإمام الهادي أبو الحسن يحيى بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي طالب ، ولد عام ٢٤٥ هـ . بالمدينة المنورة وتربى تربية علمية ، فكان عالماً ، متحدثاً متفقهاً ، عاش في مدينة الرس وقد خطب له بالإمامة في مكة المكرمة وقد دعاه أهل اليمن عند معرفتهم بعلمه فأجابهم لطلبهم وذهب إلى صعدة ونجران في عام ٢٨٠ هـ . ثم دخل مدينة صنعاء بمساعدة عاملها من قبل الدولة العباسية ويدعى أبو العناهسة ، ولكن أهلها لم يطيعوه ، وتمردوا عليه بعد أن حرم عليهم بعض العادات التي كانت منتشرة بينهم وهي من عادات الجاهلية التي انكرها الإسلام وقام بفرض الزكاة عليهم ، لكنه عندما وجد تمردهم في ازدياد قرر العودة إلى الحجاز[١٣] .

وبعد أن رحل عن اليمن ندم أهلها على عملهم هذا ونتج عن ذلك ازدياد الصراع بينهم وتفرق شملهم ، فقرروا دعوته مرة اخرى ، فعاد إلى اليمن في عام ٢٨٨ هـ . وهنا اختاروه إماماً عليهم ، لما رأوا فيه من الصفات الحميدة . فخطب له على المنابر ، ثم أخذ في إرسال الولاة إلى المخاليف ونشر الأمن في البلاد غير أن بعض القبائل اليمنية خرجت بعد ان انكر عليهم بعض الأعمال ، لكنه استطاع الانتصار عليهم .

وقد توفي الإمام يحيى مسموماً في سنة **٢٩٨**هـ . ودفن في صعدة بعد أن نشر المذهب الزيدي بين ارجاء البلاد فكان رحمه الله داعية إسلامياً أخذ

---

(١٢) الإمام زيد ، مسند الإمام زيد ، ص ١١ ، أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، جـ ٣ ، ص ٢٧ .

(١٣) الصبحي ، **الزيدية** ، ص ١٦٠ .

صعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً ، وهي مدينة عامرة بأهلها يقصدها التجار من كل بلد ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ، **معجم البلدان** ، جـ ٣ ، ص ٤٠٦ ، بدون طبعة ، لبنان ، بدون تاريخ .

نجران : في مخاليف اليمن من ناحية مكة ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .

يدعو إلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومن تعاليمه انه اشترط اربعة شروط إذا توفرت في الشخص حقت له الإمامة وهي :

١ ـ الحكم بكتاب اللّٰه وسنة نبيه .
٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٣ ـ ان يؤثر اتباعه على نفسه فلا يتفضل عليهم وان يقدمهم عند العطاء قبله .

٤ ـ ان يتقدم عند لقاء عدوه وعدوهم .

وقد انقسمت هذه الفرقة بعد ذلك إلى ثلاث فرق هي : الجارودية ، والسليمانية ، والبترية ، وتجمع هذه الفرق الثلاثة بالاعتراف بإمامة زيد بن علي ، كذلك فإن المذهب الزيدي يعتبر خامس المذاهب الإسلامية وأقربها إلى تعاليم أهل السنة والجماعة(١٤) .

وقبل الدخول في موضوعنا الأساسي لهذا البحث يجب علينا وقبل ذلك التطرق ولو بنبذة موجزة عن مؤسس هذه الدولة أو واضع قواعدها الإمام المنصور باللّٰه القاسم .

يعتبر الإمام المنصور باللّٰه القاسم بن محمد بن علي شخصية عظيمة لها دور فعّال في تسيير وجه التاريخ في اليمن في تلك الحقبة الزمنية .

ولد رحمه اللّٰه سنة ٩٦٧ هـ . بالشاهل من بلاد الشرف وتربى تربية علمية ودينية وحربية حتى كان ذا شخصية فريدة فقد تلقى علومه على أيدي

---

(١٤) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، ت ٤٢٩هـ **الفرق بين الفرق** ، ص ٢٢ ، مكان الطبع بدون ، لبنان ، بدون تاريخ ، أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٩ ، أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣ ، الصبحي ، **الزيدية** ، ص ١٦٠ ، غالب ، محمد ، **اليمن** ، ص ٥٧ ، الطبعة الثانية بيروت ، ١٩٦٦م .
صنعاء : كان اسمها في القديم «أزال» فلما رأى أهل الحبشة المدينة وجدوها مبنية بالحجارة وهي مدينة حصينة فقالوا هذه صنعة ، ومعناها حصينة فسميت صنعاء ، وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً وهي قصبة اليمن وأحسن بلادها ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ٣ ، ص ٤٢٦ .

أعـظم علماء اليمن في ذلـك الوقت ونبـغ بتلك العلوم وكان سـريع الفهم ، وتعلم فنون القتال على يد والده محمد بن علي الذي كان ينتسب إلى عسكر المطهر بن شرف الدين(١٥) .

أخذ الإمام القاسم يدعو لنفسه بالإمامة في عام ١٠٠٦ هـ ، وذلـك في منطقة جبل قارة ، ولعدم استقرار الأوضـاع هناك فقـد بدأ دعـوته منتهـزاً هذه الفرصة ، فتجمع حوله عدد من الانفار قدروا بنحو أربعمائة فرد ، لكنه اصطدم هناك بالوالي من قبل الدولة العثمانية المدعو الأمير حسين بن ناصر .

وحينما سمع عنه الحاكم التركي في اليمن في ذلك الوقت الباشا حسن أعد العدة لمواجهته فدارت بين الطرفين معركة كان النصر في النهاية بجـانب الإمام القاسم،لكن الباشا لم يسلم بهذه الهزيمة فأرسل إليه جيشـاً بقيادة عبد اللّه بن المعاقي لردعه وإرجاعه عن ما كان ينويه ، فسارت هذه الفـرقة ، وألحقها الباشـا حسن بفرقـة أخرى بقيـادة عامـل وشحة ، وهنـا وجد الإمـام المنصور باللّه نفســه محاصـراً بأعـداد من الجنود تفـوقه بـالعدة والعـدد فأمـر أصحابه بالكف عن القتال كما أمرهم بالاجتماع في مكان حدده لهم . وفيما هم على اجتماعهم هذا باغتتهم القوات العثمانية فوقعت بين الطرفين معـركة كبيرة قتل فيها عدد كبير من أصحاب الإمام المنصور باللّه لكن الأخير استطاع أن ينجو بنفسه من الأسر وفر بعدد من جنده(١٦) .

بعد ذلك أخذ الإمام القاسم ينتقل من مكـان لآخر ليجمـع الأعوان من حوله ويقوي جنده حتى يستطيع أن يقف في وجه الدولة العثمانية ، ويحقق ما كان ينوي عمله ، وفعلاً قبل أن تنتهي السنة الأولى من ثورته استطاع أن يفتتح

---

(١٥) العقيلي ، محمـد بن أحمد عيسى ، **تـاريخ المخـلاف السليمـاني أو الجنـوب العـربي في التاريخ** ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م .

(١٦) الجـرموزي ، **النبـذة المشيرة إلى جمـل من عيون السيرة في أخبـار المنصـور بـاللّه رب العالمين القاسم بن محمد** ، ق ٤٧ أ ب المتحف البريطاني رقم ٣٣٢ . شرقي .
الشـوكاني ، محمـد بن علي ، ت ١٢٥٠ هــ . **البدر الـطالع بمحـاسن من بعد القـرن السابع** جـ ٢ ، ص ٤٨ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ .

العديد من المدن مثل الحيمة أو شاطب وحصن السودة ، وغيرها .

لكن الباشا حسن طلب النجدة من الدولة العثمانية فأرسلت لـه الأخيرة المساعدات من جند وعتاد ، فأستطاع محاصرة الإمام المنصور بالله بحصن شهارة ، لكن الأخير استطاع الفرار منه إلى جبال برط ، وفي خلال الحصار أسر أحد أبناء الإمام وهو الأمير محمد بن القاسم وغالبية أهله وسجنهم العثمانيون بحصن كوكبان(١٧) .

وبعد ذلك أخذت الدولة العثمانية بمطاردة الإمام القاسم وتضييق الخناق عليه لعله يسلم للسلطات العثمانية لكنه صمم على مواصلة الحرب فدارت بين الطرفين معارك كثيرة أهمها التي وقعت في عرة الأشمور وانتهت بـأسر الأميـر الحسن بن الإمـام القاسم الـذي بقي في السجن العثماني حتى ولايـة الامام المؤيد(١٨) .

وبعد ذلك عقدت بين الإمام القاسم والاتراك عدة معاهدات من خلالها اعترفت الدولة العثمانية بسلطة الإمام على ما تحت يده من مناطق ، وتعددت

---

(١٧) العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ .

الحِـمـة :من قرى الجنـد بـاليمن ، يـاقـوت الحمـوي ، **معجم البلدان** ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

شاطب : لقد ورد في يـاقوت الحمـوي شطب ولم يـورد شاطب وشـطب جبل في بـلاد اليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ .

حصن السودة : السودة تقع في القسم الأعلى من اليمن جنوب شرق جبل رازح ، يحيط بها عدة حصون . ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت ٩٤٤ ، **الفضل المزيد على بقيـة المستفيد في أخبـار زبيد** ، ص ١٩١ ، الـطبعة الأولى ، الكـويت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م . حصن شهارة من حصون صنعاء باليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٣ ص ٣٧٤ .

كوكبان : جبل قرب صنعاء وإليه يضاف شبام كوكبان ، وقصر كوكبان ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٤ ، ص ٤٩٤ .

(١٨) الحبشي ، محمد ، **حكام اليمن المؤلفون المجتهدون** ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

المعاهدات حتى كان آخرها المعاهدة التي عقدت بينه وبينهم في ولاية محمد باشا في عام ١٠٢٨هـ . وكانت مدتها عشر سنوات ، جاء فيها ان يتوقف القتال بين الطرفين خلالها ، لكن المنية لم تمهله فانتقل إلى جوار ربه سبحانه في عام ١٠٢٩ هـ . وتولى القيادة من بعده ابنه محمد بن القاسم الذي تلقب بالإمام المؤيد بالله والذي هو موضوع بحثنا والذي أكمل مسيرة والده في توحيد البلاد تحت إمرته[١٩] .

---

(١٩) الشوكاني، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٤٨ ، الحبشي، **حكام اليمن** ، ص ٢٣١ ، العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ .

الفصل الأول

الإمَـــام المؤيَّـــد

نشـــأته وولايـــته

أ - مولده ونشأته .

ب - توليه الحكم .

جـ - أهم الأحداث في عهده .

د - وفاتـه .

ولد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه لليلتين خلتا من شهر شعبان من سنة **٩٩٠هـ** . الموافق **١٥٨٢** في جبل شيران[١] .

نشأ وتربى في بيت علم وفقه تحت إشراف والده الإمام القاسم بن محمد ونخبة من علماء اليمن المشهورين بعلمهم وفقههم . فمن الطبيعي أن ينشأ نشأة دينية وعلمية .

فمنذ نعومة اظفاره وهو يتميز عن أقرانه بصفات كثيرة فكان كثير الاطلاع والقراءة في أغلب العلوم ، قليل اللعب واللهو ، لذا فهو يقضي جل وقته في المكتب يسترجع دروسه ويطلع على مؤلفات العلماء والمفكرين مما جعله يبرع في عدة علوم وتتوسع مداركه نتيجة للقراءة المستمرة ، فقد تمكن من

---

(١) الجرموزي ، المطهر بن محمد ، **الجوهرة المضيئة في تاريخ الخلافة المؤيدية** ، ق ٥ أ رقم ١٤٠ A.R ، الشرفي شمس الدين أحمد بن محمد بن صلاح ، **اللآلىء المضيئة، في أخبار أئمة الزيدية** ، جـ ٣ ، ق ٢٤ ت ، الامبروزيانا رقم ٢١٠١ ، ابن رشيد ، عامر بن محمد بن عبد اللّه بن عامر بن علي ، **بغية المريد وأنس الفريد إلى معرفة انتساب الأئمة الاعلام والسادة الكرام ذرية السيد الجليل علي بن رشيد وذكر من شايعهم من السادة الأعلام والشيعة الفضلاء** ، ق ٥٨ أ ، المتحف البريطاني بدون رقم .

الافتاء والتدريس وهو في سن الشباب(٢) .

اشتغل بالقضاء في عهد والده ، وكانت ترد عليه أصعب المسائل فيرد عليها من بديهته . فكان سريع البديهة ذا فطنةٍ ونباهة ، درس الكثير من العلوم في مكاتب اليمن ، وقد شرح الأساس بطريقة أُعجبت الكثير من معاصريه من علماء ، وفقهاء وأجمعوا على أنه قرأها أحسن من والده الإمام القاسم(٣) .

ألّف الكثير من الكتب التي تعتبر ثروة علمية وفقهية ، وقد زادت كتبه التي ألفها على المئات من أشهرها : المسائل والرسائل ، وتزكية الأخلاق ، وكتاب جواب سؤالات ، وغيرها كثير ، فلو جمعت جميعها لكونت ثروة علمية عظيمة. وقد اتصف الإمام بجانب العلم بصفات قل أن تجتمع في شخص واحد ومن هذه الصفات زهده وورعه ، فقد كان رحمه اللّٰه زاهداً في كل مباهج الدنيا فهو يعتبرها متاعاً زائلاً ، فكان يقضي أغلب وقته في قراءة القرآن والصلاة وإدارة أمور البلاد كذلك منعه ورعه وزهده أن يأخذ من المال إلا القليل الذي يسد حاجته ويقوى به على ضروريات الحياة ، فقد كانت تصله الأموال من النذور والعطايا فلا يأخذ منها سوى القليل ، ويدفع بالباقي لبيت

---

(٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٥ أ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، جـ ٣ ، ق ٢٤ ت ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٥٨ أ ، الجنداري صفي الدين أحمد بن عبد اللّٰه ، **الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز** ، ق ١٢٩ أ ، الجامع الكبير بضعفاء ، برقم الكتب المصادرة ، المحبي ، محمد بن الأمين ، **نفحة الريحانة ورسحة طلاء الحانة** ، جـ ٣ ، ص ٢٤٨ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ٢٠٥ / ٢٣٨ ، بانا، محمد مختار ، **التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية** ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م ، المحبي ، محمد ، **خلاصة الاشرفي أعيان القرن الحادي عشر** ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ ، بدون طبعة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام** ، جـ ٧ ، ص ٦ ، الطبعة الخامسة بيروت ، ١٩٨٠ م ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٧ .

الإمام القاسم هو والد الإمام المؤيد ويعتبر من أهم الشخصيات اليمنية حارب الأتراك من عام ١٠٠٦م حتى توفي سنة ١٠٢٨هـ. وتخللت سنين الحرب معاهدات أُبرمت بينه وبين العثمانيين وقد ورد له في التمهيد موجز تاريخي .

المال ، كما كان زاهداً أيضاً في مأكله ومشربه ، وملبسه ، ولم يرتد الملابس الفاخرة التي كان يرتديها أبناء زمانه، بل كان لبسه قميصاً ضيق الكم وعمامة واحدة حواشيها من القطن ، حتى قيل أن العامة يلبسون أفخر منه ويتباهون باقتناء الملابس الفخمة الغالية(٤) .

إضافة إلى ذلك اتصف بالشجاعة ، وثبات القلب خاصة في مقابلة الأعداء ، فإنه لا يهاب في اللّه لومة لائم ما دام على الحق ، وقد أثبت ذلك أيام حكم والده الإمام القاسم ، فقد أثبت أنه محارب شجاع مستعين بما وهبه اللّه من تركيب جسماني فريد فهو بقامته الفارعة ومناكبه العريضة يجعل كل من يراه في ساحة الوغى يخشى بأس ذلك الفارس الصنديد ، ولكنه في مجالس العلم والحديث كان يفيض طيبة ورقة تجللها غزارة علمه المتأصل في نفسه .

وكان رحمه اللّه لا يفرق بين طائفة وأخرى ، فإذا جالس علماء الزيدية كان واحداً منهم كذلك إذا جالس علماء الشافعية أو المالكية أو غيرهم من أصحاب المذاهب ، فإن كل طائفة من هذه الطوائف تعتبره منها(٥) .

ولم تقتصر هذه المعاملة على العلماء ، والفقهاء فقط ، بل تعدى ذلك إلى المؤلفة قلوبهم ، فإنه يبدد وحشتهم أنساً وعطاء ويكون لهم نعم الأخ والصديق لعلمه ما هم فيه من كرب وضيق وذلك لبعدهم عن الأهل والولد ، وأقرب مثال لذلك ما صنعه مع الأمير صفر التركي من حسن ضيافة ، وإكرام مما أنس الأمير في أسره(٦) .

---

(٤) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٧ أ ب ، ١٠ ب ، الجرموزي ، **الجوهرة المنيرة** ، ق ٨٧ أ ب ، ٨٨ أ ، بدون رقم وبدون مكان ، الكبسي بدر الدين محمد بن إسماعيل بن محمد ، **اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية** ، مكتبة محمد بن علي الأكوع الخاصة بتعز رقم ٢٣٦ .

(٥) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨ أ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٨٨ أ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢٢ ، ص ٢٣٨ .

(٦) المحبي ، **خلاصة الأثر** ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٤ أ .
الأمير صفر أحد أمراء وقادة الدولة العثمانية الذين حاربوا الإمام ووقع في الأسر بعد نقض الصلح سنة ١٠٣٦هـ ، الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٩ أ ب .

كذلك يتمثل حسن خلقه في معاملته للعامة فإنه يتفقد أهل الحاجات من الفقراء والمساكين ، ويقدم لهم العون من مأكل ومشرب وكسوة ، فقد كان واسع الصدر لا يضيق بهم ويتضح عظم ذلك في ملاطفته للصغير والكبير ، والغني والفقير والأرملة حتى أن من يراه يحسبه واحداً منهم[(٧)] .

إن أي إنسان تجتمع فيه هذه الصفات من الطبيعي أن يحظى بحب وتقدير جميع المحيطين به والمتعاقدين معه لذلك نرى انه حينما وافى الأجل المحتوم الإمام «القاسم بن محمد» في سنة **١٠٢٩هـ / ١٦١٩م** اجتمع السادة والأعيان والعلماء والفقهاء على اختيار خليفة للإمام لتسيير أمور البلاد والحفاظ عليها من أطماع الطامعين فيها فوضع المجتمعون في اعتبارهم أنه يجب أن تتوفر في الإمام المختار شروط الإمامة ومن أهمها النسب والعلم وهذه متوفرة في ولده محمد بن القاسم الذي يحظى بالإضافة إلى النسب والعلم بحب وتقدير الجميع ، وقد أجمع الحاضرون على اختياره إماماً للبلاد ، وتلقيبه بالمؤيد ، وبما أنه في ذلك الوقت كان مشغولاً بتجهيز والده والإشراف على مراسيم دفنه ، فأوكل إلى العلماء والفقهاء والسادة الأشراف مهمة اختيار خليفة آخر لوالده ليكون إماماً على البلاد ، وأكد لهم أنه سيكون أول المبايعين لمن يقع عليه اختيارهم ، وأبدى استعداده ، لتسليمه ما لديه من أموال بيت مال المسلمين ولكن الجميع بسطوا أيديهم له مبايعين بالإمامة وأكدوا له على اجتماع رأيهم في اختياره لهذا المنصب ، فأبدى في بادىء الأمر معارضة ، ولكن الجميع أفهموه أنه ليس من حقه المعارضة والرفض ، فبايعوه البيعة الخاصة ثم بعد ذلك أقبل أفراد الشعب لمبايعته البيعة العامة ليكون إماماً شرعياً للبلاد[(٨)] .

---

(٧) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، الزركلي ، **الاعلام** ، جـ ٧ ، ص ٦ .

(٨) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٨١٤ ، الكيسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٦٩ أ ب ، العرشي ، حسين بن أحمد ، **بلوغ المرام في شرع مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام** ، ص ٩٧ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٣٩م ، الجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم ، **المقتطف من تاريخ اليمن** ، =

وبعد أن تمت مبايعته كان أول عمل قام به أن كتب للباشا محمد الوالي العثماني يخبره بوفاة والده وأكد له أنه باق على الصلح الذي عقده والده معه في سنة ١٠٢٨ هـ وطلب منه إطلاق سراح رجل من الرهائن وأهدى إليه نسخة من كتاب الكشاف فأجابه الباشا محمد برسالة كلها تواضع وأبدى سروره في دوام الصلح بين الطرفين جاء في بعض فقراتها الآتي : «الحمد للّه الذي جعلكم القائمين من بعده والشادين شده لما اختاره من الخير عنده وقيامكم بالأمر بعد استخارة اللّه سبحانه ومواطأة من العلماء الأخيار والقضاة الأطهار فإنهم إن شاء اللّه لذلك أهل ، ولما وقع من اختياركم موضع ومحل تولى اللّه عونكم ورزقكم الصبر وكتب لكم على فراقه الأجر ، إلى أن قال: «بل انا لكم كما أنتم لنا وما هو موجود عندكم هو كذلك عندنا والألفة الصافية الخالصة الوافية كما هي ما يغير تلك القواعد مغير ولا يكورها مكور ، ونحن لكم في أمر الخير مساعدون ، وطرق مرضاة اللّه معاضدون، اللّه يختار لنا ولكم الخير ويأخذ بنواصينا يرشدنا ونحن ولائنا عليه حسبي اللّه وكفى» تاريخ سابع عشر من ربيع الأول سنة ١٠٢٩ هـ . محروسة صنعاء »(٩).

إن المتأمل في خطاب الباشا محمد إلى الإمام المؤيد يجد فيه حرص الباشا على دوام الصلح بين الطرفين ، وهذا يوضح لنا الحالة السياسية التي كانت عليها الدولة العثمانية من تفكك وخلل في الآستانة ، وعدم قدرتهم على مواصلة القتال ، وأن الدولة العثمانية قد شغلت بحروبها مع الدول المجاورة لها ، كذلك تتضح لنا الحالة في دولة الإمام فإنه أراد دوام الصلح ليكون بمثابة هدنة تتيح لهم أن يرسوا قواعد الحكم في البلاد ، وحتى يستطيع الإمام أن

= بدون طبعة ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ، الحبذاري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٤أ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك في اليمن** ، ق ٢٨ أ ، المكتبة المتوكلة اليمنية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٣٧ ، الحداد ، محمد يحيى ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص ٣٢٦ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٥ ، الحييد ، عبد اللّه بن حامد ، المطهر بن محمد الجرموزي مؤلفاته عن الدولة القاسمية ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ ، الطبعة الأولى جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ .

(٩) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٦٩ أ .

يقوّي قبضته عليها ، ويقضي على الفتن ، ويوحّد البلاد تحت قيادته حتى يستطيع بعد ذلك أن يضرب ضربته ويخرج اليمن من تحت الحكم العثماني(١٠) .

وبعد قبول الباشا العثماني احترام الاتفاقية المبرمة بينهم وبين الإمام القاسم أخذ الإمام المؤيد في توطيد أركان حكمه في البلاد ونشر الأمن في أرجائه ، فأرسل رسائل إلى الولاة في الأقاليم الإمامية وطالبهم بالمبايعة . فلبى الجميع ما دعاهم إليه ثم اتجهوا صوب شهارة لتوثيق ما أتوا من أجله .

وبعد أن تمت البيعة للإمام المؤيد ظهر له منافس أخذ يدعو لنفسه بالإمامة ولقب نفسه بالمهدي وهو الناصر بن محمد صبح الغرباني ، وكان الأخير قد ادعى الإمامة من قبل أيام الإمام القاسم بن محمد لكنه فشل ، وما أن سمع بوفاته وتولي ابنه الإمام المؤيد زمام الحكم في البلاد في عام ١٠٢٩ هـ/ ١٦١٩ م حتى عاود الدعوة لنفسه فاجتمع حوله بعض الأتباع والمؤيدين فوصل خبر عمله هذا إلى العاصمة شهارة ، فبادر بإرسال رسالة إلى واليه في الحيمة يأمره بقمع الفتنة وقتلها في مهدها ، فأصدر أمره بمحاربته والقضاء على دعوته ،لكن البعض أشاروا على الإمام بالتريث في أمر القتال. حينما سمع الوالي العثماني بخروج السيد ناصر على الإمام بادره بالحرب واستولى على ما معه من سلاح وعدة ، وقد قتل الكثير من أصحابه نتيجة لهذا العمل ففر السيد ناصر إلى بلاد حاشد وبكيل وبقي بها مدة ثم أعلن التوبة وعاد إلى شهارة فعفا عنه الإمام وبقي بها يدرس العلم حتى توفي سنة

---

(١٠) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٥ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٥٩ أ ب ، مجهول ، **دولة الترك** ، ق ٢٨ أ ، العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ .

الكشاف هو كتاب عن حقائق التنزيل للعلاّمة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨هـ ، وهو في علم التفسير ، حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، **كشف الظنون** ، عن **أسامي الكتب والفنون** ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ ، بدون طبعة ، القاهرة ١٣٦٢هـ. / ١٩٤٣م .

١٠٧٢ هـ[١١] .

لم تكن أحداث السيد الغرباني هي التي سيطرت على الموقف الأمني عند ولاية الإمام المؤيد وإنما وقعت في نفس العام أحداث واضطرابات من بعض أهالي صعدة فأرسل إليهم الإمام المؤيد أخاه الأمير أحمد بن القاسم بجيش لتأديبهم ودعوتهم إلى العودة تحت طاعة الإمام . وقد استطاع هذا الجيش إخضاع المتمردين وإعادتهم إلى حظيرة الإمام فرجعوا تائبين مما اقترفوه من إثم وعصيان للحاكم[١٢] .

هذا ما كان من أمر الإمام بعد هذه الفتنة إذ أخذ في تسيير الأمور في البلاد بعد أن أقر الصلح بينه وبين الاتراك لكن في عام ١٠٣١هـ. صدر قرار من مصر بعزل الباشا محمد من اليمن وتعيين الباشا أحمد فضلي حاكماً عليه . وقد كان الباشا السابق متصفاً بالشح ، وقد قيل أنه منع العطايا التي كانت مخصصة للبعض ،ومما زاد الحالة سوءاً أيام ولايته على اليمن أن امتنع نزول

---

(١١) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٣٢ أ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٠ أ .

لقد خرج السيد ناصر الغرباني على الإمام القاسم ودعا لنفسه بالإمامة لكن دعواه هذه بطلت بسبب مخالفته الإمام الذي أجمع عليه العلماء والفقهاء والعامة وبهذا العمل يكون قد ارتكب خطأً فادحاً ولذا فقد حاربه الجميع وكان هذا سبباً في عدم نجاح دعوته ، ولم يجد له مؤيدين ، فأجهز عليه الإمام القاسم وقبض عليه والقى به في السجن في يناع ، وقد عللت بعض المراجع ان سبب مخالفته للإمام والخروج عليه عائد على نكرانه عليه مصالحة الأتراك وعقده معهم صلحاً وقد اعتبرهم اعداء للبلاد ، فبقي في السجن مدة واستطاع بعد ذلك الفرار إلى سياغ ، ثم أخذ يجتمع حوله الاتباع والمؤيدين من بني مطرو أهل الحيمة ، وقد كانت دعوته في ذلك الوقت سرية ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ / ٢٢٣ .

بكيل : من مخاليف اليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ١ ، ص ٤٧٥ .

يناع : حصن يقع في غرب صنعاء ، ابن الديبع عبد الرحمن بن علي ، **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون** ، جـ ١ ص ٢٤٥ ، حققه وعلق على حواشيه محمد بن علي الأكوع ، الطبعة بدون ، القاهرة التاريخ بدون .

(١٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٥ .

المطر وعم القحط في البلاد ، لكن هذا لا يمنع من أن تكون له بعض المآثر مثل الصلح الذي عقده مع الإمام القاسم وبعض الإصلاحات كبناء جامع يريم ، والمعاملة الحسنة التي عامل بها الأمير الحسن حينما كان في السجن(١٣) .

وبعد أن وردت الأنباء إلى اليمن بخروج الباشا الجديد أحمد فضلي ، عزم الباشا محمد على الرحيل وغادر البلاد إلى الحجاز ، فوصل إلى مكة المكرمة حيث وافاه الأجل في هذه البلاد الطاهرة ، وفي نفس العام الذي هو ١٠٣١هـ. وصل الباشا فضلي إلى صنعاء ثم أرسل إلى الإمام المؤيد خطاباً يوضح فيه موافقته على استمرار الصلح ، وانه لا مانع لديه من خروج الأمير الحسن بن القاسم من السجن ، وأمر بضرب عنق الآغا الذي كان متولياً أمر السجون في ذلك الوقت وأرسل ما بقي للأمير من أثاث مع ثمن الدار التي اشتراها الأخير في صنعاء(١٤) .

وقصة دخول الأمير الحسن إلى السجن في صنعاء تعود إلى عهد والده الإمام القاسم ، ففي عام ١٠١٦هـ. عندما سادت الفتنة بين صفوف العثمانيين في صنعاء بسبب الخلاف الذي دب بين عبد اللّه شلبي وجعفر باشا ، أراد الإمام القاسم أن ينتهز هذه الفرصة وينقض العهد الذي عقده مع الباشا العثماني ، فأخذ يستشير أصحابه من أهل الرأي في هذا الموضوع ، فرأوا أنه من الصالح نقض العهد المبرم بين الإمام والعثمانيين إذا كان هذا يعود بالفائدة على الدولة ، وفي عام ١٠٢٢هـ نقض الإمام العهد بعد خروج جعفر باشا من صنعاء ووفاة إبراهيم باشا ، كانت فرصة للإمام لمد سيطرته على البلاد والتوسع في دولته ، فأخذ بإرسال قواته إلى الأقاليم المختلفة ، فأرسل ابنه علياً إلى بلاد الشرف والحسن إلى شطب والسودة ، وعفار ، والقاضي هادي بن

---

(١٣) ابن لطف اللّه ، صلاح بن عيسى ، روح الروح ، جـ ٣ ، ق ٢٢ أ ، الأميروزيانا بدون رقم .

(١٤) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٣٧ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٦٩ ب ، ٧٠ أ ، ابن لطف اللّه ، صلاح ، **روح الروح** ، جـ ٣ ، ق ٢٢ أ ، مجهول ، **دولة الترك في اليمن** ، ق ٢٨ أ .

عبد اللّه إلى بلاد الظاهر ، فأخذت قوات الإمام في التقدم . واستطاع الأمير الحسن فتح بلاد شطب والسودة وأخذ يحاول مد نفوذه إلى جبل حجاج لكن في هذا الوقت بدأ الهدوء يسود صفوف العثمانيين بعد رجوع جعفر باشا إلى الولاية وقضائه على الفتن، فأخذ في توحيد صفوف جنده وبث فيهم الثقة وقوى من عزمهم حتى عادت الثقة إلى نفوسهم فازدادوا قوة على قوتهم ، فأرسل بعد ذلك كتيبة لمحاربة الإمام بقيادة الأمير حيدر ، وكانت كتيبة كبيرة وكان في هذا الوقت الأمير الحسن في بيت علمان ، فانتقل بعد سماعه قدوم حيدر إلى الأشمور وكان معه عدد قليل من الجند فاستقر في عرة الأشمور ووصل حيدر إلى هذه المنطقة وحاصر الأمير الحسن وضيق عليه الخناق ، فأقبل اخوته لنجدته فأتى علي بعدد من الجند وكذلك أحمد فكادوا أن يظفروا بحيدر وبحروز النصر لولا هروب صاحب الراية في جند الأمير أحمد بن الإمام مما نتج عنه اشتداد الحصار على الحسن وجنده فخاف الأخير على أهل العرة ورأى أنه من الصواب تسليم نفسه وطلب الامان له ولأتباعه فألقى الأمير حيدر القبض عليه وأرسله إلى جعفر باشا الذي زج به في السجن بصنعاء(١٥) .

بقي الأمير الحسن في سجنه بصنعاء مكبلاً بالأغلال يعامل معاملة السجين إلى أن تولى الباشا محمد أمر اليمن فكان رجلاً طيب القلب حليماً له أعمال خير كثيرة فأول عمل قام به هو إزالة القيود عن الأمير الحسن وأنزله نزلاً كريماً ، وعامله معاملة حسنة فعاش في سجنه معززاً مكرماً ، وقد فتح بابه لمن أراد الدخول عليه من الأصدقاء وزاد على ذلك أن سمح له أن يدرس القرآن على يد مشايخ من صنعاء . ثم اشترى الباشا محمد أمة أهداها له ووضع له

---

(١٥) يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ، **أبناء الزمن في تاريخ اليمن** ، ق ١٥٣ أ ، دار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤ تاريخ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٢٢ أ ، مداح أميرة علي وصفي ، **العثمانيون والإمام القاسم محمد بن علي في اليمن** ، ص ١٣٦/ ١٣٧ .
رسالة ماجستير ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ . الظاهرة : من قرى اليمامة ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٩٥ .
حيدر : تولى الحكم في اليمن بعد عزل الباشا فضلي وفي عهده قامت الثورة بين الإمام والدولة العثمانية التي أدت إلى خروج اليمن من تحت الحكم العثماني .

داراً في بئر العزب ينزل فيه وقت يشاء وأسكن الأمَةَ فيه . فكان الأمير الحسن يذهب إلى هذه الدار وقت ما يشاء وقد انجبت الأمة منه ولداً اسماه أحمد بن الحسن(١٦) .

وحينما عزل الباشا محمد عن اليمن وتولى أحمد فضلي باشا الأمر خاف الأمير الحسن ان تتغير معاملتهم له لما سمع عن فضلي من أنه كان فظاً غليظ القلب شديداً ذا معاملة قاسية، جباراً في تصرفاته ، لهذه الأسباب أخذ الحسن يفكر في حيلة للخروج من السجن قبل وصول الباشا الجديد ، فأول عمل قام به ان اشترى حصاناً وأظهر أنه سيقدمه هدية للباشا القادم وكان حصاناً سريع العدو كثير الحركة والصهيل ، وكان الأمير الحسن قبل هذا قد أخرج الكثير من كتبه وأثاثه مع الأصدقاء الذين يترددون عليه أيام الباشا محمد ، بعد ذلك أخذ في تمهيد طريقة الهرب فقام بثقب الغرفة التي هو بها الى التي تليها ، ثم التي تليها ولكن أثناء تنفيذهم لهذه العملية صادفتهم صخرة كبيرة استعصت عليهم ، وكانت تحتاج أن تكسر بالحديد، فخاف الأمير أن يسمعه الحراس. وكانت الظروف في صالحهم إذ صادف وجود مخزن للحطب به عامل يعمل في تكسيره ، فانتهز أصحاب الأمير الفرصة بأن أخذوا في تكسير الصخرة مع طرق فأس الحاطب حتى يختلط الصوتان فلا ينتبه له أحد ، لذا استطاع التغلب على هذه العقبة التي كادت أن تكشف أمرهم ، ثم قام بسد الفتحة لكي لا ينكشف أمره ، ثم أخذ يدبر أمر الخروج بأن طلب من أهله مغادرة بئر العزب إلى مكان عينه لهم ، ومن الطبيعي أن الأتراك وضعوا حرساً لمراقبة الأمير وكانوا يرمون بحجارة في الماء دلالة انهم مستيقظون ، لكن في الليلة التي عينها الأمير الحسن لهربه أرسل اللّه سبحانه وتعالى ريحاً قوية أتعبتهم فناموا بعدها ، وكان في ذلك الوقت قد أمر الأمير اتباعه بأن يعدوا له حصانه تحت سور القصر من الجهة الشرقية ثم تسلل من الفتحات التي فتحها في القصر ، فأنصت ليتأكد من أمر الحراس، هل هم ساهرون على عادتهم ولكنه

---

(١٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٣٦ أ ب ، ابن لطف اللّه صلاح ، **روح الروح** ، جـ ٣ ، ق ٢٢ أ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٦٩ ب .

لم يسمع الرمي وسمع غطيطهم في النوم ، وكان قد أخذ حبال خيل الأتراك لتسلق السور فنزل هو ومن معه إلى الخارج ، ثم اتجهوا إلى المكان الذي واعد أهله في الالتقاء فيه ، ثم واصل بعد ذلك سيره فلم يصلِ الصبح إلا وهو في بني عاصم. ومن هنا واصل سيره حتى إذا أتى ضحى ذلك اليوم إلا وهو في العرمسان من بلاد الجنب فكان كلما مر على قبيلة من قبائل حاشد وبكيل وغيرها قابلوه مقابلة حسنة ، وفرحوا بنجاته وخروجه من سجن العثمانيين .

واجتمعت لديه أعداد كبيرة من الرجال والسلاح(١٧) .

ولوجود هذه الكميات من السلاح والأعداد من الرجال أخذت تراوده فكرة العودة إلى صنعاء وفتحها ، وذلك لعلمه بخلوها من الجند ، ولأمر ما عدل عن ذلك فواصل سيره حتى وصل إلى شهارة ، مقر الدولة فسلم على أخيه الإمام . وفرح الناس فرحاً عظيماً بتمكنه من الهروب ، وقد قيلت في هذه المناسبة القصائد الشعرية الكثيرة ،نختار منها بعض ما قاله الأديب القاضي زيد بن علي المسوري بهذه المناسبة :

ما العيد أن تنحر المستسلخات ضحى	وإنما العيد يوم جاءنا فيه
قد جاءنا في خميس لو يروم به	بغداد لبته ان نادى مناديه
لولا مواثيق عهد كان اسسها	أبوه ثم اقتفاه بعد قافيه
أمامنا خير أهل الأرض قاطبة	من ليس ينقض عهداً وهو موليه(١٨)

عمت الفرحة أرجاء الأراضي الإمامية على عكس ما حصل في صنعاء فقد اكتشف العثمانيون هروب الأمير الحسن بعد وصول الباشا أحمد فضلي ،

---

(١٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٣٦ أ - ٣٨ أ ، ابن لطف الله صلاح ، **روح الروح** ، جـ ٣ ، ق ٢٢ أ ب ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٥٢ أ ، ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٦٩ ب .

(١٨) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ١٣٦ ، الجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم ، **ابناء اليمن وبتلاؤه** ، جـ ١ - ٢ ، قسم ٤ ق ٦٦ ب - ٦٧ أ ، مكتبة الجامع الكبير القريبة بصنعاء ، كتاب ٣٣٤ ، غير معروف ، **دولة الترك** ، ق ٢٨ أ - ٢٩ ب .

وأخذ يحقق في الأمر للوصول إلى ما كان السبب في هروبه ، فوضع اللوم على متولي الحراسة وهو الآغا علي ، فأمر الباشا العثماني بضرب عنقه(١٩) .

وفي هذه الأثناء أخذ الإمام المؤيد يوطد أركان حكمه ويشدد قبضته على البلاد حتى يؤمنها وبهذا يؤمن ظهره حين خروجه على الدولة العثمانية . فقام بقمع الفتن التي قامت في البلاد وأهمها وأكبرها التي كانت في مدينة صعدة في عام ١٠٣٢هـ. وكان سبب هذه الفتنة أن اختلف أهل الشام من خولان وأهل اليمن من الأهنوم ، وكان سبب هذا الاختلاف أنه صادف دخول طعام العيد لسنة ١٠٣٢هـ فتدافع عسكر الأهنوم وعسكر خولان، أو اختلف الفريقان عليه فدار بينهم قتال عنيف فخاف الأهنوم من خولان لكثرتهم فتحصنوا في القصر . وأخذ الطرفان يتبادلان الرماية فوقع عدد من القتلى بين الطرفين وكادت المدينة أن تكون فريسة للنهب والسلب لولا تدخل بعض المشايخ مثل الحاج المجاهد شمس الدين أحمد بن عواض ، والحاج أحمد بن علي بن دعيس والسيد داود بن الهادي ، والسيد أحمد بن المهدي فأصلحوا بين الطرفين ومنعوا الفتنة من أن تتفشى ، وعقدوا صلحاً بينهما ، غير أن الحاج جمال الدين علي بن عبد اللّه الطير الذي كان قائماً بالأعمال مع الأمير أحمد بن القاسم كان متهماً من بعض أهل الشام بمناصرته لأهل اليمن، وباشتراكه معهم في المعركة التي دارت بين الطرفين ولذا فقد خرج جماعة منهم يكيلون التهم لأسرة الإمام، وذهب بعضهم إلى شهارة ورفعوا شكواهم إلى الإمام المؤيد الذي قابلهم بكل ترحيب وتقدير ، وأحسن لهم القول ، فاعتقدوا أنه عازل أخيه أحمد عن الولاية لا محالة ، فعادوا إلى البلاد متمردين على أوامره ، فلاحظ الأمير عليهم ذلك وأرسل إلى أخيه الإمام يخبره بما عملوا ، وطلب منه السماح له بالخروج

---

(١٩) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٣٦ ـ ٣٨ أ ، ابن لطف اللّه ، صلاح ، **روح الروح** ، جـ ٣ ، ق ٢٢ أ ب ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٥٢ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٦٩ ب ، ابن رشيد ، **بقية المريد** ، ق ٤٠ ب ـ ٦٦ أ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٤ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٦٦ ب، ٦٧ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٥ ، مجهول ، **دولة الترك** ، ق ٢٨ أ ـ ٢٩ ب .

عليهم ، لكن الإمام كعادته لا يحب أن يبتديء بالقتال ، لذلك طلب من أخيه التريث في الأمر ، وأخذ في مهادنتهم ، لكنهم ازدادوا عصياناً وتمرداً .فازدادت الفتن والثورات حتى كاد الشام بأسره يخرج من تحت سيطرة الإمام ، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة شقيقه الأمير الحسن بن القاسم الذي اتجه إلى صعدة عن طريق حيدان وذلك من أجل تضليلهم حتى لا يظنوا أن قوات الإمام متجهة إلى صعدة ، وقد وصل الحسن إلى حيدان ومعه السادة والأعيان والجند الذين قدر عددهم بحوالي الألفين وما أن سمع أهل خولان بمقدمه إلى هنا حتى أتوا إليه طائعين ، مسلّمين غير أن مجيئهم كان خدعة فيما يبدو لكن الأمير الحسن أحسن إليهم وعاملهم معاملة طيبة ، وأكرمهم فطمعوا فيه وانقضوا على أطراف القوات الإمامية ، محاولين الاستيلاء عليها وقد تواردت أنباء هذا الهجوم إلى الأمير أحمد فخرج مسرعاً من صعدة لنجدة أخيه وبرفقته عدد كبير من الجنود فوصل إلى ساقين .

ومن هنا أرسل إلى أخيه الحسن بأن يصعد إلى وشحة وهي من البلاد الخولانية حيث اتحدت جنود الإمام وهجمت هجمة واحدة من حيدان على جموع القواد الذين تفرق شملهم ، ثم ولوا هاربين تاركين ديارهم وأموالهم نهبة لعسكر الإمام ، وقد تميزت هذه المعركة بقلة عدد القتلى ، وذلك يعود إلى عدم وقوف المتمردين في المعركة ، وسارعوا بالفرار من أمام عسكر الإمام ، وبعد انهيارهم السريع دخلت قوات الإمام البلاد «شعب حي» فهدموا بيوتها وأخذوا ما بها من أموال وأثاث حتى قيل أنهم حين أرسلت الغنائم للإمام في شهارة قد ملأت جوانب منزله في درب الأمير ، وبعد أن رأى كثرتها قال في حسرة: «والله لقد حاولت معهم ما يقارب التسعة أشهر ولكن ذلك لم يزدهم إلا عصياناً » ان هذا القول الذي عبّر به الإمام على شدة حزنه يدل دلالة واضحة على ما في نفسه من حب للسلم وكراهيته للحرب وخاصة مع أبناء جنسه . فهو في بادىء الأمر أخذ في مهادنتهم لعلهم يرجعون عن غيهم لكنهم تمادوا حتى اضطر في النهاية إلى محاربتهم وكان من نتائج هذه المعركة أن أمنت الطرق في البلاد ، ثم عاد الأمير أحمد ومعه شقيقه الحسن إلى صعدة

بعد استتباب الأمور[٢٠] .

أما الحالة السياسية في البلاد بالنسبة للطرف الثاني وهي الدولة العثمانية، فقد كان الباشا فضلي يسيِّر أمور البلاد على خير ما يرام ، ويعتبر من أحسن وأفضل الباشوات الذين تولوا أمور اليمن ، فكان كثير العطايا والصدقات ويكرم ويجل العلماء وأهل العلم ، وفي عهده عم الخير في أرجاء البلاد وكثرت الأرزاق وذلك على عكس ما كانت عليه البلاد أيام سابقه الباشا محمد . سارت الأمور على هذه الحالة حتى عام ١٠٣٣هـ حين صدر فرمان أو مرسوم في العاصمة العثمانية بعزل الباشا فضلي عن ولاية اليمن ، وتعيين الباشا حيدر مكانه . وكان الأخير هو الذي تمكن من القبض على الأمير الحسن أيام خلافة أبيه الإمام القاسم ، وبعد سماع الباشا فضلي بخروج حيدر متوجهاً إلى اليمن جمع ما لديه وغادر البلاد وسار حتى وصل إلى أبي عريش فعاجلته المنية هناك[٢١] .

وصل حيدر باشا إلى المخا سنة **١٠٣٤**هـ وبقي فيها مدة من الزمن قام خلالها بمكاتبة الإمام المؤيد بشأن إقرار الصلح الذي كان قد أقره سابقه الباشا فضلي . لأنه وجد فيه مصلحة له ؛ وذلك لأسباب كثيرة أهمها أنه قادم جديد على البلاد ، كذلك جديد على المنصب الذي تقلده ولا يعلم ما سيواجهه فأراد أن يضمن جانب الإمام حتى يتفرغ لتسوية أموره ، ويرتب حال حكمه ويدرس الوضع في هذه البلاد[٢٢] .

---

(٢٠) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٤٦ أ ب ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٧ .

(٢١) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٨ ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ق ٢٥٧ ب ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٦٣ ، الحداد ، محمد يحيى ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص ٣٢٥ ، بدون ، طبعة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .
أبي عريش ، قرية من قرى جازان ، أشهر بلد في تهامة عسير ، غزيرة المياه ، ابن الديبع ، **بقية المستفيد** ، ص ٢٣٤ .

(٢٢) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨٨ ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ق ٢٥٧ ب .
=

أما الإمام المؤيد فبدوره أجابه على إقرار الصلح ولكن بشروطه السابقة التي أُبرمت مع الإمام القاسم . وذلك لأسباب على جانب من الأهمية بالنسبة لـه وهي أن إقـرار الصلح يؤدي إلى حقن دمـاء المسلمين سـواء من الجنـود الإمامية أو من جنود الدولة العثمانية كذلك من أجل التفرغ للقضاء على الفتن التي أخذت تنتشر في أنحاء البلاد ، كذلك أراد الإمام أن يأمن جـانب القبائـل اليمانية ويأخذ منها حق الطاعة لحكمه(٢٣) .

أمـا عن حيدر بـاشا فقـد كان على خـلاف سابقـه الباشـا فضلي، فكان أرعن ، أحمق ، متسرع ، سيء التصرف ، كما انه اشتهر بشربه للمسكـر ، وكثرة ارتكابه للجرائم ، ولذا فقد كان مكروهاً لدى الجميع سواء من العثمانيين أو من القبائل اليمانية التي كانت موالية للدولة ، وتأكيداً لذلك فأول عمل قام به حيدر باشا بعد وصوله إلى اليمن أن قتل الأمير سنان وهذا الأخيـر كان قـائداً تركياً ووالياً لمدينة تعز ، كما انه اشتهر بأخـلاقه العـالية وحبـه لأعمال الخيـر وإصلاحاته في البلاد التي من أهمها إجراء السـاقية من صبـر إلى تعز بحـافة المرباع ، وجعل الماء سبيلاً يشرب منـه من أراد ، وكانت لـه بعض العطايـا والصدقات وقد اشتهر كذلك بحب الجند له ، وولائهم لـه . ومن هنا خـاف حيدر باشا ميل الجند له فأمر بقتله . وبهـذا العمل ارتكب الحـاكم العثماني غلطة كبيرة فقد ردد الناس بعد سمـاعهم الخبر قـولهم «ذهب اليمن» ويعنون بهذا خروج اليمن من تحت سيطرة العثماني بعد قتل هذا الأمير(٢٤) .

= المخا : ميناء اليمن القديم على بعد ٦٠ ك . م غرباً من تعز ، على ساحل البحر ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ٥ ، ص ٦٧ .

(٢٣) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٨ ، الشرفي ، **اللألىء المضيئة** ، ق ٢٥٧ ب ، القرشي ، بلوغ المرام ، ص ٦٣ ، الحداد ، **تاريخ اليمن** ، ص ٣٢٥ .

(٢٤) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٠ ب ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٩ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٥٧ب .

تعز : مدينة من أشهر مدن اليمن بعد صنعاء ، وتعتبر قاعدة اليمن ايام الرسوليين والطاهريين اما اليوم فتعتبر العاصمة الثانية القلقشندي . أي العباسي أحمد بن علي ، **صبح الأعشى في صناعة الانشا** ، جـ ٥ ، ص ١٠ ـ ١٦ ، بدون طبعة ، القاهرة ، ١٩٦٣م . =

وبعد تنفيذ هذه الجريمة البشعة قام «حيدر» بمصادرة أموال الباشا «فضلي» التي اختلفت الأقوال في الطريقة التي جمع بها الباشا أمواله : فمنهم من قال أنه جمعها من أعيان الأتراك ومن كبار الضباط ، وآخرين قالوا أنه جمعها من رؤساء القبائل عن طريق السلب والنهب ، وأنه قتل عدداً كبيراً من الأنفس بسببها، غير أن هذا يتنافى مع ما ذكر عن الباشا فضلي من حبه للخير وتمسكه بشعائر الدين ، فإن مثل هذه المعلومات يجب علينا أن لا نأخذها بعين الصحة ، بل يجب تحليلها وعدم الأخذ بها كما قيلت فلعل الباشا فضلي جمع هذه الأموال عن طريق قتاله مع بعض القبائل وتعتبر غنيمة ، أو أن حبه لجمع المال كان هو نقطة ضعفه ونحن نعلم أن حب المال غريزة فطر اللّه سبحانه الناس عليها ولكن الإسلام حدد له الطرق المشروعة في جمعه، فربما لم يستطع الباشا كبح جماح شهوته في حبه لهذا المال وهذا الرأي لعله يكون ضعيفاً لما تقدم عن صفاته(٢٥) .

هذه كانت الحالة في الطرف الثاني في البلاد اليمنية، أما الجانب الآخر فإن الإمام المؤيد بعد أن قضى على الفتنة في صعدة وما حولها وبعد أن هدأت الأحوال، أرسل إلى أخيه الحسن رسالة يكلفه فيها بتولي الأمور في هذه الجهة، وكانت رسالة عظيمة كلها مواعظ وحكم، وحث أخاه على أعمال الخير وبيّن فيها ما يجب ان تسير عليه سياسة البلاد ، فحضه على تكريم العلماء والفقهاء ، ورعاية الرعية ، وأن يكون عوناً لهم لا عليهم ، وحثه على مجالسة العلماء والأدباء وأهل المذاهب والمساواة بينهم ، وعدم تفضيل فرقة على أخرى وأمره برعاية الجند والنظر في أمورهم وتلبية حاجاتهم ، لأنهم حماة البلاد الذين يعتمد عليهم في الدفاع عنها ، ثم حثّه على نصرة المظلوم مهما كانت مكانته . وتدل هذه الرسالة دلالة واضحة على مدى ثقافة الإمام وتفتحه وإلمامه

= صَبِرْ : اسم جبل شامخ عظيم تقع على سفحه مدينة وقلعة تعز وفيه عدة حصون ،وقرى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٩٢ .

(٢٥) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٨/ ٨١٩ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٥٧ أ .

بالعلوم الدينية والدنيوية فلقد كانت هذه الرسالة العظيمة حرية بأن تكون دستوراً للبلاد بعد كتاب اللّه سبحانه وتعالى وسنّة نبيه الكريم ، نسبة لما حملت بين طياتها من عظات وأحاديث نبوية سامية ورسم دقيق لخطة البلاد التي يجب أن تسير عليها(٢٦) .

مكث الأمير الحسن في صعدة يسيّر أمورها بحكمة ودراية ، فقسم وقته إلى ثلاث حالات حتى يستطيع أن يؤدي حق اللّه وحق العباد . فخصص وقتاً للقراءة والاستزادة من العلوم وذلك من قبل صلاة الفجر حتى بعد صلاة الظهر في الجامع ، ثم يبقى في مقصورته يقرأ القرآن ، ويجتمع بالعلماء ويتدارس العلوم الدينية معهم حتى إذا صلى العصر خرج واجتمع بالأعيان والعلماء والأدباء(٢٧) .

أما الحالة الثانية فهي تنظيم الأعمال الخاصة بالدولة والنظر في حوائج الرعية ومقابلة الوفود وذلك من صلاة الظهر حتى الزوال ، أما الحالة الثالثة فهي النظر في أعمال الجنود وتسيير أرزاقهم ، والشدة على أهل الفساد والقضاء على أعمالهم .وعلى هذا المنوال سيّر أمور البلاد على أحسن حال(٢٨) .

وقد تميزت هذه الفترة بالتوجه إلى أماكن القبائل التي لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ففي سنة ١٠٣٤ هـ . ترامى إلى مسامع الإمام المؤيد خبر مفاده أن أهل وادي العمالسة قوم لا يحلون الحلال ولا يحرمون الحرام ، ولا يعرفون من الإسلام سوى الشهادتين فقط. أما الأمور الأخرى فلا يعرفون منها شيئاً، لا صلاة ولا صيام ولا زكاة ، وكانت لهم أعمال ينكرها الإسلام مثل أن المرأة إذا طلقت من زوجها جاز لها أن تأخذ غيره من ليلتها دون أن تعتد واعتبروا عدتها قطع الوادي ، كذلك كانوا أهل جهالة لا يعرفون النقود وكانت

---

(٢٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٤٦ أ ـ ٤٧ ب .

(٢٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٤٦ ـ ٤٧ ب .

(٢٨) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٤٧ ب .

معاملتهم بالحبوب ، فأراد الإمام إرجاعهم إلى حوزة الإسلام فأمر الأمير الحسن بالخروج عليهم وغزوهم في عقر دارهم ، فأعد الحسن عدته وغزاهم وأدبهم بعد أن انتصر عليهم واستولى على ما في مخازنهم من الحبوب التي كانت تخزن ولا يدفع عليها زكاة ، فأعطى جزءاً منها أهل الوادي وأهل المشرق ، وأخذ الجزء الباقي منهم عقاباً لهم على كفرهم وارتكابهم المحرمات ، ثم أخذ عليهم عهداً بأن يدخل العلماء ورجال الدين بلادهم لنشر تعاليم الإسلام بين الناس ، وأن يعطوا العوائد التي تفرض عليهم من زكاة وخلافه للإمام ، وأخذ عليهم رهائن حتى يضمن وفاءهم لذلك العهد(٢٩) .

وبعد أن انتهى الأمير الحسن من هذه المهمة التي عهدت إليه عاد إلى صعدة حيث بقي فيها مدة يسيرة ثم أعد عدته إلى بلاد فيفا من بلاد نجران، وكانت هذه البلاد غارقة في الجهالات التي أبعدتها عن الإسلام ، كانت لهم أعمال يرفضها الإسلام ولا يقرها،ومنها أنهم حينما يريدون إكرام الضيف إذا قدم إليهم أن يقدموا إليه إحدى نسائهم لتشاركه الفراش ، وهذا يعتبر في حكم الشرع الإسلامي منكراً واضحاً ، وفاحشة ، فأعد الحسن العدة لاجبارهم على الرجوع لحكم الإسلام ، فخرج بجيش كبير غالبيته من أهل صعدة ، وبه عدد من أهل اليمن وساروا حتى وصلوا إلى بوصان من بلاد جماعة ، ثم واصلوا السير إلى ينمم وهو جبل عالي مشرف على بلاد فيفا ، فأخذ يشن الغارات على المناطق التي تقع بين موقعه وتلك البلاد حتى استطاع أن يخضع أهلها ويعيدهم إلى حظيرة الإسلام ، ويدخلهم تحت حكم الإمام ، وأخذ منهم رهائن حتى يضمن صلاحهم وعاملهم معاملة كريمة وأحسن إليهم(٣٠) .

ثم أرسل إلى محاط عدداً من أصحابه لاخضاعهم وإدخالهم تحت لواء الإمام وكانت هذه الفرقة تتكون من السيد شمسان ، والسيد عز الدين

---

(٢٩) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٤٩ ب ـ ٥٠ أ .

(٣٠) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٠ أ ب .

بوصان : موضع بارخي حولان من ناحية صعدة ، باليمن أهله بنو شرحبيل ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ١ ، ص ٥٠٩ .

محمد بن أحمد وجعل فرقة أخرى بالقرب منهم لنجدتهم فاستطاعت هذه الفرقة فتح المدينة عنوة وبقوة السلاح ، ونتيجة لهذا الهجوم قتل من أهلها عدداً كبيراً ، وقد أدت البنادق التي في أيدي القوات الإمامية دوراً كبيراً في هزيمتهم ، ونتيجة لهذا الهجوم بالسلاح الناري ، كان الواحد منهم إذا أصيب بالرصاص جعل على الإصابة حجراً أو ربطها بالخرقة ، فإن لم يجد فإنه يسدها بالأعواد(٣١) .

وتمكن جند الإمام من دخول المدينة وتأمينها ، وبهذا العمل استطاع الأمير الحسن تأمين الطرق ، عندما أراد إخضاع بلاد فيفا وفي أعلى جبال بلاد فيفا عسكر جند الإمام ، واستطاعوا أن يستولوا على حصنها المسمى «العبيسية» وأخذوا كل دراهمهم ولكن نصر جند الإمام في هذه المنطقة لم يكن تاماً فقد غدر أهلها بمقدمة الجند ، وقتلوا منهم الكثير ثم فروا مع رهائنهم وبقي الأمير الحسن والجنود في هذا المكان مدة ثم عاد بعد ذلك إلى صعدة(٣٢) .

وهنا نجد أن الإمام المؤيد كان محافظاً على دوام الصلح الذي عقده والده الإمام القاسم مع الدولة العثمانية ، وذلك لما رآه في صالح البلاد ، وقد أراد من هذا العمل تأمين البلاد وقمع الفتن حتى يستطيع أن يؤمن ظهره عندما يريد إخراج البلاد من تحت السيطرة العثمانية ، لذا نراه حافظ على الصلح مع كل الباشوات العثمانيين الذين يقدمون من مصر إلى البلاد ، وفي سنة ١٠٣٦ هـ . وجد انه لا داعي لاستمرارية هذا الصلح وذلك عندما دانت له غالبية بلاد اليمن وكوّن جيشاً يستطيع به محاربة العثمانيين . وفي هذا العام اتته الفرصة للقضاء على هذا الصلح ، لما رأى من معاملة الباشا للرعية وتكاثر الشكاوى منه ولكنه استمر محافظاً على العهد لعلهم يرتدعون عن هذه الأعمال ،

---

(٣١) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٩ .

(٣٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٠ ب ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٩ .

وفي هذه الفترة كان الإمام يرسل في كل عام العالم الفقيه حسن العلماني إلى صنعاء وهي عاصمة العثمانيين في اليمن لجمع الزكاة من أهلها ، وكان هذا العالم محل للتكريم والتقدير من الباشا إلى أن حل ذلك العام فكانت الحادثة التي أدت إلى نقض الصلح المبرم بين الطرفين وكانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، لأنها تمثل السبب الظاهري لنقض الصلح، أما السبب الأساسي فيكمن في تخليص البلاد من سيطرة وظلم بعض باشوات بني عثمان(٣٢) .

وهنا واتته الفرصة لتكوين الإمامة الزيدية التي تضم سائر بلاد اليمن تحت إمرته وبعد قتل الفقيه العلماني الذي اختلفت الآراء في أسباب مقتله ، فمنهم من قال أن الباشا حيدر قتله وهو في حالة سكر ، وبعضهم نسب مقتله إلى حرس الباشا والبعض الآخر قال : إنه قتل على يد أعداء الإمام المؤيد والباشا حيدر وذلك لإثارة روح العداء بين الطرفين . ويذكر بعض الفرق بأنه قتل على يد أعداء الباشا حيدر لوجود عدد كبير من أعوانه يكنون له العداء لسوء أخلاقه ، فأرادوا بهذه الحادثة إثارة غضب الإمام عليه ثم قتله انتقاماً للقاضي العلماني ، ومهما كانت الأسباب فإن هذه الحادثة أثارت العداء الدفين بين الطرفين(٣٣) .

وقبل أن يتخذ الإمام موقفاً عدائياً ضد الأتراك أرسل إلى الباشا حيدر خطاباً يطلب فيه تنفيذ حكم الشرع في قاتل الفقيه العلماني ، لكن الحاكم العثماني أهمل هذا الطلب وأخذ يماطل في هذا الطلب مما دفع بالإمام إلى الرد على الأتراك بالمواجهة العسكرية فأعد جيوشاً بقيادة اخوانه «الحسن» و «الحسين» و «أحمد » و « إسماعيل » لمحاربتهم وإخراجهم من البلاد اليمنية ، وكان الاتفاق على الهجوم بأن يكون من جهات متعددة، فسار الحسين بجيشه

---

(٣٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٠ ب .

(٣٣) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٣ ب ، الشرفي ، **اللألىء المضيئة** ، ق ٢٦٠ أ ، الجرافي ، **أبناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٦٧ ب ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٩٧ .

واستولى على المناطق التالية : ريحة ، عتمة ، وصاب ، وحفاش ، ملحان ، بلاد خولان ثم اتجه إلى مناطق أخرى وضم كلا من حصن كوكبان وبلاد ثلا وآب .

أما الحسين فكان يحارب في جهات صعدة القوات العثمانية حتى استولى على المنطقة بأكملها ، وبعد ذلك انتقل إلى الجنوب وأخذ في محاصرة مدينة صنعاء والتي تعتبر أقوى الحصون للقوات العثمانية لأن بها حاميتها القوية ، وقد تمكنت قوات الإمام من دخولها(٣٤) .

وبعد هذه الانتصارات المتوالية للقوات الإمامية على القوات العثمانية **تمكن الإمام المؤيد من مَدِّ نفوذه من عدن جنوباً إلى صعدة شمالاً بعد حروب امتدت قرابة عشر سنوات ، فما أن حلّ عام ١٠٤٥ هـ حتى كان الإمام قد بسط نفوذه** على جميع البلاد اليمنية ، بالإضافة إلى البلاد التهامية ، وإخراج آخر باشوات آل عثمان من اليمن ، ويعتبر الإمام المؤيد أول إمام زيدي وحّد بلاد اليمن تحت إمرته ، ومد نفوذه في تلك الأصقاع ، ولا نريد التوسع في هذه النقطة لأننا أفردنا لها فصلاً خاصاً سوف نستعرض فيه هذه الانتصارات بتوسع ، وإنما أردنا إيجازها هنا حتى لا نهمل هذه الناحية من ولايته ، ولأجل تسلسل الأحداث في هذا الفصل(٣٥) .

---

(٣٤) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٩/ ٨٢٠ ، ابن رشيد ، **بقية المريد** ، ق ٤٣ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٠ ب ـ ٧١ أ . تلا : حصن من حصون اليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٢ ، ص ٨٢.

حفاش : جبل في اليمن في بلاد خلوان ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤ .

ريحة : جاء في ياقوت ذكر انها من بلاد اليمن ، فقط ولم يزيد على ذلك ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٣ ، ص ١١٤ ، عثمة : حصن في جبال وصاب من أعمال زبيد ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٤ ، ص ٨٢ .

وصاب : اسم جبل يحاذي زبيد وبه عدة بلاد وقرى وحصون ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٥ ، ص ٣٧٨ .

(٣٥) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٣ ب ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٩٧ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، ق ٧٠ ب ـ ٧١ أ .

وبعد خروج العثمانيين من اليمن واستقلاله استقلالاً تاماً ، فإنه اعتبر أول ولاية عثمانية تنفصل عن قلب الدولة ، لذلك أخذ الإمام يوطد أركان حكمه في البلاد وذلك بنشر الأمن في أرجائها وتنظيمها إدارياً ، ومن ثم تقسيمها إلى ولايات ، فجعل على كل ولاية حاكماً إدارياً يرعى شؤونها ويكون تابعاً للإمامة .

ويعتبر الأمير «الحسن بن القاسم» العضد الأيمن للإمام، ولذا فقد قام بتنظيم شؤون البلاد ، وتولية الولاة التابعين للدولة على الألوية ، فاتجه إلى مدينة زبيد ونظم أمورها ، ووطد أركان الأمان فيها ، ثم تمكن من قمع الفتن ، وأقام عليها الشريف هاشم بن حازم المكي حاكماً من قبل الإمام المؤيد ، وبعد أداء مهمة الحسن هنا سار بعد ذلك إلى ميناء المخا ، وأخذ في إصلاح ما دمر فيها وولى عليها أحد مماليكه وهو «سعيد ريحان» ، ثم انتقل إلى موزع وولى عليها الأمير هادي بن مشيع الحمزي وولى على اللحية أحد مواليه وهو سعيد المجزي .

ولم يكتفي بالتنظيمات في الداخل بل تعدت إلى جزيرتي كمران وفرسان التابعتين لدولة الإمام المؤيد وأمر بإصلاح أمورهما وتعميرهما وذلك بعد خروج الاتراك منهما(٣٦) .

وبعد أن اطمأن على ما قام به من أعمال إصلاحية في عدة مناطق ، عاد « الحسن » إلى ضوران حاضرة ولايته بعد أن أمنت البلاد واتحدت تحت لواء

---

(٣٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢١ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٤ .

زبيد : اسم وادي به مدينة يقال لها الحطيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به وهي مدينة مشهور ، باليمن وينسب اليها كثير من العلماء ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٣ ، ص ١٣١ .

موزع : موضع في اليمن ، وهو يعتبر المنزل السادس لحاج عدن ، وتعتبر من مدن التهائم ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٥ ، ص ٢٢١ .

فرسان : من جزائر اليمن كانت تسكنها قبيلة فرسان ، وكان لهم فيها كنائس قد خربت ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ .

آل القاسم ، وعند عودته اصطحب معه عدداً كبيراً من الجنود والأموال التي اكتسبتها القوات الإمامية من الدولة العثمانية .

وقد بقي الأمير الحسن في ضوران يصلح أمورها ويدير شؤونها فركز اهتمامه على الناحية العمرانية فشيد حصنها المشهور «حصن دامغ» فاصبح هذا الحصن آية في فنون العمارة ثم اجرى عنده الأنهار الغزيرة وزرع المنطقة التي حوله بالأشجار ثم أخذت العمارة تغزو ما حول الحصن ، فأصبحت من المدن الكبيرة في اليمن(٣٧) .

وبحلول عام ١٠٤٨هـ. مرض الأمير الحسن مرضاً شديداً وتوفاه اللّه في شهر شوال من نفس العام وهو في الحادية والخمسين من عمره ، قضى معظمه في حروب ومعارك من أجل توحيد البلاد، فالدارس لحياة هذا البطل يجدها ملحمة من البطولات .

فمنذ أن ولد في عام ٩٩٦هـ أخذ والده الإمام القاسم بتنشئته وتربيته تربية حربية تكللها العلوم الدينية النابعة من بيئته الصافية ومنهله العذب ، والتي استفاد منها في أمور كثيرة ، فكان رحمه اللّه ملازماً لوالده في جميع حروبه حتى وقع أسيراً لدى العثمانيين في عام ١٠٢٢هـ، وبقي به حتى عام ١٠٣١هـ. في عهد الإمام المؤيد . حين خرج خفية من السجن كما استعرضنا فيما سبق الطريقة التي هرب بها من السجن ، ثم بعد ذلك كانت له ضروب من البطولات ضد الدولة العثمانية أيام أخيه الإمام المؤيد خلدتها كتب التاريخ ، فلم يهدأ له بال حتى تمكن من هزيمة الدولة العثمانية وإخراج آخر باشواتها من اليمن وهو الباشا قانصوه ، وقد غنم من هذه الحروب الغنائم الكثيرة ، وكانت له اليد الطولى في إخراج اليمن من الحظيرة العثمانية ، وهذا

---

(٣٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢١ أ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ١ ، ص ٢٠٥/ ٢٠٦ .

ضوران : من حصون اليمن ، وكذلك اسم جبل هذه الناحية قوقة سمين به ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٣ ، ص ٤٦٤ .

ما سوف نتعرض له بالبحث في الفصل الثاني وهو علاقة الإمام المؤيد بالدولة العثمانية ، وإلى جانب هذا فقد اهتم الأمير الحسن بالأمور الدينية ، والمعارف فأدرك حصة لا بأس بها من العلوم ، ولازم الجلوس مع المشايخ والعلماء ليستزيد من علومهم النافعة بالإضافة إلى ذلك كان كريماً معطاء لا يرد سائله فكان يعطي عطاء من لا يخاف العوز ، فإذا كان الإمام المؤيد يعتبر إماماً للبلاد فإن الحسن يعتبر إماماً للجهاد(٣٨) .

وقد خلف الحسن من الأبناء ثلاثة هم : الأمير محمد وكان نائب والده في صعدة ، والأمير أحمد، والأمير الحسين ، وقد صلوا على جثمان الأمير الحسن في المسجد الذي عمره في ضوران ، وحضر مراسيم الصلاة والدفن شقيقه الحسين وأبناء الفقيد أحمد والحسين ، وعدد من العلماء والجنود ، ودفن غرب الجامع وقد كانت لوفاته رنة أسى وحزن عميقين في نفوس الخاصة والعامة ، ورثاه كثير من الشعراء بمراث خلدت أعماله الجليلة ، ومن هذه المراثي نختار هذه الأبيات :

أدرى الذي ينعي إلينا من نَعى؟ ... لو كان يدري ما أشاد واسمعا !
أتُراه يدري أنه ينعي إلى ... كل الأنام الدِّين والدنيا معاً
وحياتهم ومعاشهم ورياشهم ... ونعيمهم هذي الخصال الأربعا

وكان الأمير «محمد بن الحسن» قبل أن يمرض والده قد استأذنه بالذهاب إلى شهارة لزيارة عمه الإمام والسلام عليه ، وبعد وصوله إليها وصلت أخبار مرض والده ، فأمره الإمام المؤيد بالإسراع إلى ضوران غير أنه في أثناء الطريق وصله خبر وفاته ، فأسرع بالمسير إلى هناك ، فوصل بعد مراسيم دفنه ، وقد استقبله عمه الأمير الحسين بن القاسم وشقيقه أحمد ، والعامة وهم يبكون على الفقيد ، وقدموا له التعازي(٣٩) .

---

(٣٨) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢١ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٣ ب ، الجرافي ، المقتطف ، ص ١٥٤ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٦٧ .

(٣٩) الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣ ب ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ .

لقد كان اعتقاد الأمير محمد أن الإمام سيجعله خليفة لوالده على ممتلكاته ، لذلك بسط نفسه لحكم الولاية ، فقام بتعيين أعوان والده ، ونصب نفسه رئيساً للجيش ليضبط ما تحت يده من أتباع وذلك مخافة أن ينتهز بعض ضعاف النفوس هذه المناسبة ويقوموا بأعمال تخريبية ، واضطرابات في الولاية كما أنه أمر أن تسير الأمور هنا على ما كانت عليه أيام والده ، فأمر بفتح الدواوين وتقريب من قرّبه والده من السادات ، والأغوات ، وكافة المعاونين ثم نصب نفسه للقضاء بين الناس ، وأخذ حق المظلومين ، ونتيجة لهذه الأعمال الحسنة أحبه العامة قبل الخاصة لأنهم توسموا فيه بعض صفات والده العظيم وقد عرف أهل هذه الولاية بحبهم للأمير الحسن ولأولاده من بعده ، لذلك التف هؤلاء الناس حولهم من بعده ولم يلتفتوا إلى عمه الأمير الحسين بن القاسم رغم وجوده بينهم[٤٠] .

وكان ولاء الجند والأغوات لأولاد الحسن كبيراً ، حيث أنهم لا ينفذون الأوامر إلا إذا كانت صادرة منهم ،لدرجة أن الولاة عندما وصلتهم كتب الأمير الحسين بن القاسم اخفوها ولم يظهروها ، ولكن حينما اتتهم كتب من الأمير محمد بن الحسن أظهروها وأخذوا في نشرها في الأسواق ، والجوامع وعندما رأى الأمير الحسين هذا التصرف اعتبره إهانة له ، وأخذ في نفسه وأراد العودة إلى ذي بهلان ولكن الأمير محمد وشقيقه أحمد رجوه في البقاء وجعلوه يتولى أمر المكاتبة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلاد بل تعدى الأمر إلى أنهم كانوا ينصاعون إلى أوامره ، ولكن رغم ذلك استمر الوضع كما كان فلم يقبل منه أمر إلا بعد عرضه على أولاد الحسن ، وموافقتهم عليه ، فاستمر الوضع على هذه الحالة إلى أن اتى أمر الامام بتولية الأمير «الحسين بن القاسم» على ممتلكات أخيه «الحسن» بوصفه الشقيق الأكبر للأمير الراحل ،إلا أن الجند والأعوان استمروا على ما كانوا عليه ، وهو انهم لا يأتمرون إلا لابناء الحسن ، وحينما رأى الحسين ذلك قرر العودة إلى ذي بهلان ثم قال : «دولتكم أمركم

(٤٠) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢١ ب .

وجندكم» وبعد رحيله سيّر محمد بن الحسن الأمور في البلاد ، فالتف حوله الجند ، وأقبل عليه عامة الشعب مقدمين فروض الطاعة(٤١) .

وقد ترامت أنباء رحيل الأمير الحسين عن ضوران حيث سمع الإمام المؤيد في شهارة هذا فعظم عليه الأمر ، لأن هذا نذير تفرقة أُسرية ستترتب عليها أمور هامة ، فأصدر أمره بتولية شقيقه الحسين بن القاسم على جميع ممتلكات ولاية أخيه الحسن وكف أيدي أولاد أخيه الحسن ، كما أنه حدد ان يكون الأمر والنهي لعمهم الحسين(٤٢) .

وقد كان تثبيت الحسين من قبل الإمام في الولاية بمثابة الإهانة لأولاد الأمير الحسن ، فاعتبروه تجريداً لهم من حق من حقوقهم ، ويبدو أن الإمام لم يصدر قراره إلا حينما رأى التفاف الرؤساء والجند والعبيد حولهم ، فخاف أن يستفحل الأمر ويصل إلى حد المطالبة بالإمامة ، لذلك رأى أنه من الأصلح عدم توليهم على ممتلكات والدهم ، أو تولية أخيه الحسين ليحد من اندفاع الناس إليهم والتفافهم حولهم . وبهذا الإجراء يكون حصر الإمامة في أولاد الإمام القاسم .

وخوفاً مما كان يتخيله الإمام فقد أمر أبناء أخيه بالامتثال والطاعة لأوامر عمهم الحسين والرجوع له في كل صغيرة وكبيرة(٤٣) .

وقد انصاع الأمير محمد لأمر عمه وامتثل لذلك . وأخذ جنوده وأتباعه وعاد بهم إلى ذمار ، وحينما رأى كثرة الجنود لديه وانه لا يستطيع الانفاق عليهم ، طلب من عمه الحسين أن يقطعه بعض البلاد لتكون عوناً له في الانفاق عليهم ، فبادر الأخير بمد يد العون لابن أخيه وطيب خاطره بأن أقطعه بلاد السوافي ، وخبان ، وبني سرحة ، ويريم ، والتعكر ، وبعد أن تم له ما

---

(٤١) الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، ق ١٠٥ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٤ .

(٤٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢١ ب .

(٤٣) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢٢ ب .

يريد أعاد محمد إلى ذمار مجبور الخاطر ، وبقي في تلك المناطق مسالماً لا يخالف عمه في شيء[٤٤] .

أما شقيقه أحمد بن الحسن فقد كان على عكس أخيه ، فبعد أن وصله خطاب الامام بتولية عمه على ولاية والده ، وكف يده عن التصرف بالأموال الموجودة بالخزائن ، ونتيجة لتصرف الإمام هذا فقد جن جنونه وثار على هذه الأوامر ، وخوفاً من استفحال الأمر فقد أرضاه عمه الحسين بإقطاعه لبلاد وصاب ، فرضي في بادىء الأمر ولكنه استحقر ما أُعطي بمعادلة ما كان تحت يد والده لذلك فقد تحرك بعدد كبير من الجنود والأتباع ، قيل : أنهم كانوا يزيدون على ستة آلاف رجل وهناك قابله مشايخها ، وأعيانها بكل حب وترحاب ، وبعد أن اطمأن إلى ولاء هؤلاء غادرهم بعد ذلك إلى بلاد عنس فقوبل من أهلها بالإكرام والتأييد ، ثم انتقل إلى بلاد خولان فانضمت إليه أعداد كبيرة منهم ، وزودوه بالمال والذخيرة ، فكان كلما انتقل إلى مدينة من المدن اليمنية وجد من أهلها كل حب وترحيب ، وقد ترامى إلى مسمع الإمام المؤيد أخبار الأمير أحمد فعز عليه هذا التصرف من ابن أخيه لذا أصدر أوامره إلى ولاته وعماله بالاقاليم في كثير من الجهات بالتحفظ من هذا العمل ، وأخذ في محاولة إرجاعه وثنيه عن غيه لكن الأخير لم ينصع لأمر عمه وخاصة بعد أن رأى التأييد له في عدة مناطق فصمم على المضي في ثورته[٤٥] .

---

(٤٤) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢٢ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣ ب ، الجرافي ، ابناء اليمن ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٧ أ .

ذمار : اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء وينسب إليها نفر من العلماء والمشايخ ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٣ ، ص ٧ .

خبان : قال نعر : خبان جبل بين معدن النقرة وفدك وقيل : حبان وحيان ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٢ ، ص ٣٤٣ .

يريم : حصن باليمن في جبل تيس ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٥ ، ص ٤٣٥ .

(٤٥) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢٢ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٧ ب . =

وعندما رأى الإمام تصميم ابن أخيه على الثورة قرر ردعه وتأديبه ، فأمر أخاه اسماعيل بن القاسم بالمبادرة بإعداد جيش للقاء جيش ابن أخيه ، وفعلاً تقابل الجيشان في منطقة مقطبة فاصطدم جنود الإمام بجنود الأمير وكانت موقعة عظيمة كان الحرب فيها سجالاً بين الطرفين انتهت بالنصر لجنود الإمام ، وانكسار جيش الطرف الثاني ، ونتيجة لهذه الهزيمة فقد غنم جنود الإمام المغانم الكثيرة من ذخيرة وسلاح وأموال ، وبعد هذه المعركة فر الأمير أحمد إلى آمبين كلاجيء سياسي ، وكان صاحبها في ذلك الوقت السيد الحسين بن عبد القادر الذي قابله بالترحاب وأقام عنده مكرماً معززاً وقتاً من الزمن ، غير أن وجود الأمير في هذه المنطقة كان يقلق الإمام فلعله يعاود نشاطاته الحربية فأرسل إلى حاكم هذه المنطقة مطالباً إياه بإرجاع الأمير إلى اليمن ، أو طرده ، وإلا فإن الجيوش الإمامية ستداهمه ، فاحتار الحسين بن عبد القادر ماذا يفعل أمام هذا الطلب ، فهو لا يريد تسليم الأمير الثائر ، كذلك لا يريد إغضاب الإمام المؤيد ، فوجد الحل في تغيير معاملته له ، فأخذ يعامله ببعض الجفاء مما جعله لا يحتمل هذه المعاملة فقرر أن يغادر آمبين إلى يافع . فأرسل إلى زعمائها يطلب حق اللجوء إليهم لكن هؤلاء فضلوا أن يستأذنوا السيد أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن سالم صاحب عينات في حضرموت في هذا الموضوع ، فأذن لهم بقبوله لديهم للإقامة بينهم ، فسمحوا له بذلك ، وقد لقي الأمير أحمد منهم كل إكرام وإعزاز ، وبقي بينهم نحو ثلاث سنوات ، وفي هذه المدة جمع عدداً لا بأس به من الأتباع ثم تقدمت جموعه إلى المناطق الامامية ، فباغتوا جنودها على حين غفلة وكانت موقعة عظيمة بين الإمام والأمير ، قتل فيها أعداد من جنود الأمير أحمد ، وتحرج الموقف بين

بلاد خولان : وهي بلاد تشتمل على قرى ومزارع ومياه ويسكنها أصناف من قبائل اليمن ، ابن حوقل ، أبي القاسم بن حوقل النصيبي ، **صورة الأرض** . بدون طبعة ، لبنان ، ١٩٧٩م .

عنس : مخلاف باليمن ، ينسب إلى عنس بن مالك ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، جـ ٤ ، ص ١٦١ .

الإمام والأمير وتدخل بعض الوسطاء بينهم واقترحوا أن يقوم بعض أصحاب الرأي بالوساطة بين الطرفين فوافق الإمام على ذلك وأرسل القاضي الحسن بن أحمد الحيمي على رأس وفد إلى بلاد يافع وذلك في عام ١٠٥٢ هـ وقد حمل الوفد معه الهدايا الثمينة، ورسالة من الإمام المؤيد يطلب فيها من أهل يافع الكف عن مساندة الأمير أحمد وإقناعه بالعودة إلى اليمن ، ولقد نجح الحسن الحيمي في هذه السفارة وأقنع الأمير بالعودة إلى حظيرة الإمام .

ويبدو أن الامام قد اطمأن من جانب الأمير أحمد بعد عودته وقد اتضح ذلك في السماح له في عام ١٠٥٣هـ بالذهاب إلى مدينة صنعاء والبقاء فيها ، وجعل له مكانة محمودة ، ثم أقطعه أرضاً وكوّن له جماعات وأعواناً يتبعونه ويأتمرون بأمره ، وقد بقي تحت طاعة عمه حتى وفاة الأخير سنة ١٠٥٤هـ. ولم يبدر منه شيء(٤٦) .

وبقي الأمير الحسين بن القاسم في ولايته ليسوي أمورها ويرعى شؤونها حتى وافته المنية في شهر ربيع الآخر من عام ١٠٥٠هـ بمدينة ذمار ودفن فيها ، وقد خلف من الأبناء خمسة هم محمد ، ويحيى ، والحسن ، وأحمد وعبد اللّه ، وقد كان رحمه اللّه رجلاً تقياً عالماً ذا ذكاء حاد حتى إن مشايخه كانوا يتعجبون من سرعة فهمه ، وحسن إدراكه ، وقرأ على يد جماعة من فقهاء اليمن الأصول ، والبيان ، والمنطق ، والنحو ، ولم يكتف بهذا القدر من العلم بل برع في الحديث والتفسير ، والفقه ، ومن مؤلفاته المشهورة

---

(٤٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢٤ أ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣ أ ، ٧٦ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٥ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٤ أ ـ ١٠٧ ب ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٩ ب ، **مجهول السيرة المباركة** ، ق ٢ أ ، الحبيد ، عبد اللّه بن حامد ، **مجلة كلية الشريعة** ، ص ٣١ ، حاشية ١ ، العدد ٣ ، مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٣٩٨هـ .

يافع : ورد في معجم البلدان قوله : «اظنه موضعاً باليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٥ ، ص ٤٢٦ .

أبين : هو مخلاف باليمن منه عدن يقال انه سمي بأبين بن زهير بن ايمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ١ ، ص ٨٦ .

«الغاية وشرحها» بالإضافة إلى هذا كان الساعد الأيمن لشقيقه الحسن في حروبهم ضد الدولة العثمانية ، ولم تشغله هذه الحروب عن حبه للعلم ، فكان يؤلف الكتب وهو يقود الجيوش في المعارك(٤٧) .

وبعد وفاة الأمير الحسين جعل الإمام المؤيد جميع ما تحت يده لأبناء أخيه الحسن ، فسارت الأمور بعد ذلك هادئة ، فانتشر الأمن في البلاد وهدأت الفتن حتى كان عام ١٠٥٤هـ حين مرض الإمام المؤيد مرضاً أدى إلى وفاته في شهر رجب من العام نفسه في جبل شهارة حاضرة حكمه ، ودفن بجوار والده الإمام القاسم ، فبكاه أهل اليمن وعلماؤها ، فقد كان رحمه اللّه بالإضافة إلى حنكته السياسية جوّاداً ، كريماً ، عالماً ، فقيهاً ، لم تجتمع اليمن بكل أقطارها من دون نزاع على حكم واحد غيره ، فإنه يعتبر إمام اليمن ومؤسس حكم الزيدية فيها ، وموحد أقطارها رحمه اللّه رحمة واسعة(٤٨) .

خلف الإمام المؤيد من الأولاد ستة هم : علي وهو الأكبر ويكنى به الحسين ، ويحيى ، وأحمد ، وقاسم ، والحسن .

وبعد مراسيم الدفن كان لا بد أن يختار خليفة للبلاد يسيّر أمورها فأجمع العلماء والمشايخ وكبار أهل العلم في اليمن لاختيار خليفة للبلاد فوقع اختيارهم على شقيقه أحمد بن القاسم الذي لم يكن على قدر كاف من العلم بأمور الشرع ، والعلوم الدينية ، والدنيوية ولكن عندما وصل الخبر إلى ضوران

---

(٤٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٣٢ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٥ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ١ ، ص ٢٢٦ / ٢٢٧ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٦ ب ، ١٠٧ أ .

(٤٨) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٢٤ أ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٧٦ أ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ٢ ، ص ٢٤٠ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١١١ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٥ ، ابن رشيد ، **بقية المريد** ، ق ٥٨ أ ، مجهول ، السيرة المباركة ، ق ٧٤ ب ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٤٠ أ ، المحبي ، **خلاصة الأثر** ، جـ٤ ، ص ١٢٢ ، الزركلي ، **الاعلام** ، جـ٧ ، ص ٦ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٥ ، العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ .

مقر الأمير إسماعيل بن القاسم سارع بترشيح نفسه هو الآخر للإمامة فأخذ البيعة من العلماء والمشايخ هناك ثم انتقل إلى شهارة وأخذ البيعة من الجميع حتى اخوانه بعد أن عزل شقيقه أحمد ، لأنه أحق منه بالإمامة ، لكونه أعلم بأمور الحكم والشرع ، فتم تنصيبه خليفة للإمام الراحل على بلاد اليمن(٤٩) .

---

(٤٩) الكبسي ، **اللطائف السنية** ق ٧٦ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١١١ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٥٨ ب ، المحبي ، **خلاصة الأثر** ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٦٧ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٥ .

الفصل الثاني

عَلاقَة الإمَام المؤيَّد بالدَّولَةِ العُثمانية

أ ـ حالة البلاد قبل الثورة الإمامية.

ب ـ أسباب اندلاع الثورة .

جـ ـ اندلاع الثورة وسيطرة الإمام على غالبية بلاد اليمن .

د ـ فتح صنعاء وتعز وزبيد .

هـ ـ خروج آخر باشا عثماني من اليَمَن .

لا يستطيع مسلم أن ينكر فضل الدولة العثمانية على العالم الإسلامي وما قامت به من أعمال جليلة ، حيث انها أعادت للمسلمين وحدتهم ، بعد أن تفكك شملهم ، وتفرق جمعهم وجعلتهم تحت راية واحدة : «الدولة العثمانية المسلمة» وتمكنت هذه الدولة من بسط نفوذها على غالبية الوطن الإسلامي وأخذت في مد سلطانها ، وتوسيع رقعتها حتى وصلت إلى فيينا في وسط أوروبا وذلك بفضل جيشها المسلم القوي الذي أعاد للعالم الإسلامي عزته ومجده وقوته ، بعد أن شارف الهلاك بنهاية الدولة العباسية[١] .

ولم تكتف بذلك بل قامت بعمل خلّد ذكرها في التاريخ وهو صدها لهجمات القوات البرتغالية عن شواطىء البحر الأحمر ، والحيلولة دون استيلائها على الأماكن المقدسة في الحجاز ، والتي كانت تخطط له من قبل ، جاعلة نصب أعينها الاستيلاء على الحجاز ولكن قوات الدولة العثمانية أحبطت خططهم ، وحالت دون تنفيذها ، لذلك نجد أن العالم الإسلامي دان للدولة العثمانية مقابل ما قامت به من أعمال كانت في صالح المسلمين قاطبة ، وانضم العالم الإسلامي بأسره تحت سلطانها[٢] .

واليمن إحدى هذه الدول التي انضمت تحت سلطان الدولة العثمانية ،

---

(١) أباظة، فاروق، **الحكم العثماني في اليمن** ، ص ٥/ ٦ ، الطبعة الثانية، بيروت ، ١٩٧٩م.

(٢) أباظة، فاروق، **الحكم العثماني في اليمن** ، ص ٥/ ٦.

وأصبحت ولاية تابعة لها ، وقد حرصت الدولة على أن تضم اليمن إليها لعدة أسباب أهمها :

أولاً : موقع اليمن الجغرافي الممتاز الذي يتحكم ، ويسيطر على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، فهو بمثابة همزة الوصل التي تجمع بينهما .

ثانياً : إن السيطرة على الجزء من جزيرة العرب ،ليضمن السيطرة على شمال الجزيرة بأسره ، ويضمن حماية الشواطىء القريبة لها .

ثالثاً : إن إستقرار الأمور في اليمن يسهل حماية الأماكن المقدسة في الحجاز .

رابعاً : ضم اليمن إلى الدولة العثمانية يضمن لها السيطرة على أهم المضايق وهو مضيق باب المندب .

ولهذه الأسباب مجتمعة حرصت الدولة العثمانية على بسط نفوذها على اليمن(٣) .

ولكن الوضع في هذا الجزء من العالم الإسلامي كان متقلباً، ففي بادىء الأمر رحّب اليمنيون بالحكم العثماني على قطرهم لأنها دولة مسلمة وهدفها حماية الإسلام وأماكنه المقدسة ، كذلك وجدوا في العثمانيين المساعد والمنجد لهم ضد الغزو البرتغالي على شواطىء اليمن ، غير أن الوضع لم يستمر على هذا المنوال بل تغير من الطاعة إلى الثورة ضد العثمانيين، ويعود الأمر إلى تعسف بعض الباشوات في اليمن ، مما جعلهم يفرضون الأوامر التعسفية ، ويقيدون حرية الأهالي . ومن الأمور المهمة التي تؤخذ على السلاطين العثمانيين إهمالهم شؤون اليمن ، وذلك لبعد هذا الاقليم عن قلب الدولة ، كذلك انشغالهم بقمع بعض الحركات الانفصالية وخاصة الحرب في العراق كما أن الدولة حينما تريد تعيين باشا في اليمن تحرص بأن يكون ممن

---

(٣) أباظة، فاروق، **الحكم العثماني في اليمن** ، ص ٦ ، حسون علي ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، ص ٥٥/ ٥٦ ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

يراد إبعادهم عن العاصمة والحكومة ، أو ممن يخاف بأسهم ، وشدتهم ، لذلك نجد أن أهالي اليمن اتحدوا ضدهم سواء كانوا زيدية أو شافعية وكوّنوا يداً واحدة في ثوراتهم التي قامت في اليمن(٤) .

لقد توالت هذه الثورات ضد الدولة العثمانية منذ انضمام اليمن تحت سلطانها حتى انفصاله عنها ، واستقلاله بحكم ذاتي ، وقد تخللت هذه الثورات المعاهدات والهدنات التي كانت بمثابة فرصة للراحة ، وتجميع القوى ومن ثم يستأنفون القتال ، وآخر هذه المعاهدات المعاهدة التي عقدها الإمام القاسم بن محمد مع الدولة العثمانية والتي كانت في عام ١٠٢٨هـ. وقد تقدم الكلام في الفصل الأول ، وقد استمرت هذه المعاهدة إلى ما بعد وفاته وتولى ابنه الإمام المؤيد محمد بن القاسم حكم البلاد ودامت حتى سنة ١٠٣٦هـ. حين نقضت بسبب مقتل الفقيه العلماني ، وقد كان غرض الإمام المؤيد من استمراريتها توحيد الصفوف ، وتجميع القوى وتوحيد البلاد تحت لوائه والقضاء على الفتن الداخلية حتى يؤمن ظهره وتعتبر هذه أطول معاهدة بين الطرفين(٥) .

لذلك نرى أن باشوات آل عثمان كانوا حريصين على استمرار هذه المعاهدة وهذا يتضح من خطاب الباشا فضلي للإمام المؤيد حين وصوله إلى صنعاء فقد كان كله أدباً وتواضعاً ، كما أن فيه عرضاً على الإمام لاستمرار الصلح المبرم بين الطرفين والذي وافق الإمام بدوره عليه(٦) .

---

(٤) أباظة ، **الحكم العثماني في اليمن** ، ص ٦ .
يلاحظ أن الشافعية في اليمن قد انضموا مع الزيدية ضد العثمانيين الذين يتفقون معهم في المذهب .

(٥) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٦ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٤٣ أ .

(٦) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٦ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٤٣ أ .

يلاحظ هنا حرص الباشا العثماني على دوام الصلح وذلك يرجع لعدة أسباب جعلته يفضله على محاربة الإمام وأهمها :

أولاً : المشكلات الداخلية للدولة العثمانية وما أصاب قلبها من فوضى واضطرابات .

ثانياً : فساد فرق الجيش العثماني أو بالأخص فرقة الانكشارية التي كان الاعتماد عليها كبيراً .

ثالثاً : انشغال الحكومة العثمانية بالحروب التي تفجرت في بلاد العراق وخاصة مع الفرس .

رابعاً : بُعد اليمن عن قلب الدولة ، أو بالأخص بعدها عن مركز الخلافة مما جعل وجود صعوبات كبيرة في إرسال الامدادات للجيوش الموجودة هناك .

خامساً : وهذا يعتبر أهم الأسباب ، لقد دأبت الخلافة العثمانية على إرسال باشوات غلاظ شداد ، قساة القلوب ممن يخشى بأسهم وشرهم لهذا الجزء من الدولة[٧] .

كل هذه العوامل مجتمعة جعلت الإمام المؤيد يعد العدة للخلاص من الحكم العثماني وتوحيد اليمن تحت إمرته ، وكان يتحين الفرص للثورة ولكنه أبقى على المعاهدة التي عقدها والده حتى يتسنى له توحيد البلاد ويأمن شر القبائل ثم بعد ذلك يلتفت إلى الدولة العثمانية . فما أن حلت سنة ١٠٣٦هـ. إلا وكانت الفرصة مؤاتية له وتتمثل في حادثة مقتل الفقيه العلماني ، فكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة التي أشعلت النار في الهشيم ، وجعلت الوضع يتفجر بين الطرفين[٨] .

---

(٧) البحراوي ، عبد اللطيف ، **فتح العثمانيون عدن ، وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر** ، ص ١٧٩ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٨) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨١٦/ ٨١٨.

وقبل أن نستعرض هذه الحادثة يجب أن نشير ولو بشكل موجز إلى حالة بلاد اليمن في بداية حكم الإمام المؤيد فنجد أن السلاطين العثمانيين دأبوا إلى عزل وتعيين باشوات عليه من غير تدبر وحسن اختيار فمنهم الفظ غليظ القلب أو الشحيح الذي منع المنح والعطايا أو الماجن الذي انغمس في لهوه ونسي أمور البلاد . أمثال الباشا محمد الذي اشتهر بالبخل ومنع العطايا والمنح، تلك التي كان الباشوات الذين تولوا الحكم قبله قد اعتادوا على منحها للناس ، كما أن الباشا حيدر اشتهر بتعسفه وكثرة مجونه وانغماسه في اللهو وشرب المسكر وتساهله في أمور الدين حتى بيع الخمر في الأسواق ، إضافة إلى ذلك فقد قام بعض الباشوات بقتل اتباعهم الذين يخافون نفوذهم وقوتهم ، أمثال الأمير سنان وذلك حينما رأى الباشا حيدر ميل الجنود إليه فأراد الخلاص منه قبل أن يستفحل أمره فأمر بقتله .

فهذه الأمور مجتمعة زادت من إصرار أهل اليمن على الخلاص من حكم الدولة العثمانية . فأخذوا يتحينون الفرص لنقض الصلح والثورة عليهم[٩] .

وما إن حلت سنة ١٠٣٦هـ. حتى كانت فرصة الخلاص قد أزفت خاصة وأن أهل اليمن قد ضاقوا ذرعاً بهذا الباشا الماجن الذي تمادى في لهوه وشهوته فكان قليلاً ما يصحو من المسكر . فكرهه الخاصة قبل العامة ، والقريب قبل البعيد، والكل ينتظر فرصة خلعه حتى كانت حادثة مقتل الفقيه العلماني التي أدت في نهاية الأمر إلى انفصال اليمن عن الدولة العثمانية فكانت أول ولاية عثمانية انسلخت عن جسد الدولة . أما هذه الحادثة التي أدت إلى اشتعال نار الحرب بين الطرفين فهي أن الفقيه حسن العلماني وهو من قرية علمان، كان يتردد على صنعاء في طريقه لزيارة أقاربه في قريته ، وينتهز فرصة دخوله صنعاء

---

(٩) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٦/ ٨١٨ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٣٤٠ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٤٣ أ ، ابن لطف الله ، عيسى ، **روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح** ، الجزء الثاني والثالث ، ق ٢٣٨ أ ، صورة في معهد المحفوظات العربية رقم جـ ٤٠٦ ، تاريخ .

فيسلم على الباشا العثماني ،وكان الفقيه يلقى لديه كل إجلال وتكريم حتى عام **١٠٣٦هـ** ، فوشى به بعض الحساد لدى الباشا حيدر وقالوا أن هذا الفقيه يدعو للإمام المؤيد ويخون العهود ويجمع المال بغير حق ويحرض الناس ضد السلطان العثماني مما أوغر صدر حيدر باشا عليه فكان ينتظر قدومه . وما أن استأذنه الفقيه بالدخول حتى كان الشر بادياً عليه ولم يقابله كالعادة بالترحيب والحفاوة التي تعوّد أن يقابله بها فبادره بالسب والشتم وأمر حرسه بضرب عنقه عند باب ستران(١٠) .

هكذا أجمعت غالبية المصادر المعاصرة ، وغير المعاصرة على هذه الحادثة، ولكن وجد بعض الاختلاف في بعض المصادر والمراجع حيث ذكرت أن حادثة مقتل الفقيه العلماني وقعت في ولاية فضلي باشا لليمن وأنه هو الذي ارتكب هذه الجريمة(١١) .

لكن، بالرجوع للمصادر المعاصرة لهذه الحادثة اتضح لنا أن مقتل الفقيه العلماني كان في ولاية حيدر باشا ، وذلك أن الباشا فضلي عزل عن ولاية

---

(١٠) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٥٤ ب ، ابن لطف اللّه ، عيسى ، **روح الروح** ، ق ٢٣ أ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٠ ب ، ٧١ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ق ٧٠ ب ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٦/ ١٤٧ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٣ ب ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٠ ب ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٢ أ ب ، الحداد ، **تاريخ اليمن** ، ص ٣٢٥ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٠ ، الحبيد ، «المطهر الجرموزي ومؤلفاته عن الدولة القاسمية» ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، الجزء الثاني ، ص ٩٨ ، الكتاب الأول ، جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ. ، العرشي، **بلوغ المرام** ، ص ٦٣ .

علمان : قرية أسفل وادي ظهر ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٠ ب ، الفقيه العلماني ، من أتباع الإمام المؤيد المهاجرين في شهارة ، الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٥٤ ب .

ستران ، أحد أبواب صنعاء .

(١١) العرشي، **بلوغ المرام** ، ص ٦٣، الواسعي ، **تاريخ اليمن** ، ص ٢٢٤ ، البحراوي ، **فتح العثمانيين لعدن** ، ص ١٧٩ .

اليمن سنة ١٠٣٣هـ. وفي نفس العام عين بدلاً عنه حيدر باشا . وبالرجوع إلى تاريخ حادثة مقتل الفقيه يتبين لنا أنها وقعت سنة ١٠٣٦هـ. أي بعد عزل فضلي باشا عن الولاية ووفاته في نفس السنة التي عزل فيها في أبي عريش، أي أن فضلي في ذلك الوقت قد مضى على وفاته حوالي ثلاثة أعوام[١٢] .

أما بعض المصادر فقد أَرجعت مقتل الفقيه العلماني إلى أَنه دخل مجلس الباشا حيدر على عادته في كل عام ، ولكنه كان في هذه المرة مخموراً لا يعي ما يقوله فأمر بضرب عنق الفقيه العلماني أمام جمع كبير من الأمراء ، وأخرج الفقيه من المجلس ونفذ فيه الحكم ، غير أنه بعد أن أفاق الباشا من حالة السكر وعلم بالحادثة أخذ يردد قوله «انها الحرب لا محالة»[١٣] .

وقسم آخر من المؤرخين يرجح هذه الحادثة إلى أن اعداء كل من الباشا حيدر والإمام المؤيد ارادوا إثارة الفتنة بين الطرفين فقاموا بقتل الفقيه، أما الفريق الثالث قالوا أن الضحية مات مقتولاً على يد أهالي علمان بلدة الفقيه ، وبعد أن نفذوا هذه الجريمة وضعوا جثته عند باب ستران لالصاق التهمة بالباشا حيدر[١٤] .

هـذا ما ورد في غالبية المصادر التي روت هذه الحادثة ، وهنا نجد التضارب في إرجاع القتل للباشا حيدر أو لغيره لكن الغالبية ، أَجمعت على أن حيدر هو مرتكبها ، لما اتصف به الباشا من تعسف وقسوة وظلم، ولأنه كان لا يقيم حدود الشرع كما أَنه اشتهر بشرب المسكر الذي يعتبر أم الخبائث، فلذلك لا يستبعد أن يكون هو القاتل ، ويدل على ذلك إجماع غالبية المصادر على

---

(١٢) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ١١٨ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٠ ، ابن لطف اللّه ، عيسى ، **روح الروح** ، ق ٢٣ أ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ ب .

(١٣) ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٣ ، الجرافي ، ابناء اليمن ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٧١ أ .

(١٤) ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٣ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٩/ ٨٢٠ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ أ ب .

ذلك، كذلك مماطلته في البحث عن مرتكب الجريمة وتسليمه للإمام المؤيد[١٥] .

ومهما اختلفت الأقوال أو تضاربت الروايات فجميعها تؤكد أن مقتل الفقيه العلماني هو السبب الأساسي الظاهر لنقض الهدنة بين الطرفين، كذلك سبقت هذه الحادثة عدة أعمال من الباشا حيدر كانت حرية بنقض الهدنة ، وأهمها حادثة أهل الحدا الذين جاءوا إلى حاضرة الإمام شاكين متظلمين مما فعله حيدر بهم من ظلم وجور وأنه غزا بلادهم ، وقتل عدداً كبيراً منهم ، وكان الوفد يضم بعض المشايخ وهم : محمد بن علي فلاح والشيخ عز الدين بن زيد بن زيد أحمد بن قوس وغيرهم[١٦] .

وحيال هذه الأسباب اجتمع الإمام المؤيد بإخوانه واستشارهم في أمر الحرب ، ثم أعقب ذلك اجتماع مع الأمراء والمشايخ وعرض عليهم الأمر ، فأيده الجميع بعد أن ضاقوا ذرعاً بمعاملة الباشوات العثمانيين لهم ، فقرر المجتمعون رفع لواء الجهاد، وفتح باب الحرب ضد الدولة العثمانية[١٧] .

ونتيجة للمناقشات التي دارت في حاضرة الإمام عن حرب الأتراك اجتمعت بعض القبائل اليمنية في الحدا ، وخولان وقرروا الانضمام إلى صف الإمام ضد الباشا العثماني، ويبدو أن الولاة في تلك المناطق قد اطمأنوا إلى ما صممت عليه القبائل فقرأوا عليهم ما أقره الإمام المؤيد في اجتماعه مع قادة جيشه ومشايخه وهو ما صمموا عليه من عمل ضد الأتراك ، وتوحيد البلاد تحت حكم الإمام المؤيد ، وبعد الانتهاء من هذه القراءة قرر المجتمعون الموافقة بالاجماع على ما جاء في نصوص البيان[١٨] .

---

(١٥) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٥٤ ب ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٦/ ١٤٧. غير معروف ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٢ أ ب .

(١٦) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٠ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٣ ب، ٤٤ أ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٣ أ ب .

(١٧) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٠ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٤ ب ، الجرافي ، ابناء اليمن ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٧١ أ ، ابن لطف الله ، عيسى ، **روح الروح** ، ق ٢٣ أ .

(١٨) الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٣ ب ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٦/ ١٤٧ .

وبعد أن وضع الإمام استعداده للحرب ، وقد استمع إلى الآراء الصائبة، قرر شن الحرب على الدولة العثمانية من عدة جهات وذلك لتشتيت شمل قواتها،لذلك أرسل خطابات إلى إخوته الحسن والحسين ، وأحمد يأمرهم ببدء القتال وكانت وجهة الأمير الحسن إلى الشرق والحسين إلى الغرب ، وأحمد إلى الوسط[١٩] .

ولو تتبعنا تاريخ اليمن في تلك الفترة لوجدنا أن الإمام كان يعد العدة لهذا الغرض منذ أيام الصلح فإننا نجده يعمل جاهداً على توحيد القبائل ، ولمّ شملهم ، والاصلاح فيما بينهم ، كما كان يحسن إليهم ليكسبهم إلى صفه ، إضافة إلى ذلك فإنه كان يخزن الأموال والسلاح والذخيرة استعداداً لخوض المعركة القادمة[٢٠] .

وتلبية لأوامر أخيه الإمام توجه الحسين إلى الحيمة ، وعند سماع القبائل بقدومه إلى منطقتهم ، أقبلت عليه معلنة الطاعة له والانضمام تحت لواء الإمام ، ثم واصل سيره حتى وصل إلى عر الحيمة ، وكانت الأوامر لديه من الإمام بعدم القتال حتى يصل رد الباشا حيدر على خطاب الإمام الأخير الذي يطلب فيه تسليم القتلة لتطبيق حق الشرع فيهم،لكن الباشا كعادته ماطل في الإجابة،لذا وجد الإمام نفسه مضطراً إلى القتال، فأصدر أمره إلى إخوته بشن الحرب على الباشا حيدر[٢١] .

---

(١٩) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٠ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٤ أ .

(٢٠) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٠ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٤ ب ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٦٣ ب .

(٢١) مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ٣٥ أ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ٢٦٤ أ . الحيمة : من

(٢١) مجهول ، تاريخ دولة الترك ، ٣٥أ ، الشرفي ، اللآليء المضيئة ، **٢٦٤أ** . الحيمة : بلاد واسعة بالغرب الجنوبي من صنعاء **٣٧ك** .م إلى أوائلها ؛ وهي منقسمة الى قسمين الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية ، أما الحيمة الداخلية فهي أرض خصبة وتشتهر بزراعة البن الفاخر وكانت سابقاً من مخلاف حضور ، أما الحيمة الخارجية فهي بالجنوب من الحيمة الداخلية وفي حداد بلاد حراز ، المقحفي ، إبراهيم احمد معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص ١٣٦ ، الطبعة الأولى ، صنعاء ١٩٨٥م .

وتمركز الاخوة الثلاثة في مناطق متفرقة في البلاد كما أمرهم الإمام فكان الحسن في صعدة ، والحسين في الحيمة ، وأحمد في بلاد خمر ، فتحرك كل واحد منهم في اتجاه معين للإستيلاء على ما يكون في طريقة من مدن وقرى .

فتقدم الحسين من الحيمة إلى جبل تيس بعدد من الجنود والقبائل التي انضمت إلى القوات الإمامية وهم حضور ، وبنو مطر ، وعلقي الروس ، وبدخول هذه القبائل تحت طاعة الإمام زاد عدد قوات الحكومة الإمامية ، كما أرسل الشيخ علي الطبر إلى ذي شان بالأبيض لقطع الطرق إلى القبين ، ثم محاصرة الأمير سنبل ومن معه من جنود وشدد عليهم الحصار[٢٢] .

وفي الثامن من شهر صفر سنة ١٠٣٦هـ. تقدم الأمير الحسن من صعدة عن طريق الجوف قاصداً بلاد نهم بعد أن استخلف ابنه محمداً عليها ، وكان على رأس جيش كبير من قبائل خولان ، وسحار ، وبني جماعة ، وأعداد أخرى ، وقدر عدد أفراده بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل ، قيل إن مائة فارس من الجبل أغلبهم من أشراف الجوف الحمزات ، وبينهم الشريف ياسين بن الحسن الذي كان والياً على نجران ومعه عدد من أصحابه[٢٣] .

وقد دخلت الجوف في طاعة الإمام المؤيد وعند وصول الأمير الحسن إلى نهم أتاه عاملها الأمير الهادي بن طاهر الشويع معلناً دخوله في طاعة الإمام ، ثم سار الحسن إلى ذيبن في اتجاه جبل اللوز ، وفتح قلعته ، وواصل

---

(٢٢) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٤ ب ، ذي شان ، قرية أسفل بلاد مسنحان ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ٣٠ أ .

الأبيض : بلد شرقي الذراع ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٢٣) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٦٤ ب ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ . ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٤ أ .

الجوف : ناحية في الشرق الشمالي من صنعاء ، وهي بلاد واسعة تصلها مياه كثيرة من سيلان الوديان والجبال المجاورة ، وبها عدة مدن تاريخية قديمة مشهورة ، ابن الربيع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٣٠ ، هامش ١٠ .

نجران : مخلف من مخاليف اليمن من ناحية مكة ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .

وتمركز الاخوة الثلاثة في مناطق متفرقة في البلاد كما أمرهم الإمام فكان الحسن في صعدة ، والحسين في الحيمة ، وأحمد في بلاد خمر ، فتحرك كل واحد منهم في اتجاه معين للإستيلاء على ما يكون في طريقة من مدن وقرى .

فتقدم الحسين من الحيمة إلى جبل تيس بعدد من الجنود والقبائل التي انضمت إلى القوات الإمامية وهم حضور ، وبنو مطر ، وعلقي الروس ، وبدخول هذه القبائل تحت طاعة الإمام زاد عدد قوات الحكومة الإمامية ، كما أرسل الشيخ علي الطبر إلى ذي شان بالأبيض لقطع الطرق إلى القبين ، ثم محاصرة الأمير سنبل ومن معه من جنود وشدد عليهم الحصار(٢٢) .

وفي الثامن من شهر صفر سنة ١٠٣٦هـ. تقدم الأمير الحسن من صعدة عن طريق الجوف قاصداً بلاد نهم بعد أن استخلف ابنه محمداً عليها ، وكان على رأس جيش كبير من قبائل خولان ، وسحار ، وبني جماعة ، وأعداد أخرى ، وقدر عدد أفراده بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل ، قيل إن مائة فارس من الجبل أغلبهم من أشراف الجوف الحمزات ، وبينهم الشريف ياسين بن الحسن الذي كان والياً على نجران ومعه عدد من أصحابه(٢٣) .

وقد دخلت الجوف في طاعة الإمام المؤيد وعند وصول الأمير الحسن إلى نهم أتاه عاملها الأمير الهادي بن طاهر الشويع معلناً دخوله في طاعة الإمام ، ثم سار الحسن إلى ذيين في اتجاه جبل اللوز ، وفتح قلعته ، وواصل

---

(٢٢) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٤ ب ، ذي شأن ، قرية أسفل بلاد مسنحان ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ٣٠ أ .

الأبيض : بلد شرقي الذراع ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٢٣) الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٤ ب ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ . ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٤ أ .

الجوف : ناحية في الشرق الشمالي من صنعاء ، وهي بلاد واسعة تصلها مياه كثيرة من سيلان الوديان والجبال المجاورة ، وبها عدة مدن تاريخية قديمة مشهورة ، ابن الربيع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٣٠ ، هامش ١٠ .

نجران : مخلف من مخاليف اليمن من ناحية مكة ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .

السير والانتصارات تتوالى عليه حتى وصل إلى الأبيض وفتحها ، ثم جدد حصار الأمير سنبل وجنوده في قلعة الذراع فضرب حولهم حصاراً أدى إلى قطع المؤن والزاد عنهم وقد تخلل أيام الحصار اشتباكات بين الطرفين أدت في النهاية إلى تسليم القلعة وخروج الأمير سنبل إلى ذمار(٢٤) .

وفي هذا الوقت كانت بعض قبائل خولان الحدا والتي تخلفت عن سابقتها إلى طاعة الإمام أجمعت على الدخول في طاعته والانضمام إليه، وعندما توالت أخبار هذا العمل إلى الباشا حيدر ثار غضبه وأرسل قوات تركية لتأديبهم وإجبارهم للعودة تحت إمرته ، وهنا سارع الأمير الحسن لنجدتهم ومناصرتهم، إلا أن بعض القبائل التي خرجت عن طاعته حالت دون وصول القوات الإمامية وتمكنت من قطع الطريق ، ولذلك فقد عاقت وصول الإمدادات إلى القبائل التي والت الإمام ، وقد انشغل الحسن في تأديبهم وإرجاعهم إلى الرشد ، وساعده في هذه المهمة الأمير الهادي بن المطهر ، ويبدو أن وطأة القوات الإمامية كانت شديدة على القبائل الخارجة مما جعلهم يسرعون في الرجوع إلى الطاعة وإعلان الولاء للإمام .

وبعد أن أمنت السبل وقطع دابر القبائل المخربة سار الحسن بعد ذلك إلى بلاد نهم وأقام في قرية تسمى الحديد وولى عليها الأمير الهادي بن المطهر(٢٥) .

وبعد ذلك توجهت إليه غالبية القبائل هناك في الصافية أمثال خولان ونهم وسحام ، والوطاء وبنو حشيش وجميع الجهات التي تعارض صنعاء، جميعها دخلت في طاعته ، ثم تسنى له بعد ذلك الاستيلاء على جبل هلون بعد هروب الأمير الحسين بن ناصر منه ، فعم الخير والأمن في تلك الجهات.

---

(٢٤) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٢ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٤ ب ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ،مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٢ أ .

(٢٥) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٤ ب ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٢ أ .

وواصل الحسن مسيرته في محاربة جنود الباشا حيدر ، وقد كان للأخير جنود في القبتين هدفها اعتراض القوات الإمامية المتجهة إلى ريحة بقيادة الحسن، وقد حاربهم الأخير وكتب اللّه له النصر وهزم القوات التركية وغنم الجيش مغانم كثيرة من عدة وعتاد ، ثم سارت القوات الزاحفة إلى باقي المناطق اليمنية حتى وصلت إلى حضور ، فأخذها الحسن ثم استقر في مسيب ، ومن هنا أرسل إلى أخيه الحسين الذي كان في مصيبح يخبره بوصوله إلى هذا المكان ويطلب حضوره إليه ، وكان الهدف من هذا اللقاء هو التباحث في الموقف الحربي ، فسار الأخير إليه والتقيا في مسيب وبقيا أربعة أيام هناك ، ومما لا شك فيه أنهما قد اتفقا على خطة معينة للقتال(٢٦) .

وفي هذا الوقت كان الأمير أحمد بن القاسم قد توجه بجيشه وفتح جبهة ثالثة للقتال من بلاد خمر فتقدم إلى بلاد الظاهر حيث أتاه أهلها طائعين . ومن هنا تقدم زاحفاً إلى جبل عيال يزيد فضرب الحصار حول عمران ، وعندما سمع أهل السودة بوصوله إلى هذه المناطق قدموا إلى حضرته خاضعين . وعرضوا عليه الدخول تحت لواء الإمام ثم توالت القبائل في الدخول تحت طاعته ، كما توالت انتصاراته في تلك المناطق(٢٧) .

ومن أصحاب النفوذ والقوة في هذه المنطقة صاحب كحلان «تاج الدين» الذي سمح بمقدم أحمد بن القاسم إليها فأتاه الحاكم مسلماً للسلطة المركزية تحت قيادة الإمام ونتيجة لهذا الخضوع السلمي فقد قابل الأمير أحمد «قائد القوات الإمامية» حاكم كحلان بالاحسان وعامله معاملة طيبة ، ويبدو أن الأمير أحمد قد وثق من نيته الحسنة في موالاة الحكومة المركزية لذا فقد عينه والياً على كحلان وغفار(٢٨) .

---

(٢٦) الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧١ أ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٥ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٢٧) الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ٧١ أ ، الشرفي ، **اللآليء** المضيئة ،ق ٢٦٥ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٢٨) الكبسي ، **اللطائف** ، ق ٧١ ب .

=

لم يقتصر الإمام المؤيد في محاربة العثمانيين في اليمن على قيادة إخوانه الذين شاركوا مشاركة فعالة في هذه الحرب . وإنما عيّن قادة آخرين لتولي بعض المهام لكي يشغل الجيش العثماني من عدة جهات ، فأرسل جيشاً بقيادة علي بن عبد اللّه العيالي ، والفقيه يحيى بن صلاح الثلاثي ، والفقيه عبد الرحمن بن المنتصر الغشمي للمحاربة في بلاد حجة ولاعة وسود . ودارت بين الطرفين معركة كبيرة كان النصر فيها حليفاً لقوات الإمام المؤيد ، ويبدو أن قوات الإمام قد لاقت صعوبات جمة في الاستيلاء على بعض الأماكن ، وكما يبدو أن العثمانيين قد تعرفوا بطرق غير معقولة للتطبيق عليهم ، لذا فقد أمر الإمام المؤيد بمعاقبتهم معاقبة شديدة وذلك بتدمير كوكبان وحجة وجبل عمران وماذن(٢٩) .

وكان لخراب كوكبان أثر كبير في هزيمة القوات العثمانية مما أضطرهم إلى التجمع في منطقة غولي ، وهنا حاصرتهم قوات الإمام عدة أيام اضطروا بعدها للتسليم وطلب الأمان ، فاعطوهم الأمان على أنفسهم وسمح لهم بالرجوع إلى أميرهم السابق عبد الرب بن شمس الدين الذي كان موجوداً في معسكر انود(٣٠) .

= غفار ، جاء في ياقوت الحموي : «غفارة جبل في اليمن» ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٢٩) الكسبي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٢أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ،ص ٨٢٠ .

حجة : مدينة كبيرة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٢٧ ك .م تنسب الى حجة بن أسلم بن عليان ، وهي مركز اللواء وتقع على جبل متوسط إرتفاعه ١٩٠٠ متر من سطح البحر ، المقحفي معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص ١١٠ .

لاعه : بلد معروفة من أعمال حجة وإليها تنسب عدن لاعه، المقحمي، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص ٣٥٥ الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٧ .

مسور : اسم مشترك بين عدد من الأماكن في اليمن منها ، مسور خولان وطن في خولان العالية ، مسور المنتاب: تابعة للواء صنعاء، حصن مسور، من ذي رُعين وبه آثار حميرية، المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٣٨٦ .

(٣٠) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢١ .

انود هو أطرف محل في جبل الظلع ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢١ .

ونتيجة لاستيلاء القوات الإمامية على بعض المناطق التي كانت في قبضة العثمانيين أو من والاهم فقد ازدادت رقعة حكومة الإمام . ولذا لزم تعيين حكام من قبله فعين السيد الحسين بن علي حجان والياً على حجة ، وكان من المناطق التي تحتلها القوات العثمانية هي جبل اللوز وقد عهد الإمام بمهمة الاستيلاء عليها إلى القاضي أحمد بن عامر والقاضي أحمد بن علي بن أبي الرجال، فاتجها إلى هذه المنطقة على رأس جيش وهاجما القوات العثمانية حيث دارت معركة أسفرت عن انتصار جيش الإمام ونتيجة لذلك دخل القائدان سوق الحضارم حيث تليا على الناس رسائل الإمام ، وعندما انتهيا من هذه المهمة واصلا سيرهما إلى الأعماس حيث تحارب الجيشان ودارت معركة كتب النصر لقوات الإمام التي غنمت الكثير نتيجة لهزيمة العثمانيين هناك[٣١] .

واستمر الإمام المؤيد في إرسال السرايا والكتائب لتزويد القادة العسكريين الذين يحاربون ضد الدولة العثمانية، وكما يبدو أن الإمام قد فوّض أخاه الحسن في أن يبعث الجيوش تحت قيادة من يرتضيه لهذه المهمة ولذلك فقد أرسل جيشاً تحت قيادة الشيخ علي بن الطير الذي اتجه بقواته إلى منطقة حضور ، وبني مطر ومما لا شك فيه أن بعض المناطق التي لم يدخلها جيش الإمام بعد ، قد أخذت العبرة والدرس مما حل بالمناطق التي قاومت جيوش الإمام ، لهذا فعندما وصلت قوات الإمام إليها، ودخلت هذه المناطق طوعاً واختياراً تحت حكم الإمام وقد دل تعرفهم هذا دلالة واضحة على موالاتهم للحكومة الوطنية ، وذلك لعدم مقاومتهم[٣٢] .

---

(٣١) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢١ / ٨٢٢ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧١ أ .

الأعماس : من أشهر مناطق الحدا وهي قريبة من صنعاء الويس ، حسين بن علي ، **اليمن الكبرى** ، ص ١٨٨ ، القاهرة ـ ١٩٦٢م .

(٣٢) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٢ ، الكبسي، **اللطائف السنية**، ق ٧١ أ ، الحبيد ، المطهر «الجرموزي» ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، ص ١٠٠ . =

كذلك أرسل الحسن جيشاً آخر بقيادة السيد مطهر بن ناصر الدين والقاضي محمد بن أحمد السلفي لفتح بلاد أنس ، وريحة ، وبرع وكتيبة أخرى بقيادة القاضي يحيى المخلافي لفتح الطويلة ، وقد دخلت تلك الجهات تحت طاعة الإمام المؤيد(٣٣) .

وقد كانت خطة قطع الطرق على العثمانيين من خطط جيش الإمام للتضييق عليهم،لذا فقد أرسل الحسن بن القاسم أحمد بن علي على رأس جيش لقطع الطريق المؤدي إلى صنعاء ، وكما قام الحسن بنفسه بعمل مماثل وتمكن من قطع الطريق المؤدي إلى اليمن ونتيجة لذلك اضطر الباشا حيدر إلى إرسال فرق من جيشه الموجود في صنعاء ، وأخرى من الموجودة في ذمار، وذلك لوقف أعمال جيش الإمام ضدهم ، فدارت بين الطرفين معارك كثيرة استمرت قرابة أربعة أشهر ويبدو أن سيطرة قوات الإمام على الموقف كانت شديدة،لذا فقد انقطع خلالها الاتصال بين قوات الأتراك المحاربة وبين القيادة في صنعاء وذلك بسبب تفجر الوضع في البلاد واندلاع نيران الحرب من كل جانب مما جعل القوات التركية تكون في شبه عزلة تامة ، كما انقطعت الأخبار فيما بينهما ، وشعر الأمير سنبل وهو أحد القادة العثمانيين بتردي الوضع في صفوف جنده ، واشتداد وطأة قوة الطرف الآخر فقرر الانسحاب من القتال تحت ضغط قوات الإمام والعودة إلى ذمار ليكون في مأمن منها(٣٤) .

وبعد أن اطمأن الأمير الحسن على سير المعارك الحربية لصالح القوات اليمنية ، وتنظيم جبهات القتال ، ورسم خطة تسير عليها المعارك ، عاد إلى

= حضور : جبل شامخ غربي صنعاء بمسافة ١٨ك . م ينسب الى حضور بن عدي ، وهو أعلى جبل في اليمن ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٣٦٦٦ متراً ، المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٢٣ .

(٣٣) الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٠ ب ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ أ .

برع : حصن من حصون ذمار باليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ١ ، ص ٣٨٥ .

(٣٤) الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ أ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٢ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧١ أ ، .

آبين ومن هناك أرسل إلى شقيقه الحسين الذي كان في كوكبان يدعوه الحضور للاجتماع والتشاور في أمور الحرب ، فأجابه بالموافقة . ثم اجتمعوا في ريشان دون أن يشعر أحد بأمر هذا الاجتماع ، وفيه قرروا فتح أنود ، ثم عاد كل منهما إلى مكانه[٣٥] .

ونتيجة لقرارات الاجتماع بين الأخوين نجد أن الحسين يتجه إلى ريمة بن حميد وذلك في شهر جمادى الثانية من نفس عام ١٠٣٦هـ. بعدد كبير من الجنود فاصطدم بالحامية التركية الموجودة هناك فدارت بين الطرفين معركة عظيمة انتهت بالنصر لقوات الإمام واستولى على ما في المعسكر من خيام وأثاث وعتاد ، وخيول وذخيرة[٣٦] .

ونتيجة للاجتماع السابق أخذ الحسن يعدّ العدة لفتح أنود وتنفيذ ما اتفقا عليه وهو أن يتظاهر عدد من جنود الحسن بالاختلاف معه والغضب منه ، فيحاول الايقاع بهم فيفرون منه إلى شقيقه الحسين ، ثم يسير هو بأثرهم محاولاً القضاء عليهم ، وهنا يلتقي الجيشان في منطقة معينة دون أن يشعر أحد بذلك ، ويحاصرون أنود : وقد طبق الفريقان الخطة أو الخدعة الحربية باتقان تام ،حتى أن العثمانيين لم يكتشفوا تحركهم إلا حين تمت محاصرة أنود ، ودارت عليهم الدائرة وقتل منهم الكثير وأسر الأكثر وقد فرّ من هذه المعركة الأمير عبد الرب إلى حصن يكر الفرانيق ومعه عدد من أصحابه ، واستولى الأميران الحسن والحسين على أنود بعد هذه المعركة ، ودخلت المدينة تحت حكم الإمام المؤيد .

ومن نتائج هذه المعركة أن كتب الأمير عبد الرب إلى الإمام خطاباً يعلن

---

(٣٥) الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ أ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٦٢ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧١ أ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٥ ب .

ريشان : اسم جبل ملحان بالمحوين ، ومصنعه ريشان حصن وبلدة من عزلة شهاب ، وريشان معقل صغير في ضواحي مقطبة ، المقحفي ،معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٨٦ / ١٨٧ .

(٣٦) مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٦ أ ، أباظة ، **الحكم العثماني** ، ص ٢٥ ، مداح ، اميرة ، **العثمانيون والإمام القاسم** ، ص ١٩٨ .

فيه دخوله تحت طاعته ويطلب الأمان له ولمن معه فأجابه الإمام بالموافقة، ولبى طلبه في الخروج إلى حصن كوكبان[٣٧].

وبعد هذه المعركة طلب العثمانيون الصلح، فوافق عليه الأميران الحسن والحسين بشروط إعطاء الأمير عبد الرب الأمان وتسليم حصن كوكبان، فتم لهم ذلك وكان لانتصارات الإمام المتلاحقة أثر كبير في مسارعة القبائل إلى الدخول تحت طاعة الإمام وهنا أمنت تلك المناطق بعد ضمها إلى حوزة الإمام[٣٨].

بالرغم من انتصارات قوات الإمام المتلاحقة وهزيمة القوات العثمانية في عدة مناطق، فإنهم كانوا يقومون بمحاولات يائسة للاستيلاء على بعض ما فقدوه، وتحطيم بعض القطاعات في جيش الإمام. لذا فقد هاجم العثمانيون تحت قيادة الأمير صفر «حاكم عمران» جند الإمام على حدود ثلا، وكانت هذه المنطقة تحت قيادة السيد أحمد المحنكي ودارت معركة بين الطرفين انتصرت فيها قوات الإمام على القوات التركية، وفر الأمير صفر من المعركة وتحصن في مدينة ثلا، غير أن الحسين بن القاسم أسرع من كوكبان إلى ثلا، كما اتجه أحمد بن القاسم بقواته التي كانت متمركزة في المطلعة إلى هذه المدينة وأطبقت القوتان على مدينة ثلا والتي بداخلها القوات العثمانية الفارة من وجه السيد المحنكي، وقد أحكم الحصار عليها مما أجبر الأمير صفر إلى طلب الأمان من قوات الإمام، ثم التسليم، وقد أعطي له ذلك، ثم خرج مع عدد من القوات فواجههم قائد جيش الإمام إلى شهارة مركز وحاضرة الإمام المؤيد، واصطحبوا معهم سلاحهم، وذخيرتهم، وبخروج الأمير صفر وقواته دخلت هذه المنطقة في حوزة دولة الإمام، وقد عين لها حاكماً استقر في

---

(٣٧) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٢ أ، الكبسي، **اللطائف السنية**، ق ٧١ أ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢، ص ٨٢٣.

(٣٨) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة**، ق ٥٢ أ، الكبسي، **اللطائف السنية**، ق ٧١ أ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢، ص ٨٢٣، الجنداري، الجامع الوجيز، ق ١٣٥ أ.

حصن مدينة تلا ، وذلك لحماية هذا الحصن المنيع والدفاع عنه(٣٩) .

استمرت المدن اليمنية تتساقط الواحدة تلو الأخرى أمام ضربات قوات الإمام ، ولكن بقي أمامهم أكبر معقل من معاقل الدولة العثمانية وهي مدينة صنعاء ، وهذا يحتاج إلى تخطيط وتعزيز القوات بالسلاح والمال ، فهذه المدينة بالإضافة إلى أنها عاصمة الدولة العثمانية في اليمن ، كانت محصنة بقوات كبيرة وعدة وعتاد ، لذلك توجه الحسين بن الإمام إلى لؤلؤة فأحسن إلى أهل همذان وأكرمهم وكان على رأسهم الأمير إبراهيم الداعي ، ثم بقي الحسين في طيبة في انتظار قدوم شقيقه الحسن ، وفي صحبته الأمير عبد الرب وأهل كوكبان من أجل اتحاد الجيوش ورسم الخطة الحربية التي سيسير عليها الجنود في صنعاء ، فحين وصل الأمير الحسن اتفقا على محاصرتها ومن ثم الهجوم عليها بعد أن فشلت محاولتهما مع الباشا حيدر بتسليم المدينة ، والخروج منها ، وكانت الخطة التي وضعت لهذا العمل هي محاصرة هذه المدينة من كل الجهات وتضييق الخناق عليها ، وان يتمركز أولاد الإمام ومن معهم من جنود وعساكر في حدة بني شهاب وأن يبقى الفقيه هادي بن عبد اللّٰه الحبشي ومن معه في الروضة .

وقد وصلت طلائع عساكر أولاد الإمام إلى بئر العزب ، والباقي تمركز حول مدينة صنعاء من كل الجهات ، ثم بادروا بالاستيلاء على حصن نقم وجعلوا فيه فرقة من العسكر لحمايته وزودوه بالسلاح والذخيرة حتى يكون على أهبة الاستعداد عند رؤية جنود الأتراك قاصدين الروضة ، واتفقوا على رمز بينهم وهو أن يرموا بالرباط ثلاث مرات عند رؤيتهم جنود الأتراك إذا كانوا قاصدين الروضة ومرتين إذا كانوا قاصدين حدة ، ولم يؤثر حصار صنعاء على المحاربين في المناطق الأخرى ، فكانت فرق من جنودهم في هذه الأثناء

---

(٣٩) الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٣ .

تواصل فتحها لبلاد اليمن ، فاستطاعت دخول بلاد سنحان ، وإخضاعها تحت طاعة الإمام(٤٠) .

وشدد الأميران الحسن والحسين في حصارهما على صنعاء فقطعوا الطريق المؤدي إليها ، وعزلوها عن المناطق الأخرى بأن أمرا الجنود بتخريب الطرق مما أدى إلى قطع المؤن عنها ، ونتيجة لهذا التخطيط الحربي أصبح الذين في صنعاء في ضنك من العيش ، مما اضطر الباشا حيدر أن يطلب الصلح من الإمام بشرط أن يخرج من صنعاء إلى اليمن الأسفل ، لكن الحسن علم بأمر هذا الطلب فمنع وصوله للإمام لخوفه أن يوافق عليه، ورداً على هذا الطلب زاد من تشديد حصاره على المدينة ، وعندما علم حيدر بما حدث ، وعرف أنها الحرب لا محالة أخذ يقوي روح العزيمة لدى جنده حتى يقدروا على مقاومة جند الإمام ، فوزع عليهم الأموال والملابس الفاخرة من أجل كسب رضاهم وزودهم بالسلاح والذخيرة ثم أمرهم بالخروج إلى خارج المدينة ، ووعدهم بالامدادات القادمة من مصر وكان هو على رأس الخارجين وقد تحلى بأبهى الحلل وتوشح هو وجنده بالسلاح ، وذلك لإحباط عزيمة الطرف الآخر وإدخال الرعب والفزع في قلوب الآخرين ، لكن الطرف الآخر وهم جند الإمام بادروهم بالحرب فانهالوا عليهم كالسيل الجارف ، فدارت بين الطرفين معركة استخدموا فيها شتى فنون القتال ، وفي النهاية كان النصر حليفاً للجند العثماني ، وانهزم جنود الإمام إلى الحفاة واستطاع حيدر باشا أسر عدد من أفراد الجيش المنهزم ، كما قتل عدداً آخر منهم ، ثم عادت القوات العثمانية بعد ذلك إلى صنعاء بعد أن اشتدت عزائمهم بهذا النصر(٤١) .

---

(٤٠) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨٤ ب ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٣ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٧٤ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٦ أ .

حدة بني شهاب : حصن باليمن من أعمال الحبية ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، ١ جـ ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٤١) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨٤ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، =

لم تفت هذه الهزيمة التي جابهتها قوات الإمام من عضدهم وإنما استمروا في حصارهم للمدينة بعد ذلك ، وقد تخللته بعض المناوشات بين الطرفين كان النصر في غالبيتها محالفاً لجند الدولة العثمانية ، وقد قتل خلالها أحد قادة جيش الإمام في هذا الحصار . وهو الشيخ علي عبد اللّه الطير .

وهنا يتضح لنا أن جيش الإمام ليس في مقدوره مجابهة القوات العثمانية في صنعاء، إلا أنهم بالرغم من ذلك فقد ضربوا الحصار حولها مرة أخرى فأحاطوا بها من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم ، ونتيجة لهذا العمل فقد ارتفعت الأسعار في داخل المدينة ، وضاقت المعيشة واشتد تعسف حيدر باشا بعد أن قلت موارد الرزق لديه ، فاستولى على أموال الأهالي وعاملهم معاملة قاسية مما اضطر الكثير منهم إلى طلب الخروج من المدينة ، فاستجاب لمطلبهم هذا فخلت المدينة من الأهالي ، وبقي هو وجنده فيها(٤٢) .

وبينما قوات الإمام تحاصر صنعاء كان الأمير أحمد بن القاسم يحاصر مدينة عمران ويشدد قبضته عليها، ويبدو أن حصاره لها كان محكماً مما اضطر الكيمخيا إلى طلب الأمان ثم التسليم بعد أن وجد نفسه مضطراً لذلك لانشغال الباشا حيدر عنه في فك حصار مدينة صنعاء ، فأعطاهم الأمير أحمد الأمان وسلمت المدينة واستولى على خزائنها ، وأرسل ما بها مع الأسرى إلى الإمام المؤيد في شهارة وجعل في عمران حاكماً من قبل الإمام المؤيد ، ثم واصل تقدمه بقواته لمساعدة اخويه في فتح مدينة صنعاء ، وفي أثناء سيره إليها حالفه أهل همذان ودخلوا في طاعة الإمام(٤٣) .

= ق ٧٤ ب ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٥ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٣ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٤١ ب ، غالب : محمد انعم ، **اليمن** ، ص ٥٨ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٦ .

(٤٢) مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٤١ ب ، مداح ، أميرة ، **العثمانيون والإمام القاسم** ، ص ١٩٨ .

(٤٣) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٣ ، أباظة ، فاروق ، **الحكم العثماني** ، ص ٢٥ .

وبعد أن وصل أحمد إلى الروضة وبقي بها بعد أن اجتمع مع أخويه ورسموا خطة القتال التي سيسيرون عليها وهي : ـ

أولاً : أن يخرج أحمد إلى ضوران ويتقدم الحسين من حدة إلى الجراف ، ويبقى الحسين في بيت عذران ، على أن لا تتوقف حملاتهم على المدن الصغيرة والقرى والحصون المحيطة بصنعاء وذلك لتأمين ظهرهم .

ثانياً : انتهاز فرصة انشغال حيدر باشا بالدفاع عن صنعاء والتوسع في المدن والقرى الأخرى ، فاستولا على الجاهلية ، وطيبة(٤٤) .

وفي هذا الوقت كتب الأمير الحسن إلى حيدر باشا يطالبه بتسليم المدينة بشروط أملاها عليه ، لكن الأخير رفضها فاستمر الحصار على المدينة ، ومما لا شك فيه أن عزيمة قوات الإمام كانت عالية واستعدادها كان كبيراً ، فهي لم تقتصر على محاصرة صنعاء وإنما استمر القتال في جهات أخرى من البلاد ، كما كانت الحركة التوسعية كبيرة في المناطق النائية فقد قاد كل من الشريف هاشم بن حازم المكي ، والسيد التقي بن إبراهيم جيشاً وتوجها إلى تهامة حيث دخل في طوع الإمام الكثير من أهلها وبعد أن وثقا من دخول الأهالي في حوزة الإمام في هذه المناطق التي مرا بها ، واصلا مسيرهما إلى أن تمكنا من التمركز قرب مدينة زبيد ، وقد حاولوا تسلقها بالسلالم إلا أن هذه العملية باءت بالفشل وذلك لمداهمة جنود الأتراك لهم ، وقد دارت معركة هنا بين الطرفين إلا أنه يبدو عدم تكافؤ القوتين فرجحت بالنصر كفة القوات العثمانية مما اضطر قوات الإمام إلى الفرار ، والتحصن في بيت الفقيه بن عجيل ، وبالرغم من هزيمة قوات الإمام على مشارف زبيد إلا أن الأمور جاءت عكسية بالنسبة للعثمانيين وذلك أن الكثير من أهالي المنطقة قد والوا الإمام ، ودخلوا في طاعته ، وكان على رأسهم أشراف حبيا وأبي عريش وحازان(٤٥) .

---

(٤٤) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٧٤ ، ابن لطف اللّه ، **روح الروح** ، ق ٢٧ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٦ أ .

(٤٥) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٦ . =

لقد بدآ موقف حيدر باشا صعباً للغاية في هذه الأثناء، فهو يرى الحصار المضروب عليه من قبل قوات الإمام ، كما أنه يسمع عن سقوط المناطق التابعة لولايته الواحدة تلو الأخرى في أيدي قوات الطرف الآخر بعد أن ضربوهم ضربات قاضية، غير أن أكبر المآسي عليه هروب بعض قادة جيشه والمؤيدين له من صفوفه والانضمام إلى الطرف المعادي، ومثالاً لذلك دخول الأمير سنبل والأمير عبد الرب ، وقد كان سنبل هذا من أعظم وأشهر القادة في الجيش العثماني ، وقد قرر الانضمام إلى حوزة الإمام بعد المعاملة السيئة التي طبقها الباشا حيدر ضدهم ، علاوة على النقيض من هذا في معاملة ابن القاسم للأمراء وقادة الجيش وتوجيه قواده وأمرائه بالمعاملة الحسنة للمحتمين بهم(٤٦) .

وقد مهّد الأمير سنبل لما اتخذه من قرار خطير بأن أرسل إلى الحسن بن القاسم خطاباً يعلن فيه طاعته للإمام المؤيد ، ويطلب لنفسه الأمان منه ومما لا شك فيه أن عمل الأمير كان ضربة للقوات التركية في اليمن ومكسباً لقوات الإمام ، فقابل الحسن عرض القائد العثماني بكل ترحاب وأعطاه ما شرطه عليه ـ وهو الأمان ـ ويبدو أن ثقة الأمير القاسمي بالأمير العثماني كانت كبيرة جداً فكافأه على عمله هذا بأن عينه حاكماً على ذمار ليكسب وده ، ولعله كان يمهد للاستفادة من خبراته السابقة في الجيش العثماني .

وكما أن الأمير عبد الرب طلب الأمان لنفسه ثم الانضمام إلى حكومة الإمام فأجيب طلبه ، وأحسن قادة آل القاسم معاملته .

وقد ترتب على هذا التحول أشياء كثيرة لم تكن في صالح الجيش

= أبي عريش : قرية من قرى جازان ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٣٤ .

صبيا : من قرى عشر من ناحية اليمن ، ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، جـ ٣ ، ص ٣٩٢ .

جازان : موضع في طريق حاج صنعاء وتسمى اليوم جيزان وتقع على البحر في جنوب شرق القنفذة ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٧٨ .

(٤٦) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٣ .

العثماني وهي : -

(١) إن هذا القائد الماهر البارع في فنون الحرب - الأمير سنبل - قد نقده الجيش العثماني بانضمامه تحت لواء جيش الإمام .

(٢) أنه كان على علم بخطة القتال التي تسير عليها القوات العثمانية ومما لا شك فيه أنه سيسير بها إلى قوات الإمام ومن ثم سيكون منطلقهم الحربي منها .

(٣) انه على علم بمواطن الضعف والقوة في القوات التركية .

(٤) يعتبر انضمام الأمير سنبل إلى قوات الإمام مكسباً حربياً هاماً[٤٧] .

ونتيجة للتطورات الحربية والتي كانت في صالح قوات الإمام وتحول القائدين التركيين إليها ، أخذت المدن اليمنية تتسابق في الدخول تحت حكم آل قاسم بالاضافة إلى ذلك فقد فتح الإمام كثيراً من الحصون التي كانت تابعة للدولة العثمانية مثل حصن غفار ومدع . كذلك وجد الأمير الحسن الفرصة سانحة أمامه بعد دخول الأمير الحسن بن ناصر بن محمد الحمزي في طاعته أن يرسله على رأس جيش من أهل الحدا لفتح اليمن الأسفل ، وكان يرافقه السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن فتم له ذلك . هنا نرى أن غالبية بلاد اليمن دخلت تحت حكم آل قاسم ما عدا القليل منها مثل مدينتي تعز وصنعاء التي فرض عليها الحصار لاجبارها على التسليم[٤٨] .

كان الأمير الحسين أول ما يهتم به عند فتحه أي مدينة هو تولية قيادتها إلى يد أمينة فقد كان يختار الولاة للمناطق المفتوحة . عيّن الإمام السيد جمال الدين علي بن إبراهيم جحاف على ريمة ، والسيد محمد بن علي القراع على

---

(٤٧) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٣ ، غالب ، محمد ، **اليمن** ، ص ٥٨ .

(٤٨) ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٧ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٦ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٥ أ .

حفـاش وملحان بعـد أن قبض على عامـل الدولـة العثمانيـة هناك وهـو الآغا عسلان .

وفي هذا الوقت كان الحسن بن الإمام القاسم يشدد الحصار على صنعاء حتى يجبر الباشا حيدر على تسليم المدينة بعد أن ضرب الأخير بئر العزب ، فقام الأمير الحسن بعد هذا العمل أن قطع الطريق إلى صنعاء فمنـع الخارج منها والداخل إليها ، ثم أصدر أمراً فحواه أن من أُدخل شيئاً إلى صنعاء سواء كان مالاً أو طعاماً أو متاعاً فإن دمه وماله مباح ، لذلك أجبر الكثير إلى الامتناع عن تقديم أي مساعدة للمحاصرين فيها(٤٩) .

انتهز الحسن فترة حصار صنعاء وهي فتـرة ركود قلت فيهـا المناوشـات الحربية ، بأن أخذ في تقوية جنوده الموجودين في حدة بعـد أن رأى أنه ليس في مقدور قواته المحاصرة مجابهة القوات العثمانية الموجودة في صنعاء ، لأن الأخيرة تفوقهم في العتاد والسلاح والتدريب على فنون القتال .

هذه الحالة كانت خارج صنعاء . أما داخلها فقد وجد حيدر باشا نفسه في مأزق لا مفر منه بعد أن اشتد الحصار عليه ، وقل ما في يده ، ووجد أتباعه يتخلون عنه الواحد تلو الآخر ، فزاد من تعسفه على من كـانوا مـوجودين في المدينة كرد فعل للانتقام منهم ، والخوف من خيانتهم ، فأخذ يعاملهم بقسوة فـائقة ويـذيقهم صنـوف العـذاب بـدلاً من أن يكسبهم إلى صفـه ، ويحسن معاملتهم فحبس الأمير كاتي شلبي في الدار الحمـرا بعد أن وجـه إليه تهمـة إهماله في عمله وعدم إخبار الباشا بتحـركات أولاد الإمـام في سير حـروبهم كذلك عدم إعلامه عن البلاد التي افتتحوها ، ولم يكتف بذلك ، بل تعدى به الأمر إلى إساءة معاملة وزيره المحرقي الذي اتهمـه بالخيـانة، فصـادر جميع أمواله ، وأملاكه وحبسه في داره ومنـع عنه الطعام إلى أن اضطر أن يستجدي حسنة المارين من أمام شباكه لكن حيدر عندما علم بذلك أمر بأن تسمر كفاه

---

(٤٩) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٦ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٦ ب .

في النافذة حتى يكون عبرة لغيره[٥٠] .

إن هذه المعاملة القاسية التي أخذ حيدر باشا يعامل بها أصدقاءه، مع عدة عوامل أخرى ، كانشغال الدولة العثمانية عنه بحروبها مع الصفويين ، وبعده عن مركز الخلافة ، هذه العوامل مجتمعة كانت بمثابة معول هدم للسيادة العثمانية في اليمن ، فما أن انتهى عام ١٠٣٦هـ . حتى كانت غالبية بلاد اليمن تحت حكم آل القاسم ما عدا بعض المناطق وهي الواقعة في جنوبها أو ما يسمى باليمن السفلى مثل تعز وزبيد ، والمخا ، بالإضافة إلى صنعاء التي ضرب حولها حصاراً شديداً .

وما زال الحصار مضروباً حولها حتى ضاق الباشا ذرعاً به فطلب عقد هدنة بينه وبين المحاصرين فأجابه الإمام إلى ذلك ، وقد كانت هذه الهدنة بمثابة محطة استراحة من عناء الحرب التي استمرت وقتاً طويلاً . لذا لجأ حيدر إلى هذه الهدنة وكانت خدعة منه لأجل طلب العون والمدد من مركز الخلافة في مصر ومن أجل لمّ شتات أمره ، لذا نجده قد أرسل رسوله الأمير سليم إلى مصر لطلب المساعدة والنجدة وشرح ما آل إليه أمر البلاد هناك ، ولكن قبل وصوله تبادر إلى مسامع المسؤولين العثمانيين عن انتصارات الإمام فجهزوا جيشاً كبيراً بقيادة القائد قانصوه باشا الذي ترك له حق اختيار من يراه مناسباً من أفراد الجيش فكوّن جيشاً كبيراً من جند مصر والشام[٥١] .

---

(٥٠) ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٦ أ ، غير معروف ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٥ أ ب ، يحيى ابن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٧ ، مداح ، أميرة ، **العثمانيون والإمام القاسم** ، ص ١٩٨ .

(٥١) ابن لطف الله ، صلاح ، **روح الروح** ، ق ١٥٨أ ، الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٩٥ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ٨٦ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣١ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٦ أ .

لقد كانت الدولة العثمانية في شغل شاغل عن مد الباشا العثماني في اليمن بالامدادات بسبب ما وصلها أن الباشا عباس الصفوي قد استولى على الكثير من بلاد العراق فجهز السلطان جيشاً كبيراً تولى قيادته حافظ أحمد وأرسله إلى هناك فدارت بين الطرفين معارك كثيرة انتصر فيها الشاه عباس الصفوي فاستولى الأخير على الكثير من البلاد حتى وصل إلى =

كما أن الطرف الثاني قبل الهدنة من أجل التفرغ لفتح البلاد الأخرى . والتي تتمركز فيها القوات العثمانية ، لذا نجد الأمير الحسن يسير على رأس جيش كبير يتقدمه الأمير عبد الرب متجهاً إلى أسفل اليمن وقد ترك الحسن أخويه الحسين وأحمد فكان الحسين في الحدا وأحمد في الروضة ، وهذه مواقع استراتيجية لقطع الطريق على الخارج والداخل إلى صنعاء ، وقد اتخذ هذا القرار بعد أن رأى عدم جدوى الحرب في هذه المناطق ، وذلك بسبب تحصين مدينة صنعاء بأسوارها العالية ، وتمركز عدد كبير من القوات العثمانية فيها لأنها تعتبر أكبر معقل للقوات العثمانية ، كما أن الجند العثماني استمات في الدفاع عنها لذلك رأى الحسن فرض الحصار عليها ، حتى يضيق عليهم الخناق ويأتوه مسلّمين المدينة[٥٢] .

واصل الأمير الحسن السير وفتح في طريقه عدة مدن هي زراحة وحصن ذي مرمر ، وذمار ، ثم تقدم إلى تعز لحصارها بعد أن فشلت المحاولة الأولى لفتحها على يد الأمير الحسين بن ناصر الجوفي الذي تقهقر إلى يريم .

ويبدو أن قوات العثمانيين هناك كبيرة وتتطلب مواجهتها استعداداً كبيراً ، لذا فقد طلب الأمير الحسن من شقيقه الإمام أن يمده ببعض الجند والذخيرة لكي يتغلب على ما سيواجهه من صعوبات في القتال ، وحين سمع العثمانيون الموجودون في تعز بمقدمه أعلنت حالة الاستنفار في المدينة ، فجمعت الجيوش وأمرت أن تكون على أهبة الاستعداد لملاقاته ، وكان حاكم تعز في ذلك الوقت الآغا علي .

هذا ما كان من أمر الموجودين داخل المدينة ، أما القادمون إليها فقد استعد الأمير الحسن لمجابهتهم . وقد رسم الخطط لفتح المدينة ، فقسم جيشه إلى مقدمة وجعل عليها الأمير عبد الرب ومعه ما يقارب من ألفي رجل ،

= الموصل ، وديار بكر ، وأخذوا مدينة أمد ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٨٢ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨٢٨ .

(٥٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٩٩ ب ، ١٠٠ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٠ .

وقاد هو باقي الجيوش فأخذ في إحكام الحصار عليها بأن اختار لهم موقعاً يشرف على الخارج والداخل إليها . وهو أن تمركز في منطقة الحجرية ، والأمير عبد الرب في القاعدة ، وجبل صبر ، ولم يكتف بذلك بل نشر المحطات حولها[٥٣] .

وما إن سمع أهل اليمن الأسفل بقدوم أحد أُمراء آل القاسم حتى أتوا إليه مبايعين ، ومعلنين الطاعة وكذلك الأمراء التابعون للباشا العثماني وما أن تبادر إليهم خبر وصول ابن الإمام حتى أعلنوا الطاعة ،وذلك مثل صاحب آبين عبد القادر بن محمد الجرهمي الذي لم يكتف بإعلان الطاعة لهم بل انتهز فرصة انشغال العثمانيين بالدفاع عن تعز فسارع بالاستيلاء على لحج ، وعدن ، وأرسل إلى الحسن مبدياً استعداده بمده بالجنود والمؤن مما قوى من موقف الأمير الحسن في هذه المنطقة وجعله يضرب حصاراً شديداً على تعز ، ونتيجة لذلك وصل الأمر بمن بها إلى الهلاك ودارت عليهم الدائرة ، وبدلاً من أن يخفف الوطأة على الأهالي هنا أخذ الآغا علي حاكم المدينة يقسو على من بها فاستولى على أموالهم بالقوة وسام تجارهم سوء العذاب[٥٤] .

لقد كانت المعارك بين الطرفين تدور ليلاً ونهاراً، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين ، أظهر فيها الآغا علي ضروباً من البطولات ، والثبات في المعركة شهد له الأعداء قبل الأصدقاء ، ولكن تفرق الجند وعدم تكافئهم أدى إلى انهزامهم في النهاية ، وقد أرجع بعض المؤرخين إلى أن دخول الحسن

---

(٥٣) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٠٠ أ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨٢٨ ، ابن لطف الله ، صلاح ، **روح الروح** ، ق ١٥٨ ب .

الحجرية : تقع جنوب تعز على بعد ٧٠ كيلو متر منها . الموسى ، اليمن الكبرى ، ص ٣٠ .

جبل صبر : يقع جنوب تعز ومعروف بشكله الهرمي وارتفاعه حوالي ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر ، الويسي ، حسين ، **اليمن الكبرى** ، ص ٣٣ .

(٥٤) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٠٠ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ ب ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٣٢٨ .

إلى تعز كان بسبب ما فعله حاكمها الآغا علي من التفريق بين عسكره الذين كانوا تحت تصرفه وبين العسكر الموجودين في حصن القاهرة ، وكان هذا الحصن بمثابة الحامي لمدينة تعز ، فقد قيل أن الباشا ايدين أرسل من المخا ببعض النقود ، والرتب لتوزيعها على المقاتلين وكذلك أرسل حيدر باشا من صنعاء مثلها بالإضافة إلى بعض الرياش لكن الآغا علي وزعها على عسكره فقط ، ولم يجعل لعسكر الحصن نصيباً منها مما جعلهم يحقدون عليه ويدبرون الخطط للانتقام منه ، فاخذوا في مراسلة المحاصرين لتعز وعقدوا معهم اتفاقية مساعدة وهي ان يفتحوا لهم أبواب المدينة ويسهلوا لهم مهمة الدخول إليها وتمهيد الطريق لهم مقابل إعطائهم الأمان فوعدهم الحسن بذلك ، وهنا قامت القوات المحاصرة بالهجوم على المدينة فلم تبادر قوات الحصن بالدفاع عنها بل أمدتهم بالعون والمساعدة فتم لقوات الإمام فتح المدينة ونهب العسكر أسواقها ، وألقوا القبض على الآغا علي وأرسلوه إلى شهارة ومعه عدد من الآغوات ، وبفتح تعز يكون قد انهار أكبر معقل من معاقل القوات العثمانية(٥٥) .

وفي هذه الأثناء وخلال هذه الانتصارات الرائعة التي كسبها جيش الإمام والخسائر الفادحة التي منيت بها القوات العثمانية في اليمن سار الجيش الكبير الذي تكوّن في مصر لنجدة القوات العثمانية باليمن تحت قيادة الباشا قانصوه فوصل إلى ميناء المخا واستقر بالمدينة ولكن كان وصول هذا الجيش إلى اليمن متأخراً فقد كانت الأمور تجري على عكس ما كان يريد العثمانيون ، لأنه قد انقضت الهدنة التي عقدها حيدر باشا مع الإمام ، فرأى الباشا العثماني أنه ليس بمقدوره مواصلة القتال وخاصة بعد أن تأخر وصول القوات المساعدة من مصر وزاد الأمر سوءاً سقوط مدينة تعز في يد قوات الإمام بالإضافة إلى اشتداد الحصار عليهم وقد ضاق بهم العيش في صنعاء ووجد الباشا أنه ليس في

---

(٥٥) ابن لطف الله ، **روح الروح** ، ق ١٦٣ أ ، الجرافي ، **انباء اليمن** ، ق ٨٣ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ ب ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٨ ، ٨٢٩ .

صالحه البقاء ، فقرر تسليم المدينة على شرط أن يعطى الأمان له ولمن معه ومن بداخلها من الموالين السابقين العثمانيين كما اشترط أن يرافقه عند خروجه منها أحد ابناء الإمام المؤيد يصحبه أحد العلماء ، وذلك ليأمن معاقبة اخوان الإمام له وقتله حين خروجه من المدينة ، فوافقه الإمام على ذلك ، وأرسل ابنه علي ومعه الفقيه عامر الذماري ، وحين وصول علي إلى صنعاء أحسن معاملة الباشا وأكرمه كعادة ابناء آل القاسم وزيادة في إكرام الباشا فقد أعدله فرساً سرجها مكسو بالذهب وأعطاه سلاحاً ليتمكن من الدفاع عن نفسه إذا اعتدى عليه أحد أثناء سيره إلى حيث يريد الإقامة وعند خروجه ودعه عدد كبير من جنوده الذين اختاروا البقاء في صنعاء والانضمام إلى قوات الإمام ، فسار الركب إلى أن وصل إلى المحويت ، وهنا تركه ابن الإمام ليواصل سيره إلى مدينة زبير التي اختارها لاقامته فبقي بها ، غير أن حاكمها من قبل العثمانيين اتهمه بميله إلى آل القاسم ، وبعد أن نمي إلى علمه أنه يراسلهم فقبض عليه وأرسله إلى السجن في جزيرة كمران ، وبقي بها حتى وصول الباشا قانصوه الذي عين حاكماً جديداً على ما بقي للدولة العثمانية في اليمن[٥٦] .

ويعتبر تسليم مدينة صنعاء انتصاراً عظيماً للقوات الإمامية وبسقوطها سقط أكبر معقل للقوات العثمانية ، وبذلك فقد اختلت موازين القوى بين الطرفين وظهرت سيطرة قوات الإمام فتراجع الطرف الآخر في هذه المنطقة ، وعندما نمت انباء تسليم المدينة إلى قانصوه زحف بجيشه وتمكن من الاستيلاء على التهائم وقد هال الناس جيشه العظيم الذي يفوق عدده الوصف ، فأثار في قلوبهم الخوف والفزع . وكعادة الباشوات العثمانيين فإن هذا القائد حين وصوله إلى اليمن بدلاً من ان يكسب محبة الناس وتعاونهم معه وأن يعاملهم معاملة حسنة ترغبهم في الانضمام إليه إلا أنه عمل على عكس ذلك فأخذ في

---

(٥٦) الكبسي، **اللطائف السنية** ، ق ٧١ ب، الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٠٥ أ ب، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، ق ٨٢ ب ، ٨٣ ب ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ٥٩ أ ، العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، ص ٣٥٤ ، مداح أميرة ، **العثمانيون والإمام القاسم** ، ص ٢٠٠ .

تنفير أقرب الناس إليه ، وهم جنده وقادته ، فأول عمل قام به بعد وصوله أن استدعى حاكم المخا الباشا ايدين ثم امر بشنقه دون ذنب اقترفه ، أو عمل يستحق عليه هذا العقاب ، ولم يعرف عن الباشا المشنوق إلا رجاحة العقل والاتزان والحلم ، ولعل هذه الصفات كانت هي الذنب الذي بسببه ثارت روح الغيرة والحقد في قلب الباشا قانصوه ، وذلك حين رأى حب الناس له والتفافهم حوله، ففعل فعلته هذه، ولعله كان يخشى سيطرته الفعلية في حكم اليمن ، ولم يكتفِ بذلك بل زاد الأمر سوءاً حين قتل الفقيه أحمد بن جعفر الصوفي عندما رفض أن يلبي طلبه بمده بالمال والزاد وتعلل الأخير بأن الناس متفرقون في الجبال بسبب الحروب التي اندلعت في البلاد ، فظن الباشا أنه يتهرب من الدفع ، فأمر بقتله(٥٧) .

هذا ما كان من أمر معاملة الولاة العثمانيين في اليمن لقادتهم ورغبتهم ، يقابلها من الجانب الآخر معاملة آل القاسم الذين اسروا قلوب اعدائهم قبل الأصدقاء بحسن المعاملة والترغيب في الانضمام إلى جانبهم وحبهم ولتسامحهم وأكبر مثل على ذلك انضمام الكثير من القادة العثمانيين إلى صفوفهم ، فمثلاً الأمير سنبل الذي كان من كبار القادة في صفوف الجيش العثماني ، وأصبح من أكثر المخلصين لآل القاسم ، كذلك الأمير عبد الرب الذي كان من أتباع العثمانيين ، فتحول إلى جانب آل القاسم ، وغيرهم كثير ، وأكبر دليل على ذلك ميل الباشا حيدر إلى جانبهم بعدما كان من ألد أعدائهم ، وسبب هذا التحول هو ما لقيه لديهم من حسن المعاملة الذي افتقده عند الطرف الآخر(٥٨) .

هذا ما كان من شأن المعاملة بين صفوف المقاتلين من الطرفين وهي تنعكس على عطائهم في القتال ، أما عن الحرب ففي هذا الوقت الذي كان

---

(٥٧) ابن لطف الله ، **روح الروح** ، ق ١٦٤ أ ـ ١٦٨ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣١ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٨٦ أ .

(٥٨) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٦٩ ب .

الباشا قانصوه يعد قواته للهجوم على جنود الإمام بادره الأمير الحسن بهجوم مباغت على جنوده الموجودين في المخا ودخل المدينة وقتل عدداً كبيراً من جند العثمانيين مما اضطرهم إلى عقد هدنة بين الطرفين من بنودها :

١ ـ تسليم عشرة آلاف قرش وخمسة أحمال من الرماح الهندية لقوات الإمام .

٢ ـ إخراج المساجين العرب الموجودين في البحر .

وقد لاقى الوفد كل إكرام من الأمير الحسن ، وقد خلع عليهم الخلع النفيسة ، ثم أرسل مندوبه السيد المهدي بن الهادي لاستلام المال المشروط في المعاهدة(٥٩) .

وفي هذا الوقت أخذ الباشا قانصوه يعد العدة لاسترجاع ما ضاع على العثمانيين من مناطق في اليمن ، ثم تقدم بجيش كبير يرافقه القائد مصطفى باشا الأول والكيخيا يوسف إلى مدينة حيس ، استعداداً لبدء القتال ، وعندما سمع الإمام بذلك أصدر أمره بالتحرك لملاقاتهم ، وكان قانصوه قد أمر جنده الذين كانوا تحت قيادة الكيخيا يوسف بالتوجه إلى منطقة نجد المحيرب للاستيلاء عليها ، فتحرك جيش الإمام لحمايتها ، وكانت قيادته قد قسمت على ثلاثة قوّاد كبار فكان الأمير الحسين بن الإمام يقود أهل الحدا ، وجزءاً من جنود أهل اليمن ، والأمير سنبل يقود أهل الشام أما الأمير الحسن بن الإمام فكانت تحت قيادته بقية الجيوش وكانت أكبر الفرق ، فاجتمعت تلك الجيوش في منطقة تسمى الفحيم ، ثم لحق بهم الأمير عبد الرب ومعه الفرقة الرابعة ، وقد كان اختيار هذه المنطقة لتجمع جيوش الإمام بسبب ما عرفت به من وعورة المسالك ، إذ أن السالك لها من غير معرفة بها فهو هالك لا محالة(٦٠) .

وكانت الجيوش الإمامية تترقب قوات قانصوه ، وحينما علموا أنه يريد ضرب مدينة تعز والتي كان يخطط لاسترجاعها ، اتفق القادة على ضرب

---

(٥٩) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٨١ ب .

(٦٠) ابن لطف الله ، صلاح ، **روح الروح** ، ١٦٤ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني**، القسم ٢ ، ص ٨٣١ ، يحيى بن الحسين ، **ابناء الزمن** ، ق ٨٧ ب .

حصار شديد على قوات قانصوه الموجودة في حراسة وحماية المدينة ، فتمركز الحسن في تعز ، والحسين في وصاب ، وباقي القوات تمركزت في أماكن استراتيجية أخرى ، وهكذا فرض على قانصوه حصار شديد لا يستطيع أن ينفذ منه إلى تعز[٦١] .

وَهنا استدعى الباشا الكيخيا يوسف الذي كان تحت امرته عدد كبير من الجنود لفتح الحرب في نجد المحيرب ، فسار إلى المنطقة المشار إليها ، وبقي الطرفان متقابلان دون قتال مدة ثلاثة أشهر، ولكن تسرب الملل للطرفين فأمر قانصوه جنوده ببدء القتال ، غير أن بعض أصحاب الرأي اشاروا عليه بالتريث لدراسة الموقع الذي سيقاتلون فيه ، حتى يعرفوا منافذه وطرقه لأنه جديد عليهم وانهم غرباء على هذه المنطقة ، على عكس الطرف الآخر الذي يمثل أصحاب المكان ، وقد عرفوه شبراً شبراً ، ولكنه لم يسمع النصح ، وأمر ببدء القتال[٦٢] .

أما الحسن فقد رأى أنه من الصواب أن يتمركز في منطقة جبلية عالية تشرف على ما حولها ، لذلك وقع اختياره على جبل الزواقر لتستقر به قواته لموقعه الاستراتيجي ، فهو يشرف على حيس وبلاد شرعب كلها ، ومعروف أن القوات التركية قد تمركزت في هذه المنطقة إذاً فإنه أصبح بالإمكان مراقبة تحركاتهم وكشفهم ، وهذا يدل على حسن الاختيار ومعرفة أماكن هذا البلد ، إضافة إلى ذلك فإن اختيار هذه المنطقة الجبلية لم يكن عشوائياً ولكن بتخطيط مسبق ، لأن الاتراك لا يعرفون حرب الجبال ، وكذلك جهلهم بالمناطق الجبلية في اليمن ، وبذلك كان من السهل على قوات الإمام هزيمتهم[٦٣] .

---

(٦١) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٢ .

(٦٢) ابن لطف الله ، **روح الروح** ، ق ٦٤ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٨٦ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٤ أ .

(٦٣) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ٨٨أ ، ابن لطف الله ، **روح الروح** ، ق ١٦٤ ب .

أخذت قوات الإمام بمناوشة القوات التركية لكشف مواضع الضعف فيها ، وأخيراً اشتبك الطرفان في معركة حربية كانت كفة النصر إلى جانب قوات الإمام ، فقتل في هذه المعركة العديد من جنود الأتراك .

وحين علم الباشا قانصوه بهذه الهزيمة التي أصابت جنده أخذ يعد العدة للانتقام من القوات اليمنية ، فتحرك من زبيد إلى منطقة يقال لها الشيخ عيسى ،وجاء اختيار قانصوه لهذه المنطقة لجهله بجغرافية البلاد اليمنية ، لأنه أوقع نفسه وجنده في مصيدة الحصار ، فقد سدت عليه قوات الإمام جميع الطرق المؤدية إلى تعز ، وحين علم بهذا الحصار المفروض على قواته أخذ يتخبط لا يدري ماذا يعمل ، فتحول إلى منطقة نجد المحيرب ، وكان معه عدد كبير من جنده ، وعلى رأسهم الكيخيا يوسف(٦٤) .

هذا ما كان من حال قوات الدولة العثمانية ، أما الطرف الآخر وهم جماعة الإمام فقد عرف الحسن وبقية قواده بتحرك قوات قانصوه وما هم عليه من عدة وعتاد ، لذلك فأخذوا في حشد قواتهم لمواجهة هذا الموقف ، ثم بادروا هذه القوات بالهجوم عليها وشتتوا شملها ، فدارت معركة بين الطرفين ، وكان يقود قوات العثمانيين الباشا عابدين فحملت عليهم قوات الإمام وهزمتهم وقتلت قائدهم ، وغنمت منهم مغانم كثيرة واستولت على ما لديهم من عدة وعتاد من خيل وجمال ، فوزع الحسن هذه المغانم على القادة والعسكر فأعطى الأمير الحسن صنجق عابدين ، وكان ذا نقوش جميلة محلاة بالذهب كما أعطى الأمير سنبل النوبة التي يضرب بها للباشا عابدين(٦٥) .

وبعد هذه الهزيمة التي منيت بها قوات قانصوه باشا ، وما رأى عليه قواته

---

(٦٤) الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧١ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٨٨ أ ب .

(٦٥) يحيى بن الحسين ، **انباء ابناء الزمن في تاريخ اليمن** ، ق ٨٧ ب ، دار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧١ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن**، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ٨٨ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٤ ، ابن لطف اللّه ، **روح الروح** .

من سوء حال ، وما تعرضت له من سلب ونهب ، وقتل ، أخذ يخطط للمرة الثانية لضرب قوات الإمام وخاصة عندما سمع أن الأمير الحسن ينوي الهجوم على المخا ، التي تعتبر من أكبر المعاقل التركية في اليمن والتي بقيت في أيديهم ، فخرج على رأس جيش كبير وسار به إلى التهائم ، ولكن هذا الجيش لم يستطع تحمل جو تلك المناطق المليئة بالرطوبة والحر الشديد ، وهنا رأى قانصوه أنه من الصواب عقد صلح مع الإمام لمدة عام كامل حتى يتسنى له إعداد الجيش من جديد ، وقد قرر هذا بعد أن مني جيشه بهزائم عديدة فقد بسببها العديد من الجند ، كما أنه قصد من هذه الهدنة أن يعطي جنده فرصة يرتاحون فيها من عناء الحروب التي واجهتهم بها القوات اليمنية المنتصرة ، وهذه الهدنة أيضاً ستعطيهم فرصة لدراسة جغرافية المنطقة التي يجهلونها تماماً ، وعندما وصل طلب الباشا قانصوه بعقد الصلح للإمام المؤيد قبله على الفور ، وقد استهدف من جانبه التفرغ لأمور البلاد ، وإصلاح ما دمرته الحروب من عمارة المدن والطرقات ، كما أن الجنود سيأخذون قسطاً وافراً من الراحة بعد عناء الحروب المتصلة ، والتي خاضوا غمارها مدة طويلة(٦٦) .

وفي مدة هذه المعاهدة سارت الأمور هادئة بين صفوف جند الإمام فحاول الإمام المؤيد بمساعدة اخوته إصلاح أمور البلاد وتنظيم إدارتها . أما الطرف الآخر فكانت الحالة على عكس ذلك ، فقد دب الحسد والقضاء بين القادة العثمانيين من أجل السلطة ومن اجل ذلك مال العسكر إلى قائدهم الكيخيا يوسف ، فأخذوا يعظمونه ويقدرونه ، ويقدمون له فروض الطاعة ، حتى انه إذا ركب ساروا بين يديه ، وإذا أمر اطاعوه ، حتى وصل بهم الأمر إلى تنفيذ أمره على أمر الباشا قانصوه ، فثارت روح الغيرة في نفسه ، وخاف على مكانته القيادية ان ينقلب عليه جنده ، ويتبعوا الكيخيا يوسف بدلاً منه ، لذلك

---

(٦٦) يحيى بن الحسين، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٧ ب ، ابن لطف الله ، عيسى ، **روح الروح** ، ق ١٦٧ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٢ ، مجهول ، **السيرة المباركة** ، ق ٢٥ أ البروزيان ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ أ .

دبر له مكيدة للخلاص منه ، فعندما دخل عليه كعادته كل صباح أمر مماليكه أن يقطعوا رأسه ويرموه للجند ، دون ما ذنب ارتكبه ، وذلك ليكون عبرة لهم ، لكن هذا العمل أثار عليه جنده فحاصروه في قلعة المخا ، وكادوا يقتلونه ، لولا أنه أخذ في مهادنتهم ، وأمر بزيادة رواتبهم ، مما اخرس ألسنتهم وهدأ من ثورتهم ، وبالرغم من العطايا والهبات التي قدمها لهم ، فقد اتفقوا فيما بينهم بأنه لو اعتدى على أحد منهم فإنهم سيكونون عليه يداً واحدة ، وانهم على استعداد لقتله والخلاص منه(٦٧) .

هكذا كانت الحالة بين صفوف العثمانيين في اليمن ، نفاق ومؤامرات وقتل بدلاً من أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم لمواجهة عدوهم ، والاهتمام برسم الخطط للدفاع عما بقي في أيديهم من أراضٍ ، ومحاولة استرجاع ما ضاع منهم ، ولكن الواقع هو أن كل فريق كان يسعى للخلاص من الآخر ، فقد كانت قلوبهم شتى ، وان انتشار مثل هذه الحالة بين الجند وقادتهم علامة لانهيارهم ، وبداية لنهايتهم(٦٨) .

وقد سارت الأمور بين العثمانيين هادئة ، فلم يتم خلالها أي اشتباك أو نقض للهدنة حتى انتهت مدتها غير أنه في خلال هذا الوقت كان الحسن يعد العدة لمواجهة الباشا قانصوه ، حين كثرت شكوى أهالي تهامة من جوره وظلمه ، فأخذ يجمع جنده ويرتب صفوفهم ، ثم سار بهم إلى تهامة بمحاذاة بلاد أنس ، واسفال ريحة إلى أن وصل إلى بيت الفقيه ، وهنا سمع الجند العثمانيون بقدومه ففروا منها إلى زبيد والمخا يريدون حمايتها ، هذا وقد تمكن الحسن من الاستيلاء على تهامة سلماً دون قتال ، ثم قام بتنظيم أمور البلاد وولى عليها الولاة ، فولى على اللحية النقيب سعيد المحربي ، وعلى الحديدة القاضي الهادي بن عبد اللّٰه الحارثي ، ثم بعد ذلك سار إلى منطقة

---

(٦٧) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٩٤ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٦ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٢ أ ، مجهول **السيرة المباركة** ، ق ٢٥ أ ب .
(٦٨) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٦٤ أ ، مجهول ، **السيرة المباركة** ، ٢٥ ب .

الصحى وأقام بها ، وأخذ في توزيع الغنائم والأموال على عسكره ، وذلك لتقوية روحهم المعنوية فعندما ينالون أجر ما فعلوه يتجدد نشاطهم ويقوى حماسهم(٦٩) .

ثم أخذ يستعد للسير إلى المنصورة، وهي منطقة مقابلة لزبيد استعداداً لحصار المدينة الأخيرة ، وحين وصل إليها أمر الجند أن يلتفوا حول أبوابها ، وأن يطوقوها من كل جانب ، ثم أخذ في تعمير الحمى ، وإنشاء سوقها ، وجلب إليه كل ما تحتاجه المدينة ، وذلك لراحة جنده أثناء الحصار . بقي في الحمى وأخذت الامدادات تأتيه من كل حدب وصوب ، إلى أن أصبح تحت امرته عدد كبير من الجند ، فأعد لهم المحطات ، وعين على كل محطة أميراً يرعى مصالحها وكان على مقربة منهم الأمير سنبل ومعه كتيبته التي نزلت في منطقة القرية ، وبالقرب منه الشيخ علي شمسان ، فكان في منطقة خارج مدينة حيس(٧٠) .

لم يكن فرار الجند التركي من بعض مواقعهم نهايتهم من تهامة وإنما حدثت بين الطرفين في هذه الأثناء بعض الاشتباكات ، وكان من أهمها ما وقع في يوم عيد الأضحى من سنة ١٠٤٣هـ. حينما خرجت فرقة من الجند الموالين للأتراك تحت قيادة الأمير مصطفى من موزع لمهاجمة الأمير شمس الدين الذي كان موجوداً في المظفرية من بلاد الحجرية، وقد كان هذا الموقع منخفضاً ، فأشار عليه رفاقه بالارتفاع إلى مكان عال حتى تسهل عملية القتال ، لكنه رفض وبقي في نفس الموضع حتى هاجمه الأمير مصطفى وقتل من جيش الإمام عدداً كبيراً وعلى رأسهم قائدهم ، وعندما سمع أولاد الإمام بخروج العثمانيين من موزع سارعوا لحماية تعز ، فسار الأمير الحسين وخيم

---

(٦٩) يحيى بن الحسين، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٩ أ ، **يحيى بن الحسين**، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٦/ ٨٣٧ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ٩٥ ب ، الجنداري، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٧ أ ب .

(٧٠) يحيى بن الحسين، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٩ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٧٦ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، ق ٩٥ أ .

في يغرس ، لكن هذه القوات هاجمت المظفرية وعادت إلى قواعدها ولم تستمر في طريقها إلى تعز[٧١] .

ونتيجة لهزيمة قوات الإمام على يد أعدائهم الأتراك ارتفعت الروح المعنوية لدى جند الأمير مصطفى الموجود في موزع ، وهنا أخذ الأمير مصطفى يتحرش بجنود الإمام المرابطين في تلك المنطقة فأراد الحسن بن الإمام تأديبه وردعه عن غيه وكسر شوكته فأخذ يتتبع أخباره فعلم أنه يخرج من زبيد إلى المخا للتشاور مع الباشا قانصوه لترتيب أمورهم وإمداده بالعون والمساعدة ، وتتمثل في مده بالرجال والمال والعتاد ، كذلك تبادر إلى الحسن أن هناك قافلة كبيرة محملة بأحمال عظيمة من طعام وسلاح كانت في طريقها إلى زبيد ، فهاجمها الحسن ليلاً بعد أن ولى شقيقه الحسين على المحطة ، فاشتبك الطرفان في معركة بوادي النخيل ، وقد كانت قوات العثمانيين في هذه المحطة محصنة بالسلاح والرجال ، تحميهم مدفعيتان ، ورسم الأمير مصطفى خطة حربية لجنده وهي أن ينقسم الجيش إلى فرقتين فتقاتل الفرقة الأولى بينما الأخرى تستعد لمساندتها ، وذلك لعدة أسباب ، أولها : لإخافة العدو وإيهامهم بالكثرة وأن مدداً أتى لمساعدتهم ، ثانياً : أن تكون هذه الفرقة في كامل نشاطها عندما يكون الطرف الآخر قد أتعبه القتال فترجح كفة الأتراك في المعركة[٧٢] .

وقد دارت المعركة بين الطرفين ، غير أنها في البداية كانت سجالاً ثم بدأ جيش الحسن يسير نحو الانهزام لولا أن قادته وجنوده لجأوا إلى الخدعة الحربية فضربوا النوبة الحسنية ، مما جعل الطرف الآخر يتوهم أنها مساعدة قادمة لهم ففروا هاربين وهزم الحسن ما بقي منهم ، وغنم من هذه المعركة مغانم كثيرة وظفر بمدفعين كانت قوات الأتراك تستخدمهما في حربها ضد

---

(٧١) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٦ / ٨٣٧ ، يحيى بن الحسين، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٩ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٥ أ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٧ ب .

(٧٢) يحيى بن الحسين، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٩ أ ، الكبسي، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ ب .

قواته فاحتفظ بواحد في الحما وأرسل الآخر إلى الأمير سنبل في القرية ، وقد عرفت هذه المعركة بمعركة وادي النخيل[٧٣] .

وكانت هزيمة القوات العثمانية هنا على يد قوات الإمام بمثابة ردع للأمير مصطفى فلم يعد يهاجم قوات الإمام المرابطة في هذه المنطقة وقد توالت انباء هذه الهزيمة إلى أسماع الباشا قانصوه ، فعزم على أن يطلب من الإمام عقد صلح بينهما لمدة ثلاثة أشهر فوافق على ذلك وهذا يعود لعدة أسباب هامة لأن عقد مثل هذا الصلح كان في مصلحة الطرفين ، فقد تفشى مرض الحمى بين جند الإمام وذلك لطول مدة الحرب والحصار والسفر والترحال فمات منهم الكثير ، وهذا ما يحدث دائماً في أي جيش تطول مدة قتاله : وأمر آخر وهو أن حريقاً كبيراً شب في الحما وقد كانت منازلها مبنية من القش ولم تكن مبنية بالطوب والحجر سوى دار الحسن والحسين وكان حريقاً هائلاً أتى على جميع المنازل وجعلها كومة من رماد غير أن الأهالي قد نجوا بأنفسهم وما خف حمله من الأثاث ، فلو أن هذه الظروف السيئة قد حصلت في وقت الحرب لكانت مأساة لجماعة الإمام[٧٤] .

وقد استمر الصلح بين الطرفين حتى جمادى الأولى والثانية ورجب من عام **١٤٠٤هـ** غير أن الطرفين قد رأيا أنه من مصلحتهم تمديد هذا الصلح حتى شهر رمضان المبارك من نفس العام ،حتى يستطيع كل منهما جمع قواته وتنظيم صفوفه لاستئناف القتال مرة أخرى وخلاله رحل الباشا قانصوه من المخا مقر إقامته إلى زبيد ، ليتدبر الأمر في حمايتها فحفر الأتراك حول سور زبيد خنادق تحيط بالمدينة ، وجعلوا فيها جنوداً مدربين على الرماية وزودوهم

---

(٧٣) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، يحيى بن الحسين ، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٩ أ ، الجرافي ،**ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٥ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٤٩ ب .

(٧٤) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ٩٦ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٥١ أ ، ابن لطف الله ، **روح الروح** ، ق ٣٣ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٢ ب ، الجنداري، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٧ ب .

بالسلاح . وفي خلال هذا العام ، وبعد انقضاء مدة الصلح حدثت بعض المناوشات بين الطرفين غير أن النصر دائماً ينتهي لصالح قوات الإمام[٧٥] .

حتى كان عام ١٠٤٤هـ. والذي أخذ العثمانيون يعدون فيه العدة للضربة القاضية بعد أن رأوا أن تحصين مدينة زبيد بالخنادق وتعزيزها بالرجال والسلاح كافياً لهزيمة قوات الإمام ، فأخذت المناوشات بين الطرفين تشق طريقها ، فهاجم الجنود العثمانيون الأمير سنبل الموجود في القرية حيث فوجيء بغارة شنوها عليهم فاشتبك الفريقان في معركة حامية اضطر فيها الأمير سنبل أن يستنجد بأصحاب الحسن الذي استجاب لهذا النداء ثم هجم عليهم بجنوده مما اضطر الجنود الأتراك إلى الهرب . وقتل الكثير منهم وبعد هذه المعركة عرف العثمانيون أن قوات الإمام أقوى منهم ، وانهم غير قادرين على الوقوف أمامهم . خاصة عندما وجد قانصوه نفسه محاصراً من جميع الجهات وان البلاد قد أخذت منه، فأخذ يتخبط ويريد مخرجاً من المأزق الذي وقع فيه ، لكنه لم يحسن التصرف ولم يعالج الضعف الذي أدى به هو وجنده إلى هذه الهزائم المنكرة المتعددة داخل اليمن ، فقد جهز جيشاً وهاجم به عدن التي انضمت مع الإمام ، وكذلك هاجم جازان وطرد الوالي الذي عينه الإمام ، ثم عدل عن غيه فأرسل إليهم أحد أتباعه ويدعى إبراهيم آغا بأموال كثيرة يطلب فيها منه ودهم وولاءهم له لكن جميع محاولاته هذه باءت بالفشل[٧٦] .

وباستيلاء قوات الإمام على كثير من الأماكن التي كانت في يد القوات التركية تمركزت هذه في مدينة زبيد ، وقد ركز الإمام حصاره عليها عام ١٠٤٥هـ مما جعل الزاد ينقطع عنها فقلت امداداتها الغذائية إلا ما كان يأتي من البحر.

---

(٧٥) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٧/ ٨٣٨ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ - ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٦ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ق ٥١ أ ، ابن لطف اللّه ، صلاح ، **روح الروح** ، ق ٣٣ أ .

(٧٦) ابن لطف اللّه ، **روح الروح** ، ق ٣٢ أ ، الجرافي ، **أبناء اليمن** ، جـ ١ - ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٥ ب ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٣٢٨ .

وبهذا الحصار الذي فرضته القوات الإمامية أخذت حالة الناس تزداد سوءاً ولذا فقد قلت مقاومة الجند ، فاضطر الباشا قانصوه إلى أن يطلب عقد هدنة لمدة عام كامل ، فأجابه الإمام إلى طلبه بالموافقة ، بالرغم من معارضة اخوانه لذلك الطلب ، لكنهم قبلوه على كره منهم ، فاستمر الصلح بين الطرفين مدة شهرين فقط ، اشتدت خلالها الحالة سوءاً بين العثمانيين ، وخاصة الموجودين في زبيد ، مما دعا الجند إلى الثورة على الباشا قانصوه وأخذوا يطالبونه بالطعام الجيد الذي يقويهم ، ويشد من إزرهم في ساحة القتال ، وكذلك تحسين حالتهم لكن من أين لقانصوه القدرة على تنفيذ هذه المطالب ، لأن تنفيذها ليس بالأمر اليسير مما جعلهم يثورون عليه ويريدون قتله ففر هارباً ، ومعه عدد من مماليكه واتجه إلى الحما ليلجأ إلى عدوه اللدود الحسن وطلب الامان لنفسه وكان ذلك في يوم الجمعة نهاية شهر صفر من عام ١٠٤٥هـ فلم يشعر الحسن وهو في مصلاه في مسجد الحما إلا والجند قد تكاتفوا على شخص كان قاصداً المسجد ويريدون قتله ، وحين رأى الحسن القادم وجده الباشا قانصوه . فأعلمه أنه فر من جنده بعد أن ضاقت حيلته بهم وأرادوا قتله في نهاية الأمر ، مما اضطره إلى الهرب ، وهنا تقدم الحسن منه وأبعد عنه الجند وأخذه إلى مكانه وأكرمه وأحسن وفادته كعادة أبناء الإمام القاسم في مثل هذه الحالة ، وبقي في ضيافته حتى نهاية جمادى الأول أي قرابة الشهر ، ثم جهزه بما يلزم من مال وخيام وخيول وزاد ، وأوصله إلى جازان ليواصل سيره إلى مصر(٧٧) .

هذا ما كان من حال قانصوه باشا ، أما الأمير مصطفى فقد بقي في زبيد مدة من الزمن إلى أن اشتد عليه الحصار وأصبح في ضيق من أمره ، لذا طلب الخروج منها وتسليمها للإمام فوافق على ذلك وزوده بالمال والطعام ورحل إلى

---

(٧٧) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٧ أ ب ، يحيى بن الحسين ، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٩ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٩ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٧ أ ، ابن لطف اللّه ، صلاح ، **روح الروح** ، ق ٣٣ أ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ ب ، ابن رشيد ، **بغية المريد** ، ٤٩ ب .

المخا ، أما عسكره الموجودون في زبيد فقد خيرهم الحسن بين الرحيل مع الأمير مصطفى أو البقاء تحت حكم الإمام ، فطلب الكثير منهم البقاء في اليمن ، والدخول تحت طاعته فأحسن إليهم الحسن وأكرمهم ، وزودهم بما يحتاجون ، وقد قدر عددهم بحوالي أربعة آلاف مقاتل من أمراء وآغوات وقواد ، أما الذين طلبوا الرحيل مع الأمير مصطفى فكان عددهم حوالي الألف وخمسمائة مقاتل(٧٨) .

وبعد ان انتقل الأمير مصطفى إلى المخا وجد أنه من الصعب البقاء فيها والاحتفاظ بها لقلة جنوده بعد أن بقي غالبيتهم في زبيد ، فرأى أنه من الصواب تسليمها لهم بعد أن وجد أن أصحاب الإمام قد أخذوا اليمن بكامله ، وانه ليس من الصعب عليهم الاستيلاء على هذه المدينة ، هنا أرسل اليهم يخبرهم بقرار تسليمها ، وذلك حفاظاً على أرواح جنده ، فأرسل الأمير الحسن السيد محمد بن عامر لاستلامها ، أما الأمير مصطفى فركب من المخا واتجه إلى مصر(٧٩) .

وبتسليم هذه المدينة ، تكون سائر بلاد اليمن قد دخلت تحت حكم آل القاسم وتوحدت البلاد لأول مرة تحت لواء الإمام المؤيد الذي يعتبر أوّل موحّد للبلاد وهكذا أصبحت اليمن أول ولاية عثمانية تنسلخ من جسم الدولة التي حكمت غالبية أجزاء البلاد العربية والإسلامية وأعادت للإسلام وحدته وعزته وقوته ، والتي أعادت الوحدة الإسلامية من جديد(٨٠) .

ان انفصال اليمن عن الدولة العثمانية لا يعني ضعف هذه الدولة أو عدم

---

(٧٨) يحيى بن الحسين ، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٩٠ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٩ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٧ ب .

(٧٩) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٩٧ ب ، ابن لطف اللّه ، **روح الروح** ، ق ٣٣ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ق ٧٣أ ، يحيى بن الحسين ، **أنباء ابناء الزمن** ، ق ٩٠ أ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ص ٨٣٩ .

(٨٠) العقيلي ، **المخلاف السليماني** ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ ، نوار عبد العزيز ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ص ١٠٩ ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٣م .

قدرتها على الاحتفاظ بهذا الجزء من الوطن ، ولكن هناك عدة عوامل أدت إلى هذه النهاية وهي ، أولاً : بعد اليمن عن مركز الخلافة العثمانية أدى إلى صعوبة مدها بالجيوش والمعدات ، وتكمن هذه الصعوبة في تعرض المدد الذي يرسل إلى اليمن إلى الدمار بغرق كثير من السفن التي تحمل الجنود والعتاد، ثانياً: قد يدب أحياناً خلاف بينهم فيتقاتلون فيما بينهم فلا يصل منهم سوى القليل ، ثالثاً: قد تفضل هذه الفرق المرسلة إلى اليمن البقاء في الأراضي المقدسة ، فعند مرورهم بميناء جدة يفرون إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، رابعاً: انشغال السلطان العثماني بالحروب الداخلية التي تفجرت في البلاد وهي الحرب مع الصفويين في العراق ، الذين كادوا أن يهزموا الدولة العثمانية وقد سيطروا على مدينة بغداد . فكان السلطان العثماني مشغولاً بإمدادهم بالجيوش للدفاع عن هذه المنطقة[٨١] .

جميع العوامل السابقة كانت السبب في استقلال اليمن بالإضافة إلى أسباب أخرى كانت هي الأساس في هذه الثورة العارمة التي قام بها اليمنيون وهي أن اختيار الباشوات العثمانيين الذين ترسلهم السلطة في مصر كان عشوائياً ، وكان غالبيتهم قساة غلاظ القلوب وأكثرهم انغمسوا في شهواتهم ، وملذاتهم ، وتركوا أمور البلاد وأهملوا مصالحها ، وعاملوا الناس بالقسوة والجبروت ، مما جعل الأهالي ينفرون منهم ويلجؤون إلى الطرف الآخر الذي عاملهم على خلاف ذلك ، وأكبر دليل انضمام أهل السنة من الشوافع في اليمن إلى آل القاسم رغم اتفاقهم في المذهب مع الدولة العثمانية[٨٢] .

لو قارنا معاملة العثمانيين للعلماء والفقهاء وأهل العلم بما يُعاملون به آل القاسم هؤلاء المشايخ لوجدنا الفرق واضحاً ، فقد كان الإمام واخواته يكرمون العدو والصديق منهم ، وكان الإمام يساوي بينهم ، فلا يفرق بين مذهب وآخر

---

(٨١) نوار ، عبد العزيز ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ص ١٠٩ ، سالم مصطفى ، **الفتح العثماني الأول لليمن** ، ١٥٣٨ ـ ١٦٣٥هـ ، ص ٣٩١ ، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٤م .

(٨٢) نوار ، عبد العزيز ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ص ١٠٩ ، سالم ، مصطفى ، **الفتح العثماني** ، ص ٣٧٧ .

الفصل الثالث

عَلاقة الإمَام المؤيَّد بالبلاد الخَارجيّة

أ ـ علاقته باليمن الجنوبي أو جنوب اليمن .

ب ـ علاقته بالبلاد العربية الأخرى.

جـ ـ علاقته بالبلاد الأجنبية .

قبل الدخول في تفاصيل هذا الفصل وهي العلاقات الخارجية لهذه الدولة الفتية يجب علينا إلقاء نظرة عابرة على الظروف التي أحاطت بنشأتها والملابسات التي حلت بها . ومن ثم نستعرض علاقاتها الخارجية بالدول المجاورة لها .

ان الوضع لهذه الدولة لم يكن كوضع أي دولة أخرى نشأت في ظروف سهلة ، فقد كان وضعها يختلف كل الاختلاف لأنها نشأت في ظروف صعبة تجعل من العسير عليها إقامة علاقة بأي دولة أخرى ، أو أن يكون لها اتصالات خارجية بالدول ، فهي تكونت ونشأت داخل دولة أخرى ـ وهي الدولة العثمانية ـ والتي تعتبر من أكبر دول العالم في ذلك الوقت ، كما أنها حكمت كثيراً من بلدان العالم الإسلامي ، وتعتبر الحاكمة والحامية لكثير من الأقطار الإسلامية في تلك الحقبة الزمنية ، لأن لها قوة سياسية وعسكرية ونفوذ جبار مما يجعل أكبر الدول تهابها ، وتخاف أن تقف في وجهها وتحاول السعي لكسب رضاها ، فما بال دولة صغيرة منزوية في جزء من بلاد اليمن تقف في وجهها ، وتحاربها ، وتنشىء دولة أخرى مستقلة عنها استقلالاً تاماً ، وتكون لها كياناً سياسياً منفرداً عن الدولة الأم وتكون زعامة مزدوجة في قلب اليمن ، في بادىء الأمر ، فمن الطبيعي أن ينشأ بين هاتين الزعامتين صراع طويل ، وقتال مستمر ، فكانت الحروب المستمرة بين دولة آل القاسم والدولة العثمانية

تأخذ طابع المد والجزر ، فتارة ترجح كفة العثمانيين وتكون السيطرة لهم وتارة أخرى يكون النصر بجانب الأئمة الزيدية وقد ابتدأ الصراع الثاني مع الأتراك منذ عصر الإمام القاسم بن محمد الذي قام بالثورة ضدهم سنة ١٠٠٦هـ. وانتهى في عصر ابنه الإمام محمد بن القاسم الذي استطاع أن يستقل بالبلاد ويجلي العثمانيين منها في عام ١٠٤٥هـ. وأصبحت اليمن أول دولة مستقلة ، أو أول ولاية إسلامية تنسلخ من جسم الدولة العثمانية في تاريخها التوسعي .

ومن هنا يتضح لنا أن دولة آل القاسم لم تستقر منذ نشأتها على يد مؤسسها الأول الإمام القاسم إلى أن تولى قيادتها ابنه الإمام المؤيد الذي أخذ على عاتقه توحيد البلاد ، وقد ورد ذلك مفصلاً في الفصل الثاني من بحثنا هذا .

لذا نجد أن هذه الدولة بالرغم من ظروفها الصعبة لم تهمل جانب العلاقات الخارجية ، فقد أقامت مع بعض الدول المجاورة علاقات تمثلت في طلب العون والمساعدة في الحرب والسلم ، أو في تبادل الهدايا والمراسلات ، ولم تتخوف هذه الدول من أن تكون هذه الاجراءات سبباً في إثارة غضب الدولة العثمانية لأن إقامة علاقة مع دولة الإمام ستكون بمثابة اعتراف بها .

هنا يجب أن نوضح أن هذه العلاقة لا تعني تبادل السفراء بين الدولتين وما إلى ذلك من الأمور التي تتبعها الدول في العصر الحديث .

ومن أهم هذه العلاقات ما كان بين دولة آل القاسم في عهد الإمام المؤيد والدولة العثمانية التي يمثلها باشواتها في اليمن ، وقد تخللت فترة حكمه علاقات ودية وحربية ، فعقدت هدن ومعاهدات بين الطرفين كما تبودلت الرسائل الودية بين الباشوات والإمام فعندما وصل الباشا أحمد فضلي في عام ١٠٣١هـ. إلى اليمن واستقر بصنعاء أرسل إلى الإمام المؤيد خطاباً حوى كثيراً من عبارات الود التي تدل على تحسن العلاقة بينهما ، كما حوى تواضعاً جماً وأدباً كبيراً ثم عرض عليه الصلح ، وتطبيقاً عملياً لما يقوله ، هنا فقد أسره هروب الأمير الحسن من سجن العثمانيين في اليمن ، وانه لا حرج

على الإمام فيما أقدم عليه أخوه من عمل ، وأردف كلامه بأنه لو بقي هذا الأمير مسجوناً إلى حين توليه الحكم في صنعاء لأطلقه بنفسه هذا وقد ألقي القبض على هذا الأمير بعد معركة عرة الأشمور، ثم أدخل السجن وقد فصلنا قصته في الفصل الأول من هذا البحث[١] .

وفي عام ١٠٣٣هـ. حين وصول الباشا حيدر إلى صنعاء بعد أن تولي أمرها بدلاً من الباشا فضلي أرسل هو الآخر رسالة إلى الإمام يطلب فيها دوام الصلح بين الطرفين ، وأن تستمر العلاقة بين البلدين حسنة فأجابه الإمام على خطابه هذا بخطاب مماثل ضمنه موافقته على طلبه[٢] .

ولم تقتصر هذه العلاقة على تبادل الخطابات فقط بل بدت واضحة في تردد بعض الفقهاء والعلماء من دولة الإمام على صنعاء حاضرة الدولة العثمانية في اليمن أما لجمع الزكاة ، أو لنشر العلم بين الناس ، وهذه تعني وجود علاقات ثقافية وتجارية بين الطرفين ، ويؤيد ذلك الحادثة التي غيرت مجرى التاريخ في اليمن وهي مقتل الفقيه العلماني الذي اغتيل في صنعاء في عام ١٠٣٦هـ. فكان اغتياله سبباً في تفجر الوضع ، ونشوب القتال بين الطرفين ، ولكن المتأمل في تاريخ اليمن في تلك الفترة يجد أن الإمام لم يتسرع في شن الحرب على الدولة العثمانية إلا بعد ما أعيته الحيلة في تطبيق الشرع على مرتكب هذه الجريمة ، فتبادل الطرفان الرسائل وذلك للتفاهم في تسليم القاتل ، وتحديد المسؤولية ، وردع مرتكب مثل هذه الجريمة وبصدد ذلك كثرت الرسائل بين الإمام المؤيد والباشا حيدر في هذا الموضوع لكن الأخير ماطل في ذلك مما حدى بالإمام إلى أن يحدد موقفه وذلك بقطع علاقته بهذا الباشا العثماني وإعلان الحرب عليه ، والتي استمرت زهاء العشر سنوات ، أي منذ عام ١٠٣٦هـ. إلى عام ١٠٤٥هـ. وقد انتهت بخروج العثمانيين من

---

(١) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٦٧ ب ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٧.

(٢) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، قسم ٢ ، ٨١٨.

اليمن وإعلانه دولة مستقلة[٣] .

وعندما قامت ثورة الإمام المؤيد محمد بن القاسم على الدولة العثمانية في عام ١٠٣٦هـ. بدأ التدخل الفعلي في شؤون اليمن الجنوبي وذلك عندما اقترح السيد الحسن بن محمد الجوفي على الإمام المؤيد في أن يرسل خطابات للسلطان عبد اللّه بن عمر الكثير سلطان حضرموت ، وإلى زعماء السادة العلويين يحثهم على تأييد القضية الزيدية في حربهم ضد الأتراك ولكن لم تأت إجابات سريعة من السلطان الكثيري ، أو من السادة العلويين إلى ما دعا إليه الإمام في خطاباته ، وإنما بدلاً من ذلك أجاب السادة العلويون الى خطاب الجوفي ، والذي ألحقه بخطاب الإمام ،وكان الداعي لذلك هو تعنيف الجوفي على الاستشهاد بالآية القرآنية ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾ وفي إجابتهم هذه توبيخ السادة العلويين للحسن الجوفي ، وانه تطاول في نصيحة أبناء الرسول صلى اللّه عليه وسلم في أمور دينهم ، غير أنهم أشعروه برضاهم وغبطتهم عن الذي قام به الإمام المؤيد من عمل جليل في شن الحرب على الدولة العثمانية ، وقد أعلموه بأن ما أقدم عليه الإمام هو أنه اتبع الطريقة الحربية التي فعلها الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأما هم فقد فضلوا الطريقة السلمية التي اتبعها اخوه الحسن بن علي والتي لا تؤيد إراقة دماء المسلمين[٤] .

كما أرسل الإمام عدة رسائل إلى بعض الزعماء ، والحكام المجاورين لدولته يطالبهم فيها بالدخول تحت طاعته ، والانصياع لأوامره ، فوافق البعض منهم ، ولكن البعض الآخر رفض ذلك ، ومن الذين رفضوا السيد الحسين بن أبي بكر بن سالم عميد أسرة السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم في عينات

(٣) الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٦ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ص ٨١٦/ ٨٢٠ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٧١ أ ـ ٨٥ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٩/ ١٥٠ .

(٤) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨٢ أ ، الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ق ٢٩٨ ب ـ ٢٩٩ ب .

بحضرموت ، فعندما وصله جواب الإمام ودعوته له بالإنضمام تحت طاعته، أهمل الرد عليها لأنه اعتبر هذا الطلب ليس فيه مصلحة عامة ، فقال قولته المشهورة «حقيق لمن لم يدع ما يرجي توابه أن ينقلب صاحبه بغير جواب» هنا ثارت ثائرة أتباع الإمام وشنوا على السيد الحسين ووالده حملة عنيفة حتى أنهم اتهموه باتهامات كثيرة ، وقد وصفه الجرموزي مؤرخ الإمام وواليه على عتمة بأوصاف قذعة لاذعة وترهات لا يجرؤ على ذكرها إلا من كان يسير قلمه هواة وقد تعمد هذا المؤرخ اختراع ما يكتبه لأن الحسين قد وقف عقبة في وجه توسعاتهم في بعض المناطق فيما يطلق عليها الآن اليمن الجنوبي(٥) .

ومن جملة الذين أرسل لهم الإمام المؤيد سنة ١٠٣٦هـ. يحثهم على اتباعه فيما يعمل السيد زين العابدين بن عبد اللّٰه العيدروس الذي أجابه بخطاب دل دلالة واضحة على سعة علمه فقال في خطابه الموجه إلى الإمام : «غير خاف عليه مما انتهي من العلم لديه ان طاعته عندنا أدرى أصار ذلك من عارف متجاهل، أو فطن متغافل، أم صدىء الهوى على مر العقول، فلم ينطبع فيها حقائق المعقول أو المنقول لأنه اللّٰه تعالى عالى الرشاد ، ووفقه للسداد. يعلم أن اتباع ولاة السواد الأعظم ، وأتباع هداة الصراط الأقوم ، أهل السنة والجماعة الذين أوجب اللّٰه تعالى سلوك سبيلهم، واتباعه، نعتقد صحة خلافة الخلفاء الأربعة والابداع بنا إلى الأهواء المبتدعة ، ونعتقد أن الصحابة قد وفقوا للإصابة في جميع ما فعلوه باجتهادهم ، وأجمعوا عليه بدلائلهم وإسنادهم فهم أساطين الدين المحمدي»(٦) .

---

(٥) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٥٠ أ ، الشلي ، محمد بن أبي بكر، **المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي** ، جـ ٢ ، ص ٢١١ الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٦) الشلي ، **المشرع الروي** ، جـ٢ ، ص ٤٩٠ .

هو زين العابدين بن عبد اللّٰه بن الشيخ عبد اللّٰه العيدروس ولد في تريم سنة ٩٨٤هـ. في شهر ذي الحجة ، وكان عالماً فقيهاً ، عرف برجاحة عقله واتزانه تتلمذ على أيدي فقهاء عظام أمثال الشيخ زين بن الحسين ، والسيد عبد الرحمن بن محمد بن عقيل ، والشيخ محمد بن إسماعيل وغيرهما ، وتوفي في سنة ١٠٤١هـ. ، الشلي ، **المشرع الروي** ، جـ ٢ ، ص ٤٨٥/ ٤٩٤ .

إن المتأمل لرد السيد علي زين العابدين على ما ورد في خطاب الإمام المؤيد يتضح له ما يتمتع به من رجاحة العقل والإطلاع على العلوم ، وذلك ما كانت عليه رسالته التي دعمها بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تـدل على اطلاع واسع خاصة في توضيح الأمور للإمام المؤيد عندما رفض ما دعاه إليه الأخير وهو الانضمام تحت حكمـه وبيّن سبب هذا الـرفض وبدلاً من أن يجيب السيد العيدروس على الإمام مباشـرة كانت الإجـابة مـوجهة إلى أخيـه الحسن بن القاسم .

هذا وقد اطلع الإمام المؤيد على إجابة السيد زين العابدين فعقب عليها بأن السيد لم يـرج منه التحقيق وصحة النقل عن الثقاة فيما يعتمد عليه ، وأن ما ورد في خطابه المذكور يعتبر تعدياً بغيـر يقين على السلف الصالـح الذين تلقت عنهم الأئمة الزيدية معلومات صحيحة البرهان وقد اعتمد السيد السالف الذكر على كتب من رأيه يخالف رأي العترة النبوية إلا أن الإمام وعد تبيين هذا الأمر لربما بالتأليف فيه كرد على السيد المذكور(٧) .

وكان للإمام المؤيد علاقة قوية بحاكم أبين وخنفر الأمير عبد القـادر بن محمد الجرهمي ، وقد اشتهر هذا بالنـزاهة ، والتـدين والعدل ، وقـد كانت للمذكور عوائد تأتيه من الدولة العثمـانية ولكن حين تـولي حيدر بـاشا ولايـة اليمن قطعها مما حدى بالأمير أن يسافر إلى صنعاء لمقابلتـه وهذه هي المـرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا العمل ، ولكن وهو في طريقه إليه وصلت إليه أنباء ثورة الإمام على الدولة العثمانية فعاد مسرعاً إلى بلاده ، وكتب إلى الأمير الحسن بن القاسم يخبره أنه قد انضم معهم في الثورة على الدولـة العثمانيـة

---

(٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨٢ ب .

ورد في كتاب **المشرع الروي** التباس فقد ذكر المؤلف أن الحسن بن القاسم حاكم اليمن فقال : «لما استولى إمام الزيدية الحسن بن القاسم على إقليم اليمن كتب لسلطان حضرموت وأعيانها كتباً يدعوهم إلى طاعته» والصحيح في ذلك أن إمام اليمن في ذلك الوقت هو الإمام المؤيد ، أما الحسن فقد كان عضده الأيمن ، وتوفي قبل أن يتولى الإمامة في اليمن وكانت وفاته عام ١٠٤٨هـ الشلي ، **المشرع الروي** ، جـ ٢ ، ص ٤٨٩ .

وتطبيقاً لما قد أقدم عليه من تأييد ثورة الإمام قد شن هجوماً على الأتراك المستولين على عدن ولحج ، وتمت هزيمتهم ثم الإستيلاء على هذه المناطق غير أنه أعطاهم الأمان إلى حين خروجهم إلى المخا عن طريق البحر ، وقد اشتهر أمره في بلاد اليمن بعد عمله هذا وأصبحت له علاقات طيبة مع دولة الإمام المؤيد كما تمكن من أن يمدهم سنوياً بالخيل ، والمال ، ويساندهم في جميع الأمور وكان السفير بينهم في تلك الفترة السيد عز الدين محمد بن حميد الدين(٨) .

ولم تقتصر علاقة الإمام بالأمير عبد القادر على ذلك فقد كانت له اليد الطولى في مهاجمة المخا وطرد الأتراك منها ، ثم أدلى بدلوه في حصار تعز ، وزبيد ومد قوات الإمام بالسلاح منها مدفعان لتكون عوناً على حرب الدولة العثمانية وأمدهم من منطقته ببعض الجنود لينضموا إلى جيش الإمام ومحاربة الأتراك وكانت نصائحه مقبولة عند الساسة اليمنيين للثقة التي أولوها له ، ولذا فقد أصبح حاكماً من حكام دولة الإمام(٩) .

وعندما توالت انتصارات القوات الإمامية وأخذت المدن تدخل في طاعته الواحدة بعد الأخرى أرسل الإمام كما سبق بعض الرسائل إلى أمراء المناطق المجاورة له يطلبهم الدخول تحت طاعته وتأييده ومن هؤلاء الأمراء الذين أيدوا الإمام المؤيد حاكم منطقة حالمين ويدعى الأمير شعفل فقد كتب في عام ١٠٣٦هـ. إلى الأمير الحسين بن القاسم من مدينة خرفة خطاباً يعلن فيه تأييده للإمام ومناصرته له(١٠) .

وفي عام ١٠٣٧هـ. وبعد انتصار القوات الإمامية في موقعة نجد قسم

---

(٨) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨٣ ب ـ ٨٤ أ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٩٣ أ ـ ٢٩٩ ب .

(٩) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٨٣ ب ـ ٨٤ أ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٣٠٠ أ ـ ٣٢٥ أ .

(١٠) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٩٥ ب .

أرسل الأمير الحسن خطابات إلى شيوخ اليمن الجنوبي يحثهم فيها للإنضمام إلى صفوف الإمام وبشرهم بهذا النصر العظيم من جملة هؤلاء الشيخ رصاص الجرهمي وقد كانت له بعض العوائد يأخذها من حكام الدولة العثمانية في صنعاء ولكن عندما دانت اليمن لدولة الإمام أرسل الأمير الحسن إلى الشيخ الرصاص وأخبره بأن المعتاد سيأتيه من الجانب الزيدي ، وحينما وصل إليه جواب الحسن وجد عنده من علماء الصوفية من يكره الحق ويكره ظهور الإسلام على حسب قول المؤرخ الزيدي فكذبوا ما جاء به هذا المندوب مما جعل الشيخ يتحامل عليه ويضعه في السجن . وبقي فيه أياماً حتى تبين حقيقة الأمر ، وعرف خطأ ما ارتكبه فاعتذر منه وأعطاه ما أرضاه ، وأخبره بأنه فعل ذلك من أجل أن يتحقق من الأمر[١١] .

ولقد كانت علاقة اليمن بالحجاز متينة في فترتنا هذه فقد لعب الإمام المؤيد دوراً مهماً وكان له تأثير على الأشراف هناك وكانت تصله التقارير عما كان يدور فيما بينهم من خلافات ، أو طلب المعونة منه وقد حدث سنة ١٠٣٤هـ. أن دار صراع بين الشريف محسن بن حسين وحاكم مكة الشريف إدريس وانتهى هذا الخلاف بأن تغلب محسن على خصمه ونتيجة لذلك تنازل عن الشرافة الشريف إدريس وتولى السلطة الشريف محسن غير أنه كان ميالاً للسلم كما اتصف بضعف الإدارة ، وكرهه لسياسة الشدة .

وقد استغل ما سبق قائد القوات العسكرية الشريف أحمد بن عبد المطلب وأراد أن يحقق لنفسه مطامع شخصية ، واستمر على ذلك إلا أن أقارب الشريف محسن تنبهوا لما كان يفعل ذلك القائد الذي لربما أن يطيح بحكم الشريف الحاكم ، ولذا فقد حذروا الأخير من مغبة استمرار أحمد في عمله هذا ، والذي دام قرابة الثلاث سنوات ، وقد استمع الحاكم إلى نصح الناصحين ، فأخذ يحد من سلطته ، وقد قابل أحمد بن عبد المطلب اجراءات محسن بالثورة عليه ، كما أنه انتهز فرصة حادثة الوالي العثماني وهي شنق

---

(١١) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٩٧ أ .

والي جدة من قبل الشريف محسن ، وقد اتخذ هذا الاجراء الحاكم العثماني عندما تقاعس هذا المندوب من انتشال السفينة التي غرقت عند هذا الميناء ، والتي كانت متجهة إلى اليمن وهي محملة بكثير من المؤن .

كان لأحمد بن عبد المطلب من الدهاء ما أغرى به الوالي العثماني في جدة واستطاع أن يحصل من الأخير على نداء في الأسواق بأن السلطان العثماني في استانبول قد أصدر أمره بعزل الشريف محسن من شرافة مكة وتنصيب قائده الشريف أحمد بن عبد المطلب عندما علم الشريف محسن بما دبره الوالي العثماني والشريف أحمد من مكيدة ضده أسرع بالتوجه إلى جدة لردع أحمد ، غير أنه لم يكن في الحسبان أن ثائر آخر سيغامر بالإطاحة به ، فما أن ترك مكة حتى قام بالثورة الشريف مسعود بن إدريس وذلك انتقاماً لما قام به الشريف محسن من عمل ضد والده إدريس وخلعه من شرافة مكة كما ذكرنا سابقاً ، فأصبح الشريف محسن بين نارين ثورة أحمد في جدة ، وثورة الخصم الآخر ـ مسعود ـ في مكة ، ولذا فقد طلب العون من الإمام المؤيد ضد خصومه[١٢] .

ويبدو أن هناك فترة هدوء ومصالحة بين الأشراف محسن بن حسين حاكم مكة ومسعود بن إدريس المنافس له وقد فر الأخير إلى حاضرة الإمام المؤيد كما أنه رغب في الوصول إلى اليمن ومقابلة الإمام نفسه ربما ليبلغه وجهة نظره في النزاع الذي دار بينه وبين محسن ولكن مشاغله الكثيرة حالت دون ما يرد منه ، وقد اعذره الإمام من هذا المجيء في خطاب أرسله رداً على خطابه ، وقد عبر عن شعوره العميق ، والسرور العظيم لإصلاح ذات بين

---

(١٢) السباعي ، أحمد ، **تاريخ مكة دراسات في السياسة ، العلم ، الاجتماع ، العمران** ، جـ ٢ ، ص ١٧ ـ ٢٤ ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة ، ١٣٨٢هـ قيل أن والياً تركياً قد وصل إلى ميناء جدة ومتجهاً إلى اليمن لتولي حكمها فغرقت السفينة بالقرب من شاطىء جدة وطلب من نائب الشريف محسن أن يرسل له بعض الغواصين لنشلها وإخراج أمواله الغارقة وبعد البحث في داخلها لم يجدوا شيئاً فظن الوالي أنهم قد استولوا على المال بإيعاز من والي جدة ، ولذا فقد أمر بشنقه ، السباعي ، **تاريخ مكة** ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

أشراف مكة الذين قال جدهم سيد البشر صلى اللّه عليه وسلم : إن إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والزكاة ومما لا شك فيه ان إصلاح ذات البين في حرم اللّه بين أهل بيت نبيه لهو من أجل إعلاء شأن دينهم القويم كما يغيظ اللّه به أعداءهم من كل شيطان رجيم(١٣) .

ويبدو أن فترة الوفاق بين الأشراف في مكة لم تدم طويلاً وبدأ الصراع من جديد وذلك عندما هاجم الشريف أحمد بن عبد المطلب مدينة بيشة في عام ١٠٣٨هـ. وكان يحكمها من قبل الشريف محسن الشريف مغامس وقد أسفر الهجوم عن مقتل ابن حاكم المدينة وسقوطها في أيدي قوات الشريف المهاجم ، ويبدو أن قوات الشريف محسن لم تكن كافية لتأديب وطرد المهاجمين ، لذا فقد لجأ إلى الإمام وطلب المساعدة منه فلبى الأخير طلبه ، وجهز جيشاً قوامه أشراف الجوف وعناصر أخرى ، وقد تمكنت من دخول مدينة بيشة وهزيمة الشريف أحمد بن عبد المطلب وتسلم جنود الإمام المدينة بعد أن غادرها القائد وجنده(١٤) .

غير أن الشريف محسن بن حسين حاكم مكة لم يستمتع بهذا الانتصار فيما يبدو لأن خصميه الشريف بن عبد المطلب ، والشريف مسعود بن إدريس قد تحالفا ضده فعندما اتجه لتأديب أحمد خارج مكة قام مسعود بثورة داخلها انتقاماً لأبيه ، ونتيجة لذلك فقد أصبح محاصراً بين جبهتين ثم أدرك أنه لا طاقة له بملاقاتهما ، ومما زاد الأمر سوءاً تفرق الحكم عنه . لذا فلم يجد وسيلة يلجأ إليها غير الهرب إلى اليمن تاركاً الأمر لهما(١٥) .

وعندما وصل الشريف محسن بن حسين إلى اليمن قابله الإمام بالترحاب وحسن الضيافة ، ويبدو أنه قد تخلى نهائياً عن المطالبة بالحكم في الحجاز

---

(١٣) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٩٤ ب ، ٥٩٥ أ .

(١٤) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٣٩٣ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٢٩/ ٨٣٠ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٤٠ أ.

(١٥) السباعي ، تاريخ مكة ، جـ ٢٢ ، ص ٢٠ .

وفضل البقاء في اليمن ، ولذا فقد خيره الإمام المؤيد في البقاء عنده في شهارة ـ عاصمته ـ أو الإقامة في صنعاء ، فاختار الأخيرة ، لكن المنية عاجلته فمات أثناء سيره قبل أن يصلها إلا أن جثمانه حمل إليها ثم دفن في مقابرها(١٦) .

كذلك كانت للإمام علاقة ببعض جيرانه فقد تدخل في حل المنازعات التي نشأت بين حكام تلك المناطق المحيطة بدولته ويتمثل ذلك فيما حصل في عام ١٠٣٩هـ. بين حاكم أبين وعدن والأمير عبد القادر الجرههي وحاكم يافع أحمد بن شعفل وذلك عندما اعتدى الأخير على بعض مناطق حاكم عدن لحدوث خلاف بينهما على بعض الأمور فقام ابن شعفل ببعض الأعمال التخريبية مثل قطع الطرق المؤدية إلى عدن والقيام بمراسلة الباشا قانصوه حاكم اليمن من قبل الدولة العثمانية وأبدى استعداده للانضمام إلى جانبه ضد الزيدية ، وحرض الكثير من أهل يافع على أتباعه ، مما اضطر الأمير عبد القادر إلى الالتجاء إلى الإمام المؤيد لفض هذا الخلاف ، وشرح له ما حدث وطلب منه العون والمساعدة ، فأجابه إلى طلبه وأظهر له عدم رضاه عما يقوم به ابن شعفل من أعمال لا ترضي أحداً ، وهنا أمر أخاه الحسن بمساندة الأمير عبد القادر ، فسار إلى ابن شعفل لتأديبه ففر الأخير إلى جبل قريب من يافع يسمى حجيل ، وخرب الحسن بلاد الربيعتين لأن أهلها كانوا مناصرين للخصم ، ويبدو أن عمل أحمد لم يعجب بعض أقاربه لذا فقد وصل شقيقه المسمى جعفر إلى المكان الذي يقيم فيه الحسن و قدم الولاء والطاعة له وكانت تربط جعفر بالأمير عبد القادر صلة قرابة فقد ورد في بعض المصادر اليمنية أن عبد القادر يكون خالاً لجعفر ، فقربه من الأمير الحسن الذي أحسن إليه وولاه ما كان تحت يد أخيه من بلاد ثم سار جعفر إلى بلده يرافقه مندوب الأمير الحسن السيد الهادي بن علي الشامي والشيخ محمد بن شمسان

---

(١٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٩٣أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٠ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١١٠ أ .

وغيرهما لتثبيت حكمه أما أحمد فقد فر إلى يافع الداخل ليكون في مكان حصين عن أعين القوات الإمامية والشيخ عبد القادر ، وبالرغم من شدة هجمات قوات الإمام عليه إلا أن أحمد استمر في ثورته وأعماله التخريبية ، وعندما نفذ صبر الإمام أرسل جيشاً لمساندة جعفر بن شعفل لتأديب أخيه فدارت بين الطرفين معركة كبيرة تمكن بعدها الجانب الإمامي من أن يجبر أحمد على الخضوع والدخول تحت الطاعة بعد أن رأى أنه لا طاقة له على مقاومة قوات الإمام ، وخوفاً من إعادة الاضطراب في المنطقة استمر الإمام في تكليف جعفر حكم يافع بدلاً من أخيه وبعد أن هدأت الأمور في المنطقة عاد قائد قوات الإمام إلى آب بعد أن أدى مهمته(١٧) .

بعد اشتداد الحرب بين الدولة العثمانية ، ودولة الإمام المؤيد حاول بعض الحكام العثمانيين في غير قطر اليمن التدخل لكف أذى الحرب عن الأشقاء والمسلمين ، ففي أوائل شهر رمضان من سنة ١٠٤٠هـ. كتب حاكم الحسا والقطيف العثماني ويدعى الباشا علي رسالة إلى الإمام المؤيد ينصحه فيها أن يكف عن حرب الدولة العثمانية ، ويُبيِّن ما لهذه الدولة من فضل على العالم الإسلامي أو أن ملوكها يسيطرون على غالبية البلاد الإسلامية ، كما أن ملوكها لقبوا بخدام الحرمين الشريفين ، وهذا أرفع الألقاب كما يرى ، وقد قرر هذا الباشا للإمام تواتر أخبار الثورة اليمنية ضد القوات العثمانية في اليمن إلى مسامعه ، ثم أشار على الإمام الكف عن القتال ، وإطاعة الدولة العثمانية ، وكما يقول هذا الحاكم أن السلطان العثماني قد أقام اللَّه به الدين ، وانتظمت به مصالح المؤمنين كما أنه خادم الحرمين الشريفين ، ويسعى في حرب الجهاد التي يشنها على أعداء الإسلام ليقطع دابرهم(١٨) .

---

(١٧) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٤٢ ب ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٣٢٧ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٢ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٣ ، يحيى بن الحسين ، **انباء الزمن** ، ق ٨٨ أ ، مداح ، أميرة ، **العثمانيون والإمام القاسم** ، ص ١٩٩ .

(١٨) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٣٢٨ أ ـ ٣٢٩ ب .

فأجابه الإمام المؤيد على خطابه هذا برسالة مماثلة أوضح فيها الأسباب التي أدت به إلى المحاربة . وهو فساد باشوات آل عثمان في اليمن وخروجهم عن أمور الدين ، وتعاليم الإسلام ، وإباحيتهم في كثير من الأمور الغير مشروعة ، مثل شرب الخمر وبيعه في الأسواق مجاهرة وقتلهم الأبرياء بغير وجه حق ، وخاصة العلماء والفقهاء ، كما حدث مع الباشا حيدر ، وقد بيّن الإمام لحاكم الحسا أنه من واجبه كمسلم وولي أمر هذه البلاد أن يحارب الباغي ، ويقف في وجه مرتكبي هذه الأفعال إلى أن يرتدعوا ، ويعودوا إلى رشدهم ولو أدى به الأمر إلى فتح الحرب عليهم ، والخروج عن طاعتهم في سبيل إعلاء كلمة الحق والدفاع عن الدين[١٩] .

ومن الذين تطرقوا إلى الكتابة إلى الإمام المؤيد الحاكم العثماني في البحرين ، وكان ذلك في عام ١٠٤١هـ. يبلغه أن السلاطين العثمانيين يرسلون له الوسطاء ـ وعني بهم الباشوات العثمانيون في اليمن ـ غير أن هؤلاء كما يقول هذا الحاكم قد أعظموا الفرقة بين الأئمة والسلاطين ، غير أن الأخيرين برء منها ، ومنزهون عنها ، ودعم قوله هذا بأن الإمام على علم بما أقدم عليه هؤلاء الباشوات ، كما أنه يعلم جيداً أن أكبر مقاصد السلاطين العثمانيين هو صلاح العباد والبلاد وإخلاء العالم من الفساد إذ أنهم لا يرضون بتصرفات هؤلاء فالأولى بالإمام أن يعرف السلاطين على ما أقدم عليه هؤلاء الباشوات من أعمال خبيثة ، وسيرى أنهم سيستمعون إليه لأن كلامه مقبول لديهم ، كما سيرى في إجابتهم عليه ما يسره ولا سيما أن سلاطين آل عثمان يعظمون أهل البيت النبوي والنسب العلوي الذي ينتمي إليه الإمام نفسه ، أما الباشوات العثمانيين في اليمن فالأولى أن تكون طريقة الإمام معهم بالتي هي أحسن[٢٠] .

---

(١٩) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٣٥ ب ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٢٣٩ ب ، يحيى بن الحسين، **انباء ابناء الزمن** ، ق ٨٨ أ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ٨٣٩ .

(٢٠) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة** ، ق ٣٣٣ أ ب .

وقد رد الإمام المؤيد على رسالة الباشا العثماني في البحرين فشكره على مدحه له ولأهل البيت النبوي ، وأكد موافقته على ما جاء في رسالته والتي يفهم فيها الباشوات العثمانيين بما تصرفوا به في اليمن من الفساد ، والعبث بإهلاك الحرث والنسل في العباد والبلاد ، وعدم موالاة العترة النبوية .

كما أقر الإمام أن هدف السلاطين العثمانيين إصلاح العباد وسعيها في عمارة البلاد ، كما أنهم يعظمون أهل البيت النبوي ، ولذا فكان لزاماً على الحكام العثمانيين في اليمن أن يكون تعاملهم مع أهله بالتي هي أحسن .

إذاً فالذي أقدم عليه من محاربته للقوات العثمانية كان اضطراراً ولم يكن تمرداً على السلطة العثمانية ، وإنما لاصلاح ما أفسده هؤلاء الحكام فهي أمانة في عنق الإمام انتشار الأمن بين الشعب اليمني وإقامة حدود اللّٰه ، وهي أمور يوافق عليها السلاطين العثمانيون[٢١] .

لم يستطع اليمنيون أن يخضعوا الأمير أحمد بن شعفل وأهل يافع لذا اتجه انتباههم إلى حضرموت ، ففي سنة ١٠٤٠هـ. أو ١٠٤١هـ. المؤرخ لم يكن متأكداً من التاريخ ، أرسل الإمام المؤيد إلى السلطان عبد اللّٰه بن عمر الكثيري في سيوف خطاباً يشرح له فيه مبدأ الزيدية ويدعوه إلى الخضوع لحكم اليمن وقد حملها البهال الأسدي الذي وصفه المطهر الجرموزي بأنه من حذاق العوام ، وقد رأى السلطان عدم الإجابة على الإمام إلا بعد عرض هذا الأمر على السيد الحسين بن أبي بكر في مدينة عينات ، وعند ذهاب رسول السلطان إلى الأخير وافقه البهال الأسدي ليرى عميد أسرة آل بكر بن سالم ، وعندما قرأ الحسين خطاب الإمام عنف كلاً من الحسين وأخيه الحسن أبناء الإمام القاسم أمام البهال لمعاملتهم السيئة للحكام الأتراك في اليمن حيدر باشا وعابد بن باشا[٢٢] .

---

(٢١) الشرفي ، **اللآليء المضيئة** ، ٣٣٤ ب .

(22)ALHIYED;A,RELATIONS BETWEEN THE JAMAN SOUTH ARABIA DURING THE ZAYDI, MAMATE OF AL QASIMI 1732 لوحة ٢١ THESISPRESENTD FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY OF THE UNIVERSITY OF EDINBURGH JUNE 1973.

وقد رفض الحضارم ما طلبه الإمام ولذا فقد تهجم المطهر الجرموزي على الحسين بن أبي بكر ، وعزا إليه بعض الحكايات والتي قد نسبها إليه البهال الأسدي . كما أطلق عليه أيضاً الشريفي الشفي[٢٣] .

ولم يأت هذا التهجم عفواً وإنما تعمد هذا المؤرخ ذكره لما كان لشخصية الحسين بن أبي بكر من قوة في اليمن الجنوبي أو تأثيره على أهل يافع في غرب اليمن الجنوبي والسلطان عبد اللّٰه الكثيري في حضرموت ، كما تهجم على الأخير وذكره بأنه يعادي أهل البيت ويعني بذلك الأئمة الزيدية ، وقد ساق كلاماً عزاه إلى صلاح بن مقنع الأسدي الذي أرسله الباشا العثماني حيدر في رمضان عام ١٠٣٦هـ. إلى السلطان الكثيري وذلك أثناء حصار القوات الإمامية لصفاء ، وقد سمح له الحسن بن القاسم باجتياز خطوط الحصار ، واعطاه أيضاً خطاباً للسلطان وبعض الهدايا ، وعندما استلمها السلطان من صلاح لبس الحلة التي أرسلها الحاكم العثماني وامتدح بقية هديته وتجاهل هدايا الحسن ، كما يقرر المطهر الجرموزي نقلاً عن صلاح .

وسأل السلطان الكثيري هذا الرسول عما يريده منه الزيدية فكانت إجابته انهم يريدون إعادة العلاقات التجارية بين اليمن وحضرموت والتي انقطعت عند بدء ثورة الإمام ضد الأتراك في اليمن ، غير أن مساعي الحسن لم تجد أذناً صاغية لدى السلطان ، وقوبلت هديته بالسخرية عند رجال البلاط ، كما قرر صلاح ما قد رآه من احتقار للزيدية في حضرموت[٢٤] .

وتمهيداً لاحتلالهم لحضرموت فقد مهد اليمنيون لذلك باتهام الحضارم بأنهم صوفية ، وجبرية ، ومعتقد الفقهاء منهم الأشعرية والعامة حلولية[٢٥] .

---

(٢٣) الجرموزي ، المطهر ، **سيرة المتوكل على اللّٰه اسماعيل بن القاسم** ، ق ٢١ أ ، مكتبة الفاتيكان رقم ٩٧١ ، الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ١٧١ أ .

(٢٤) **الجرموزي، سيرة المتوكل على اللّٰه اسماعيل بن القاسم** ، ق ٦٧ أ .

(٢٥) الجرموزي ، **سيرة المتوكل على اللّٰه اسماعيل بن القاسم** ، ق ٢٠ ب .

وطبيعياً هذا الكلام الذي أورده الجرموزي غير صحيح لأن شعب حضرموت على كل طبقاته أهل سنة ويقلدون الإمام الشافعي في الفروع في ذلك الوقت ، وقد بقي هذا الأمر إلى الوقت الحاضر وبعض المدن الحضرمية مثل تريم وسيون تعتبر مراكز للدراسات السلفية السنية في المنطقة ، ومن المسلّم به أن الجرموزي يجهل ما عليه أهل المنطقة ما عدا ما سمعه من رسول الإمام المؤيد إلى حضرموت البهال الأسدي(٢٦) .

وبعد أن اتضح موقف الأمير أحمد بن شعفل وأهل يافع العدائي لليمنيين أخذ رجال دولة الإمام المؤيد يراقبون حدودهم مع اليمن الجنوبي واكتشفوا أن بعض حلفاء الأمير أحمد قد أرسلوا خطابات للباشا العثماني عام ١٠٤١هـ. يقدمون فيها تأييدهم للأتراك في اليمن ، وعندما وصلت هذه إلى أيدي الحسن اتجه مسرعاً إلى الحدود الشرقية وهاجم أهل هذه المنطقة ، وقد عضده في هذا الهجوم أخواه الحسين وإسماعيل وقد كانت انطلاقة قوات الثلاثة من مدينة ذمار . وأمام هذه الجحافل فقد أجبر الجنوب على طلب الصلح(٢٧) .

وقد وضع رجال دولة الإمام المؤيد في برامجهم التوسع في اليمن الجنوبي ففي عام ١٠٤٢هـ. حاول الأمير الحسن بن القاسم غزو منطقة بني أرحم ، غير أن الإمام أثناه عن عزمه هذا متعللاً بأن الأتراك قد ينتهزون فرصة وجود الجيش اليمني في هذه المنطقة ثم يقدمون بهجوم لاستعادة بعض المناطق التي قد طردوا منها(٢٨) .

وفي هذه الفترة أصبح أهل اليمن الجنوبي في قلق من نوايا اليمنيين التوسعية في مناطقهم ونتيجة لذلك فقد استغلوا أية فرصة ممكنة لوقف انتشار

---

(26) AL- HIYED. RELATIONS BETWEEN THE YAMAN AND SOUTH ARABIA لوحة ٣١ - ٣٢ .

(٢٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٤٨ أ .

(٢٨) غير معروف ، **قطعة من كتاب في تاريخ اليمن** ، ق ٥٥ أ .

نفوذهم ، فمثلاً في عام ١٠٤٣هـ. ثار حاكم قعطبة الزيدي أحمد بن عقيل على سلطة الإمام وأيده على عمله هذا الأهالي في المنطقة والأمير أحمد بن شعفل وأهل يافع ، وأهل منطقة حرير ، وقبيلة الصقالية ، وقد دخلت هذه الجموع لتحارب قوات الحكومة المركزية ، وتعضد الثائر اليمني ، غير أنه حدث ما لم يكن في الحسبان وذلك عندما سمح قائد القوات اليمنية علي بن شمسان للأمير أحمد بن شعفل وقبيلة الصقالية بنهب مدينة قعطبة مقابل تخليهم عن تأييد الثائر اليمني ، ونتيجة لذلك فقد انهزم الأخير وأخذته القوات اليمنية أسيراً وأرسل بعض اتباعه إلى مدينة ذمار حيث نفذ في بعضهم حكم الاعدام .

وقد ذهب القائد اليمني علي بن شمسان إلى خرقة مقر الأمير أحمد بن شعفل ليشكره على ما قدمه لحكومة الإمام عاد إلى اليمن(٢٩) .

وكان لأحداث الحرب بين قوات الإمام والقوات التركية في اليمن أثر على مجريات الأمور الخارجية ، ففي سنة ١٠٤٣هـ. اتى حاضرة الإمام المؤيد أهل تهامة الذين بقيت مناطقهم تحت النفوذ التركي وطلبوا منه العون ضد اعدائهم فاستجاب إلى مطالبهم وأرسل في شعبان من نفس السنة جيشاً تحت قيادة الحسن بن القاسم وقوامه أربعون ألف جندي ، وقد هاجم به الأتراك غير أن جزءاً منه والذي كان تحت قيادة شمس الدين بن يحيى الكوكباني قد انهزم في موقعة المصفرية في شهر شوال من هذا العام(٣٠) .

وقد شجعت أخبار هذه الهزيمة أهل يافع الذين عضدوا الأتراك داخل اليمن بعد أن أقرهم بذلك السيد الحسين بن أبي بكر في مدينة عينات في حضرموت وكان نشاط عملهم الهجوم على قعطبة ونهب مناطقها، وواجه اليمنيون هذا الهجوم بجيش تولى قيادته الأمير أحمد بن القاسم كما عضدتهم

---

(٢٩) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٧١ أ ، AL - HIYED, RELATIONS BETWEEN THE JAMAN AND SOUTH ARABIA لوحة ٣٤ .

(٣٠) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٥ - ٨٣٦ .

قبيلة قائفة ، وبدأ هجومهم من مدينة ذمار ، وتحت ضغط القوات اليمنية الكبيرة اضطر أهل يافع إلى الانسحاب من مناطقهم في اليمن الجنوبي(٣١) .

ونتيجة لضغط قوات الإمام على القوات التركية في اليمن فقد انحصر الأخيرون في تهامة ، ولذا فقد فكروا في توسيع نفوذهم في مناطق أخرى خارج اليمن فقرروا العمل على استعادة ميناء عدن ، فتحالف قانصوه باشا آخر الحكام العثمانيين في اليمن مع أهل يافع على أن يكون هجوم الأخيرين من البر والاسطول التركي من البحر ، وقد ضمن الأتراك تأييد حامية جزيرة صبرة وبعد أن تم الاتفاق بين الأطراف المتحالفة اتجه الاسطول التركي من المخا تحت قيادة إبراهيم بك سنة ١٠٤٣هـ. غير أن هذا الهجوم على عدن فشل لأن أخبار الحملة وصلت إلى الحسن بن القاسم والذي بدوره أخبر الأمير عبد القادر بن محمد حاكم أبين فترك مقر عمله واتجه إلى المدينة المهاجمة ليقوي من دفاعها ، كما أن الأخير استخدم نفوذه لدى أهل يافع المقيمين في عدن من الذين يؤيدون الزيدية بها وعلى رأسهم معوضة بن عفيف. فاستطاع الأخير أن يقنع أهل يافع الذين يؤيدون الأتراك بعدم هجومهم على المدينة من البر والتخلي عن الأتراك وفعلاً استجاب الأخيرون وتم ما يريده زعماء الزيدية في اليمن من إفشال الهجوم(٣٢) .

واتفاقاً مع هذه الحوادث السابقة فقد هاجم الحسن بن القاسم القوات التركية المتمركزة في زبيد والمخا فاضطر لذلك قانصوه أن يستدعي الأسطول التركي من أمام عدن بعد فشله السابق في الاستيلاء عليها لكي يحمي ميناء المخا من الهجوم الزيدي .

كما أن الباشا العثماني استطاع أن يكسب تأييد حاكم مدينة الشحر الكثيري فدبر هجوماً جديداً على عدن إلا أن هذا التأييد باء بالفشل أيضاً ، كما فشل في أن يجند أهل يافع بالرغم من أن السيد الحسين بن أبي بكر

---

(٣١) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٧١ أ .

(٣٢) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة**، ق ٣٧٥ أ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٥٩ أ .

صاحب عينات في حضرموت قد أصدر أوامره لهم في أن يعضدوا الأتـراك ، وذهب لهذا الأمر إبراهيم افندي أحد اعضاء الحكـومة التـركية في اليمن الى يافع لتوزيع الأموال بين زعماء القبائل(٣٣) .

ونتيجـة لنجاح الإمـام المؤيد في حـربه ضـد الأتراك وفشـل محاولات الآخرين في تأييد حكام اليمن الجنوبي نجد أن هؤلاء الحكام يتوجهون صوب اليمن لتـأييـد القضيـة ، فمثـلاً نـرى أن السلطان عبـد اللّٰه بن عمـر الكثيـري والذي لم ينصاع لما يريده الإمام المؤيد في السابق بتأييد السيـد الحسين بن أبي بكر يرسل للإمام في ٢٤ جمادي الثاني سنة ١٠٤٣هـ. خطاباً استعمل فيه كلمات ودية فقال: «والذي ننهيه إلى مسامعكم الشريفة أطاب اللّٰه مسموعها ، وأعذب ينبوعها ، إنّا صرنا من المحبين لكم ، ونحن منكم وإليكم» وفي مكان آخـر قـال: «وفي الحقيقـة نحن نحبكم طبيعيـاً ، ونحن على طـريقتكم في الداخل ، والخارج» كما أنه شرح للإمام أن الذي أخّره في الكتابة إليه للتعبير عن هذه الصداقة الحقيقية هو الخوف من قوة الأتراك في البر والبحر ، كما كان أجداده يعملون لهم حساباً ويخشونهم(٣٤) .

وقد أجاب الإمام المؤيد على السلطان عبد اللّٰه الكثيري بخطاب يحمل المـودة والمحبة لـه والتفهم لما أبـداه الحاكم الحضـرمي في خطابـه السابق وأخبره أن السكوت عن الدعوة إلى اللّٰه في حضـرموت سيعـاقب عليها أمـام اللّٰه(٣٥) .

ونتيجة لهذا التبادل الودي بين الإمام والسلطان دخلت العلاقة بين اليمن وحضرموت في طور جديد(٣٦) .

وعنـدما تـوجه السلطان عبـد اللّٰه صـوب مكـة للحـج سنـة ١٠٤٤هـ.

---

(٣٣) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، جـ ٢ ، ق ٣ أ ، مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ٥٩ أ .

(٣٤) الشرفي ، **اللألىء المضيئة**، ق ٣٧٩ ب .

(٣٥) الشرفي ، **اللألىء المضيئة**، ق ٣٨٠ أ ـ ٣٨٤ ب ، الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٦ ب ـ ١٩ أ .

(36) AL HIYED, RELATIONS BETWEEN THE YAMAN ARABIA لوحة ٣٧ ـ ٣٨ .

استخلف على الحكم في حضرموت أخاه بدر الذي حاول أن تكون علاقته مع الإمام ودية أيضاً فراسله سراً ، وعندما تقرأ إجابة الإمام عليه المدونة في ٤ رمضان في نفس السنة نجد أن الانطباع فيه على أن بدر قد أصبح حاكماً زيدياً ، وأن الإمام قد سره ذلك(٣٧) .

وقد مات السلطان عبد اللّه الكثيري في مكة سنة ١٠٤٥هـ. فأصبح أخوه بدر الحاكم المطلق للدولة بالرغم من أن ابن أخيه بدر هو الخليفة لأبيه في عرف تقاليد أسرة آل كثير ، ولذا فقد تآمر على عمه وقاومه ويقال أن أكثر العوامل تشجيعاً لإسقاطه من الحكم هو اعتناقه للزيدية(٣٨) .

وقد تشجع اليمنيون لمجريات الحوادث في حضرموت والتي كانت لصالحهم فاتجه نفوذهم إلى الجهات الشرقية من اليمن الجنوبي حيث أقليم المهرة ، وذلك عندما كتب الإمام المؤيد خطاباً لسلطان قبيلة المهرة مسعد بن عمرو يدعوه فيه للخضوع لأهل البيت ، وذكره أن أجداده الأوائل كانوا يفعلون ذلك ، وقد سكتت المراجع عن إجابة السلطان المهري(٣٩) .

ولم تكن علاقة دولة الإمام المؤيد محمد بن القاسم مقتصرة على الدول الواقعة داخل الجزيرة العربية بل تعدت حدودها وترامت إلى مسامع الحكام والأفراد البعيدين عن دولته ، وذلك لما لها من مكانة مرموقة بالرغم من حداثة عهدها بالاستقلال ومن الذين سمعوا عنها وتأثروا بها من خارجها السيد الطاهر بن عبد اللّه الادريس الذي حدث بينه وبين ابن عمه ملك المغرب خلاف اضطره إلى مغادرة البلاد والفرار إلى اليمن ، والتي وصلها عام ١٠٤٦هـ. وفي مدينة زبيد التقى به السيد هاشم بن حازم بن أبي نمي فرأى على السيد المغربي سمات العلم والمعرفة فتوسم فيه الخير ، لذا فقد قدمه إلى

---

(٣٧) الشلي ، محمد بن بكر ، **عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر** ، ق ١١٨ أ ، مكتبة جامعة كمبرج رقم (٢) ١٤٠٢هـ.

(٣٨) ابن هاشم ، محمد ، **تاريخ الدولة الكثيرية**، جـ ١ ،ص ٣٨٦ ، OR القاهرة ١٩٤٨م.

(٣٩) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٠ ب .

الأمير الحسن بن القاسم الذي أكرمه وأحسن منزلته ، ثم أرسله بدوره إلى عاصمة البلاد ـ شهارة ـ وبرفقته عدد من الاتباع لتقديمه إلى الإمام المؤيد الذي أكرمه وأحسن وفادته أيضاً .

ومما لا شك فيه أن السيد المغربي قد أفضى إلى الإمام ما دار من خلاف بينه وبين ابن عمه الملك فتلقاه بصدر رحب واستمع منه ، وعند عودته مرة أخرى إلى بلاده حمله رسالة إلى الملك المغربي تضمنت فيما يبدو إصلاح ذات البين ، كما تضمنت ذكر قرابة الإمام المؤيد الذي يعود نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب وملك المغرب ينحدر من نفس الدوحة كما تضمنت الدعوة التي تكون بمثابة النصيحة وهي كما قال : «فكتبنا اليكم دعوتنا هذه داعية إلى مثل ما دعا إليه سلفنا وسلفكم ، وآباؤنا وآباؤكم من كتابه وسنة رسوله صلى اللَّه عليه وسلم ، وما حث اللَّه عليه من تقوى اللَّه المبلغة إلى دار السلام ، وحفظ هذه البيضة التي شرفها اللَّه من الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة اللَّه ، وطاعة رسوله ، وطاعة الإمام ، والدخول مع جماعتهم واخوانكم من أهل البيت واتباعهم من المؤمنين ، فيما دخلوا فيه من الإجابة والخروج إلى اللَّه عز وجل من عهده الفريضة وأمرنا السيد الجليل الطاهر بن عبد اللَّه أن يبلغها إن شاء اللَّه إليكم ، ويأخذ عهد اللَّه فيها عليكم ، ويقول فيكم إن شاء اللَّه أحكامها ويستعين بعد اللَّه بكم على نشر أعلامها بما يطابق كتابه وسنة رسوله صلى اللَّه عليه وسلم وسيرة أئمة الهدي من آل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم»(٤٠) .

كما أن علاقة دولة الإمام لم تقتصر على العالم العربي فقط وإنما تعدته إلى مناطق غير عربية لما كانت لها من عظمة وهيبة في قلوب الحكام من غير العرب ، وقد وصل إلى عاصمة اليمن عام ١٠٤٨هـ. مندوباً من أحد ملوك الهند الذين كانوا يتقربون إلى الإمام . فحمل إليه كثيراً من الهدايا الثمينة التي انتجتها أيادي الصناع الهنود ، وهي تشتمل على سيوف من أجود ما تصنعه

---

(٤٠) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ٧٠ ـ ٧٤ أ .

الهند مع فاخر البخور والتوابل .

وقد تلقى الإمام المؤيد هذا المندوب بالترحاب ، والاكرام ثم رد على هذه الهدية بأن حمّل المندوب بالخيول الأصيلة الموجودة في اليمن في ذلك الوقت[٤١] .

ومن الذين ترامت إلى علمهم أخبار دولة المؤيد محمد بن القاسم امبراطور الحبشة فاسلداس بن سينوس ، وقد أراد أن يقيم علاقة مع اليمن لأن بلاد الحبشة في تلك الفترة كانت تعج بالفوضى والاضطراب وذلك بسبب ما حدث ويحدث داخل حدودها . فقد اضطربت الأحوال فيها لأن سكانها مزيجاً من المسلمين والمسيحيين وبعض القبائل المختلفة الأديان ، فقامت بين هذه الفئات حروب دامية خاصة مع قبائل الجالا والغلاثة ، والاجاو ، وسيداما ، ثم امتدت يد النزاع حتى وصلت إلى مصوع الذي يحكمه الأتراك العثمانيون في تلك الحقبة الزمنية أدى إلى خروج العثمانيين منه ، وتعيين مندوب لهم بعد أن عقدوا هدنة بينهم وبين حكام الحبشة ، ولم يقتصر الأمر على هذا بل نشب نزاع بين الأمراء والبيت الحاكم في تلك الأمبراطورية ، وهنا دخلت الحبشة في هذه الفترة من الزمن مرحلة الاضطرابات مما أدى إلى عزلها عن العالم . وقد استمر هذا الوضع قرابة القرنين[٤٢] .

وقبل الدخول في علاقة الإمام المؤيد بالامبراطور فاسلداس يجب علينا أن نلقي نظرة سريعة على كيفية دخول الكاثوليكية إلى الحبشة ، وانها كانت السبب الحقيقي للصراع بين الشعب والبلاط . فقد انتشرت المسيحية في الحبشة في حوالي القرن الرابع الميلادي على يد تاجر مصري يدعى فردمنتوس ، وقد علمها إلى ملك البلاد ويسمى عيزانا مما حدى بالأخير إلى تعيين أسقفاً ولقبه بالأب الإسلامي ، وقد كانت هذه هي نقطة البداية التي انطلقت منها هذه الديانة في بلاد الحبشة إلى حين قدوم البرتغاليين إلى الحبشة

---

(٤١) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ٦٩ ب ، ٧٠ أ .

(٤٢) غيث ، فتحي ، **الإسلام والحبشة عبر التاريخ** ، ص ١٦٩/ ١٧٠ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

لنصرة المسيحيين بعد انتصارهم على الإمام بن إبراهيم،وقد أخذوا يبذلون قصارى جهدهم إلى تحويل الحبشة من المسيحية إلى الأورثوذكسية إلى المذهب الكاثوليكي وقطع علاقة الحبشة بالكنيسة المصرية وذلك عن طريق البرتغاليين الذين تخلفوا من الجنود الذين اتوا لمساعدة المسيحيين في المعارك السابقة وقد كونوا طبقة ممتازة ذات نفوذ خطير وكانت هذه الطبقة تسعى لتنفيذ ما خطط له البرتغاليون وهو إرسال عدد كبير من القساوسة الجزويت إلى الحبشة فما كاد امبراطورها جلاوديوس يعود إلى قصره في جواندار حتى وجد أن في انتظاره فرقة يسوعية تطالب الامبراطور أن يعتنق المذهب الكاثوليكي ويعترف بتبعيته لكنيسة القربية . لكن الامبراطور رفض ذلك . فدارت أحداث كثيرة ، انتهت بطرد البرتغاليين من الحبشة . لكن في سنة ١٦٠٧ ـ ١٦٣٢م استطاعوا أن ينجحوا فيما أرادوا ، فقد دخلوا بلاد الحبشة عن طريق مصوع بعد أن سهّل لهم الباشا زيمور الدخول واستطاعوا نشر مذهبهم في البلاد بعد أن اعتنقه امبراطور البلاد ويدعى سوسينوس ومن هنا انتشر المذهب الكاثوليكي في الحبشة(٤٣) .

ففي عام ١٠٤٠هـ. اشتد النزاع في هذه المنطقة حتى اضطر امبراطورها سينوس إلى إصدار بيان أعلن فيه إلى شعبه اعتذاره عن اعتناق المذهب الكاثوليكي والعودة إلى مذهب آبائه وأجداده ، وتنازله عن حكم البلاد لابنه فاسلداس .

هنا ترتب على ذلك أمور كثيرة وخطيرة أهمها طرد الجزويت من الحبشة الذين قاموا بدورهم بإرسال رسالة إلى ملك اسبانيا يقولون فيها أن السبيل الوحيد لارجاع الحبشة إلى المذهب الكاثوليكي هو القوة العسكرية التي تجبرهم على ذلك .

كذلك ثارت الكنيسة وحاولت التدخل في أمور البلاد مما أزعج

---

(٤٣) الحيبد ، سفارة المتوكل على اللّه إسماعيل إلى البلاط الملكي في عاصمة الحبشة ، **مجلة كلية الشريعة** ، العدد ٣ ، ص ١٥ .

الامبراطور فاسلداس وحاول الالتجاء إلى البلاد الإسلامية لتحميه من تسلط الدول الأوروبية فعقد هدنة مع الولاة العثمانيين الموجودين في مواكن ، ومصوع واتفقا على أن تقوم الدولة العثمانية بإعدام جميع القساوسة الذين يحالون الدخول إلى الحبشة، ولم يقتصر فاسلداس على الاعتماد على الدولة العثمانية لحماية أراضيه فحسب بل أرسل إلى إمام اليمن وذلك بعدما سمع عن مكانته وقوة دولته ، حيث أنها وقفت في وجه الدولة العثمانية والتي كانت تمثل أقوى دولة في ذلك الوقت كذلك لم تكن هذه العلاقة هي الأولى بين الدولتين بل كانت هناك علاقات منذ القدم ، فلو رجعنا إلى التاريخ القديم لوجدنا أن هناك جماعات كبيرة هاجرت من اليمن إلى بلاد الحبشة ، وفي بداية ظهور الديانة المسيحية نجد أن اليمن قد دخلت تحت الإحتلال الحبشي ، فقد قامت فرقة بقيادة القائد أرباط بمهاجمة بلاد اليمن واحتلاله(٤٤) .

وفي عام ١٠٥٢هـ. وبعد توتر الحالة في بلاد الحبشة كما سبق وقطع امبراطور الحبشة فاسلداس علاقته بالدول الأوروبية وادخلوا الحبشة في عزلة تامة عن العالم فخاف امبراطورها على البلاد ، لذا أخذ يتقرب إلى الدول المسلمة كما سبق وأن ذكرنا، محاولاً صد غدر الدول الأوروبية فقد أرسل رسالة إلى الإمام المؤيد يعرض فيها عليه رغبته في إقامة علاقات ود ومحبة مع هذه الدولة الفتية وقد أبدى استعداده لإقامة علاقات ثقافية ، وتجارية ، وعسكرية وقد ضمن رغبته هذه برسالة أرسلها إلى الإمام المؤيد تصحبها بعض الهدايا مما تشتهر به هذه البلاد لتكون رمزاً لبدء هذه العلاقة فقد ذكر في بعض فقرات هذه الرسالة الآتي «يسعد دولتنا القاهرة سبب صدور الحروف لأداء واجب السلام وتجديد العهد بأخلاقكم الكرام» إلى أن قال . . : «وبعد هذا اليوم لا تقطعوا عنا أوراقكم ، وأخباركم عن طريق الديكلي كما بندر البيلول قريب

---

(٤٤) الحيبد ، «سفارة المتوكل على الله اسماعيل إلى البلاد الملكي في عاصمة الحبشة» ، **مجلة كلية الشريعة** ، العدد ٣ ، ص ١٥ .

إلى المخا ومهما لكم على أتم الحالات لأن بعض الأشياء التي عندنا ما هي عندكم فبعدما وقع الصحبة بيننا تناقض الحوائج من الطرفين بالذي يريد خاطركم وخاطرنا فالالتماس من مروءتكم ، وهمتكم الكريمة ، وجودكم وفضلكم العميم. . انكم تجعلوا لنا خيلين واحدة منهم يكون حصاناً طويلا جسيم ، جراي يحمل آلة السلاح كلها ، والثاني يكون حصاناً وقاصباً ولو كان قصير ، ولو كانت انثاية فلا بأس عليها ونريد درعاً يكون وسيع طويلي لا تدخل الحربة فيه ، وواحدة خوذة وسيعة مليحة ولا يقطعن ، وما اردنا وسألنا هذا الأمر فيكم وعارفين ان يدكم طويلة وقادرين على وجود ذلك ، والواصل اليكم يرسم البركة عشرين رأس رقيق ، وواحدة بغلة سوداء من مراكبنا وتفضلوا بقبوله»[٤٥] .

وبعد هذا العرض ببعض فقرات رسالة الامبراطور فاسلداس امبراطور الحبشة يتضح لنا من خلالها ما للإمام المؤيد من محبة وتقدير في نفس الامبراطور وذلك من خلال ما ورد بالرسالة من مدح مطول له . كذلك من خلال فقرات الرسالة تبين اعتراف دولة الحبشة الممثلة في امبراطورها بدولة الإمام المؤيد وتأييده لها واعترافه باستقلالها من الدولة العثمانية وانها دولة ذات سيادة مستقلة . كذلك فقد عرض الامبراطور على الإمام التعاون بين الدولتين وتوحيد صفوفهم وهذا يعني عقد اتفاقية حربية بين البلدين كذلك فإن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تجارية على تعاون البلدين وتبادلهم التجاري وكذلك استعداد الامبراطور لقضاء حاجات الإمام التي تكون في مقدوره .

كما دلت الرسالة على وجود رعايا من الطرفين في كل من الحبشة واليمن وهذا يعني وجود تجار من الدولتين . ومن خلال هذه الرسالة تعرفنا على أهم صادرات تلك البلاد . وهي العبيد أو الرقيق والبغال التي تشتهر بها الحبشة كذلك ما تصدره اليمن من خيول ودروع وغيرها[٤٦] .

---

(٤٥) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٤١ أ ب .

(٤٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٤١ أ ب .

وقد أجابه الإمام المؤيد برسالة مماثلة أكد له فيها على أنه على أتم الاستعداد لتلبية طلباته ، وقبول هديته ، وقد أرسل له وفداً إلى عاصمة الامبراطور محملاً بالهدايا ورسالة من الإمام الى الامبراطور جاء فيها شكر الإمام للامبراطور فاسلداس وتقديره له ودعمها بالآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر سيدنا عيسى ووالدته مريم عليهما السلام وفيها أبدى الإمام استعداده للتعاون مع الامبراطور ولبى طلبه إلى ما أراد . فقال في بعض فقراتها : «وأما ما أشار إليه زاده اللّٰه من الأنعام ، والتمسه من رأس الخيل والدرع والبيضة فذلك في حقه يسير ، وبالنظر إليه حقير ، وصدر ذلك مع سيف صارا ولداء الأعداء ان شاء اللّٰه حاسم ، جعله اللّٰه تواصلنا بحمده وشكره ، وعبادته وذكره ، والاجتماع على ما أمر أن لا يتفرق عليه أمره ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم»[٤٧] .

هنا تبين لنا من رسالة الإمام المؤيد إلى فاسلداس مدى حرص الإمام على إقامة علاقة حسن الجوار والمودة بين البلدين التي تربطهما علاقات قديمة مثل الحبشة ، كذلك توضح هذه الرسالة الطريفة اللبقة التي اتبعها الإمام المؤيد في مخاطبته الامبراطور وترغيبه في الإسلام كما سبق وذكرنا أن رسالته كانت مدعمة بالآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر المسيح وبيّن له أن أقرب الأديان إلى الإسلام هو الدين المسيحي ، كذلك فقد وضح في رسالته قبوله للعرض الذي تقدم به الامبراطور وهو التعاون بين البلدين في النواحي السياسية والاقتصادية ، والتجارية . لذا فقد بادر الإمام لتلبية طلب الامبراطور فاسلداس من الخيل والدرع والخوذة ومعها بعض السيوف التي اشتهر بوصفها اليمن وهذه جميعها أرسلها مع الوفد الذي عاد إلى الحبشة معززاً مكرماً .

وعند مغادرة الوفد الحبشي الأراضي اليمنية أرسل معه الإمام المؤيد عدداً كبيراً من الجنود لحمايته من اعتداء القوات العثمانية عليه التي كانت

---

(٤٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٤١ ب .

مرابطة على شواطىء تلك المنطقة[٤٨] .

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول عن ثورة الأمير أحمد بن الحسن على عمه الإمام المؤيد في عام ١٠٥٠هـ . وما كابد الطرفان من محن من جراء ذلك ، وقد أوردت الكثير من المصادر أن الأمير أحمد قد التجأ إلى امراء الدول المجاورة لمساعدته في محنته ومد يد العون له ضد عمه ، وقد تبين لنا أن الكثير من حكام هذه الدول قد فتح له صدره وبلاده لما لوالده العظيم من أفضال عليهم ، وما يكنون له من محبة في نفوسهم ، لذلك نجدهم عند اندلاع ثورة ابنه أحمد وفراره إليه تقبلوه بصدر رحب ومن هذه الدول أبين التي رحل إليها الأمير فاراً من وجه عمه الإمام المؤيد وأقام فيها عند الأمير الحسين بن عبد القادر الجرهمي الذي أكرمه وأحسن وفادته ، ومما لا شك فيه أن الإمام كان يخشى من عواقب مكوثه هنا لذا فقد أرسل خطاباً إلى الأمير الحسين يطلب فيه إرسال الأمير أحمد إلى شهارة ، وقد ضمن رسالته إلى الأمير الجرهمي شرحاً مفصلاً عن سبب هروب ابن أخيه ، وأنه خرج عن طاعته ، ونحن نعلم مدى العلاقة التي كانت قائمة بين الإمام المؤيد والأمير عبد القادر الجرهمي مما أوقع الأخير في حرج فهو لا يستطيع أن يعصي أمر الإمام ، كذلك لا يستطيع طرد الأمير الثائر ، ولكنه توصل إلى الحل الأنسب فقد هداه اللّٰه الى طريقة تخرجه من هذا المأزق فأخذ في معاملة الأمير بجفوة على غير عادته ، مما جعل الأمير أحمد يتضايق من هذا التصرف ويشد رحاله ويغادر البلاد من نفسه دون أن يطلب منه هذا[٤٩] .

وقبل مغادرة الأمير أحمد المدينة فكر في المكان الثاني الذي يلجأ إليه فوقع اختياره على يافع حيث يوجد فيها أتباع منافس الإمام وهم أسرة آل الشيخ

---

(٤٨) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ١٠٧ ب ـ ١٠٨ أ ، الجرافي ، **انباء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ قسم ٤ ، ق ١٠٩أ ، الحيد «سفارة الامام المتوكل على اللّٰه اسماعيل إلى البلاط الملكي في عاصمة الحبشة »، **مجلة كلية الشريعة** ، العدد ٣ ، ص ٣٠ .

(٤٩) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٧ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٩ب .

أبو بكر سالم في عينات بحضرموت ، وكان عميدهم في هذه الفترة السيد أحمد بن الحسين بن أبي بكر ، فعندما كتب أتباع الأمير لأهالي يافع يخبرونهم بلجوء أحمد إليهم لم يقبلوه إلا بعد أن استشاروا السيد أحمد بن الحسين في عينات ، وقد رضي الأخير لجوء الأمير الثائر إليهم وهذا العمل لربما كان مكيدة ضد الإمام ، وبعد أن استقر الأمير أحمد بن الحسن في يافع أخذ يرغب أهلها في الاغارة على منطقة مقطبة ، إحدى المناطق التابعة لحكومة الإمام المؤيد وفعلاً تم الهجوم عليها ودارت المعارك بين الطرفين التي انتهت بانتصار قوات الإمام وتقهقر القوات اليافعية منكسرة[٥٠] .

ولكن المعارك عادت مجدداً بين الطرفين فرأى الإمام المؤيد أنه من الصواب إيقاف سيل الدماء فقرر استدراج الأمير أحمد إلى حظيرته ومحاولة كسب رضاه بدلاً من أن يكون ضده كما أنه بذلك يجنب البلاد الدخول مرة أخرى في دوامة الحروب مجدداً وخاصة أنها لم تسترجع أنفاسها من الحروب السابقة مع الدولة العثمانية لذلك قرر الإمام أن يرسل أحد رجاله الموثوق بهم إلى بلاد يافع والعودة بالأمير الثائر فاختار القاضي أحمد بن الحسن الحيمي الذي عرف عنه رجاحة العقل ، وحسن التصرف والحنكة السياسية فسافر إلى يافع على رأس وفد صغير ، فاستطاع استدراجه وإقناعه بالعودة إلى اليمن ، والدخول في طاعة عمه الإمام ، ومرافقته إلى شهارة ، وهنا هدأت الأمور في البلاد وصلح أمر الأمير وأصبح من أفاضل التابعين لعمه بعد ذلك ولم يعاود الخروج عليه مرة أخرى[٥١] .

كذلك كانت للإمام المؤيد علاقة أخرى وهي علاقة تبادل النصح والارشاد وكان ذلك مع حاكم البصرة الذي أرسل للإمام سنة ١٠٥٢هـ. رسالة

---

(٥٠) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة**، ق ٢٢٢ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٧ ب ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٩ ب .

(٥١) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٢٢ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٧ ب ـ ١٠٨ أ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٣٩ ب ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٦ ب .

تدل على حسن العلاقة بين البلدين ، وما يكنه للإمام من حب ومودة في رسالته التي وصف فيها الإمام بصفات قل أن تقال في غيره، ومما جاء فيها «إلى من حسن أثره وطاب خيره وشهد له إن شاء اللّه بصلاح السريرة جاعل محبة آل محمد المصطفى صلى اللّه عليه وسلم شعاراً له ، وإننا معهم في الأقوال والأفعال»(٥٢) .

وهذا وقد رد عليه الإمام برسالة مماثلة ، وشكره على نصائحه له التي وردت في رسالته والتي اعتبرها بمثابة الهدية الغالية ، وقد جاء في رسالة الإمام الآتي «أما عقب إرسال كتابي اليكم على يد الشيخ الجليل يحيى بن أحمد الأنصاري الحساوي إن شاء اللّه تنبغي بما يقتضيه لها الإمام من المعايدة لرسائل التي جعلها اللّه قائمة مقام اللقاء والمشاهدة أو ما حث اللّه ورسوله من هذه المناصحة التي هي أفضل الهدايا ، وأجل ما وضعه بين عباده والمؤمنين من منح الدين والعطايا ، فيما يرفع دين اللّه وأمره وجعلي مناله »(٥٣) .

وقد شكر الإمام في هذه الرسالة باشا البصرة على ما قدم له من نصح وإرشاد وقد اعتبر هذه النصيحة بمثابة الهدية الثمينة وهذا يدل دلالة واضحة لما يكنه الطرفان من حسن العلاقة وتبادل الآراء والأقوال لما تمليه عليهم الاخوة الإسلامية .

وهكذا نجد أن دولة الإمام المؤيد خلال هذه الفترة الزمنية الوجيزة من عمرها والتي تخللتها حروب طاحنة مع أعظم الدول في ذلك الوقت استطاعت أن تمد علاقاتها السياسية والتجارية والثقافية إلى أماكن بعيدة عن اليمن أمثال المغرب والهند والحبشة بالإضافة إلى الدول المجاورة لها ، هنا نجد أن الإمام قد حرص على إقامة مثل هذه العلاقات مع هذه الدول بالرغم من انشغاله في مثل الشريان الذي يمدها بالحياة ، ويوصلها بالعالم الخارجي ويخرجها من عزلتها ويكوّن لها صداقات تستطيع أن تعتمد عليها كثيراً بعد اللّه سبحانه وتعالى .

---

(٥٢) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٣٧ ب .

(٥٣) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٣٨ أ .

الفصل الرابع

إصْلاحَات الإمَام الدَّاخليَّة

أ ـ إصلاحاته العلمية .

ب ـ إصلاحاته الإدارية .

جـ ـ إصلاحاته العمرانية .

كانت الفوضى تدب في اليمن ويشيع الاضطراب فيه وذلك من الحروب المتواترة التي قامت بينها وبين الدولة العثمانية ، فقد أرادت الثانية بسط سيطرتها على اليمن غير أن أئمة الزيدية ومنهم الإمام المؤيد محمد بن القاسم الذي نتعرض لفترته في بحثنا هذا قد ضيع عليها هذه الفرصة وسعى جاهداً لتوحيد البلاد تحت لوائه وإخراج الغزاة من بلاده ، وقد نجح في ذلك عندما أجلى آخر حاكم عثماني ـ قانصوه باشا ـ في سنة ١٠٤٥هـ. وبذلك أصبحت البلاد تحت حكم الإمام ، وقامت أول دولة موحدة في اليمن منذ أن دخلها العثمانيون . وبالرغم من اجلاء العثمانيين من هذا القطر نهائياً إلا أن البلاد لم تنعم بالهدوء والاستقرار تحت ظل حكومة الإمام المؤيد فقد انتشرت هنا الثورات المحلية على يد عدد من المغامرين ، ولذا فقد كان لزاماً عليه ان يقوم بقمعها ليتثبت الأمن والاستقرار في البلاد باكتمال السيطرة التامة على زمان الحكم وباللجوء إلى هذه الوسيلة فقد تسنى له تنفيذ البرامج السياسية والإصلاحية على حد سواء وهي الخطة التي بدأها والده الإمام القاسم في مد النفوذ الزيدي في انحاء القطر اليمني ، وقد استعرضنا هذا الجانب في الفصل الأول من هذا البحث ، كما تناولنا بالبحث في الفصول السابقة من الرسالة أهم أعماله السياسية وقد كانت من اجل تكوين دولة زيدية تحت لواء أسرة آل القاسم .

نلاحظ بعد دراسة جوانب حياة هذا الإمام الذي يعتبر المؤسس الحقيقي

للدولة الزيدية في اليمن في الفصول الأولى من الرسالة انه لم يسع لمصلحته الخاصة ، فمنذ تولية القيادة وهو يقوم بالأعمال الإصلاحية التي عم خيرها جميع البلاد ، فإذا أخذنا بالاعتبار أن نتناول بالبحث ما قام به الإمام من إصلاحات داخلية فقط وحصرناها بالإصلاحات العمرانية والعلمية فهذا يعتبر نقصاً في فهمنا لمعنى هذه الناحية الهامة من حياة هذا المؤسس العظيم للدولة الزيدية في اليمن ، فإن معنى الإصلاح شامل لكثير من الأعمال السياسية لكن مؤرخي ذلك العصر قد أهملوا أهم جانب من جوانب هذا العصر وهو الجانب الحضاري ، هذا وان تعرضوا له فإنهم يذكرونه من باب الصدفة ، ويعتبرونه من النواحي السياسية ومن هنا نجد أن آل القاسم لم يهملوا هذا الجانب المشرق في هذه الدولة بل اهتموا به اهتمامهم بأي جانب آخر من الجوانب المكونة للدولة ، مثل الجانب السياسي والحربي ، والعلاقات الخارجية فقد كانت سياستهم تقوم على تشجيع النواحي الحضارية في البلاد وتدعيم مرافقها سواء كانت علمية أم أمنية ، أو عمرانية أو إدارية فلو تناولنا كتب التاريخ التي أُلفت في عصره لوجدناها صبت كل اهتمامها على الناحية السياسية وأهمها الحربية وأهملت هذا الجانب الهام وهو الجانب الحضاري ، ولكن نستطيع أن نستخلص ما قام به الإمام من إصلاحات مما اجملته هذه المؤلفات من خلال حديثها عن النواحي أو الجوانب الأخرى(١) .

ولكن لو أخذنا في تفصيل اصلاحات الإمام في داخل البلاد لوجدناه قد اهتم بجميع نواحي الحضارة وخاصة الناحية العلمية فإن الإمام المؤيد بالإضافة إلى حنكته السياسية فهو يعتبر موسوعة علمية حوت شتى العلوم ، فإن المتتبع لحياته يجده تربى في بيت علم ودين ، وتتلمذ على أيدي أساتذة أفاضل أجلّاء نبغوا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية لذا فقد شب على حب العلم ، وألّف الكثير من الكتب التي تعتبر كنزاً علمياً أثرى المكتبة اليمنية(٢) .

---

(١) المحبي ، **خلاصة الأثر** ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٥ .

(٢) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ ، الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤ ب ، المحبي ، **خلاصة الأثر** ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ .

لذا نجده منذ نعومة أظافره مشغوفاً بالعلم والتعليم، فهو منذ صغره يختلف عن أقرانه صغار السن فلم يكن محباً للعب معهم بل كان منغمساً أكثر وقته بالمكتب يدرس ويقرأ ويستزيد من العلوم فتردد عنه أنه شرح كتاب البحر الزخار شرحاً مستوفياً حتى قيل أنه يتكلم بكلام علمي غزير أحسن من شرحه في السابق مما جعل مستمعيه يستغربون ذلك منه ، ولم يقتصر على ذلك بل أخذ ينمي في نفسه هذه الخصلة ، حتى أصبح من العلماء المؤلفين ، فلم تشغله حروبه المستمرة ضد الدولة العثمانية عن هذا . فقد كان مكباً على التأليف والتصنيف في قلب الأزمة التي تفجرت في البلاد ، لأنه وجد في هذا العمل الغذاء الروحي والفكري للنفس البشرية على مدى الأزمنة فألف العديد من المجلدات أو الموسوعات نذكر بعضاً منها : -

١ - «جواب سؤالات» ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٧٤ بمكتبة الجامع .

٢ - «أسانيد المؤيد» وتوجد منه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٢ الجامع « الكتب المصادرة » .

٣ - «تصفية النفوس عن الرذائل» وهذا ينقسم إلى قسمين : الأول يختص بالرياضة وتهذيب الأخلاق ، أما القسم الثاني فهو يختص في بيان الصفات المهلكة ، وهذا توجد منه نسخة مخطوطة تحت رقم ٢٨٩٧ بالمتحف البريطاني في ٥٣ ورقة .

٤ - «الفتاوي الفقهية» وتوجد نسخة مخطوطة منه في ٢٧٤ ورقة بمكتبة الجامع برقم ٢٨ «فقه» .

٥ - «المجموع المؤيدي» وهذا كتاب جمعت فيه أجوبة الإمام المؤيد وهو مخطوط بمكتبة الجامع الغربية تحت رقم «١١١» حديث .

وهناك الكثير من مؤلفاته ما زالت مخطوطة في بعض المكتبات المتفرقة في أنحاء العالم وبالطبع فإن هذا العدد من الكتب له فائدة علمية كبيرة عادت

وتعود على المطلع عليها بالفائدة الجمة ، وتكون دلالة واضحة على أن مؤلفها شغوف بالعلوم والمعارف بالإضافة إلى هذا الجانب الحضاري الذي يتميز به الإمام المؤيد فقد اهتم بنشر العلم بين ابناء اليمن ففتح المدارس ودور العلم ، وكان يصرف عليها المبالغ الطائلة ، ويشجع الطلاب على البحث والدراسة وقد أجرى النقود للدراسين في هذه الدور والتي عرفت في ذلك الوقت باسم «المكتب» وخصص لها نوابغ المدرسين لالقاء الدروس فيها[٣] .

ومقابل هذه الأعمال فقد انتشر في عصره العلم وسادت المعرفة جميع انحاء البلاد وكثر العلماء أو المتعلمين الذين اثروا المكتبة العربية بالكتب والمعارف أمثال الجرموزي ، والشرفي الكبي ، والجنداري وغيرهم كثير ، والتي لم تزل كتبهم حتى يومنا هذا نستمد منها مادتنا العلمية[٤] .

فقد أوردت بعض الكتب ولو بشكل موجز اهتمام الإمام المؤيد بهذا الجانب الحضاري الهام أو بالإصلاحات الداخلية فقد ذكر المؤلف الجرموزي في كتابه السيرة المباركة ما يلي «وفد إلى الإمام الوفود من كل قطر وهو مجد مجتهد في تقريب الشارد وتسهيل مرافق الصادر والوارد وتعمير المدارس الإمامية ، وتفقد أمور أهلها ويتولاها بنفسه »[٥] فإن مثل هذه العبارة رغم صغرها إلا انها تدل على اهتمام الإمام بالتعليم وفتح المدارس وتفقدها بنفسه .

ولم يكن الإمام المؤيد الوحيد في أسرته الذي اهتم بالعلم ونشره بين الأهالي . فإن اخوته لم يكونوا أقل منه شغفاً وحباً للعلم فإننا نجد الأمير الحسن الذي قضى معظم وقته في الجهاد لتوحيد البلاد لم يهمل هذا الجانب الهام بل خصص له وقتاً يقرأ فيه ويطالع ويستزيد من العلوم على أيدي كبار العلماء في ذلك الوقت .

---

(٣) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٦ أ ، الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ١٤ أ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٧ .

(٤) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٥) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ١١ أ .

أما الأمير الحسين بن القاسم فهو الآخر مثل اخويه مشغوفاً بحب العلم والانهماك فيه ، فإن المطلع على نشأته يجده منذ نعومة أظافره محباً للعلم ، فقد درس على يد الشيخ لطف اللّٰه الغياث وكان سريع الفهم شديد الملاحظة ، قوي الذاكرة ألّف العديد من الكتب في جميع العلوم ، ونبغ في الدقائق الأصولية والبيان والمنطق ، والنحو بالإضافة إلى ذلك فقد ألف في الحديث والتفسير والفقه ، ومن مؤلفاته «الغاية وشرحها» وهو كتاب عظيم كان يدرس في مدارس اليمن ، وقد ألفه رحمه اللّٰه وهو في ساحة القتال فلم تبعده الحروب عن ساحة العلم الذي يعتبر من أهم ساحات الإصلاح البشري فهو الذي يحرر النفس من الجهل وينقيها من الشوائب فهو معول لهدم الجهل ومشيد دور النور في النفوس وهو الذي يهذب النفس . كذلك نلاحظ أنه رحمه اللّٰه بعد أن انتهت الحرب في اليمن وانتشر الأمن في البلاد انكب على التأليف(٦) .

وبعد هذا الاستعراض الموجز لبعض إصلاحات الإمام العلمية في اليمن والتي اوردها بعض المؤرخين يجب ان نستعرض أهم إصلاحاته الادارية ، فبالرغم من اهتمامه بالجانب العلمي لم يهمل الجانب الإداري لذا نجد أنه حرص على تقسيم البلاد إلى ولايات ، ووضع على كل ولاية أحد اخوته فقد عيّن الأمير الحسن على ضوران ، والأمير الحسين على ذي بهلان والأمير أحمد على صعدة ، هنا نجد أن كل أمير من هؤلاء حرص على نشر الأمن في منطقته وأمن الطرق ووفر للأهالي الراحة والطمأنينة .

---

(٦) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤٩ ب ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٤ أ ، الكبسي ، **اللطائف السنية**، ق ٧٥ أ ب ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ص ٨٣٥ ، الغاية وشرحها : قال الشوكاني عن هذا الكتاب «هو كتاب نفيس يدل على طول باع مصنفه وقوة مساعده وتبحره في الفن ، اعتصر من مختصر المنتهي وشرحه وهو أشبه بمؤلفات آبائه من الأئمة في الأصول ، وساق الأدلة سوقاً حسناً ، وجوّد المباحث ، واستوفى ما تدعو إليه الحاجة ، ولم يكن الآن في كتب الأصول من مؤلفات أهل اليمن مثله ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

وكما نعلم فإن الإمام المؤيد تولى زمام الأمر في البلاد وهي تسودها الفوضى والاضطرابات من جميع الجهات ، فكان من الواجب عليه وقبل مواجهة الدولة العثمانية القضاء على الفتن المنتشرة داخل الولايات التابعة لحكمه وإخماد الثورات التي كانت تتفجر في أنحاء البلاد وتسبب الفزع والخلل في نظام الحكم ومن هذه الفتن الثورة التي اندلعت في بلاد صعدة ، وسببها أن أهل هذه المنطقة قد امتنعوا عن تأدية ما كان واجباً عليهم أن يؤدوه للدولة ، فسار إليهم الأمير الحسن لتأديبهم ، وإرجاعهم إلى رشدهم ، وقد نجح في مهمته وعاد الأمن إلى تلك المناطق وساد الرخاء في المنطقة(٧) .

ولم تكن هذه هي الثورة الوحيدة التي واجهت الإمام أثناء حكمه بل هناك الكثير منها . ومنها الثورة التي اندلعت في بلاد فيفا وكان السبب فيها أن أهل هذه المنطقة كانوا لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه فقط ، وكانوا يرتكبون الكثير من الأعمال المشينة التي تخرجهم وتبعدهم عن الدين ، فيشربوا المسكر وغيره ، وحين علم بذلك سير إليهم جيشاً أدبهم وأرجعهم إلى حظيرة الإسلام وعاد الأمن من جديد ينتشر في هذه المنطقة من البلاد(٨) .

ولم تكن سياسة الإمام هي قمع الفتن وتسيير الجيوش فقط بل كانت حسن إدارته في جميع الولايات التابعة له مما جعل الناس يحبونه ، ويلتفون حوله ، فلو تتبعنا معاملته لهم فإننا نجده يحسن إلى العدو قبل الصديق مما جعل الالتفاف حوله من الأمور المحببة إليهم ، كذلك مما زاد حكام الدولة الإمامية رفعة في قلوب أهالي البلاد المفتوحة انهم دأبوا على تعيين الولاة السابقين الذين يجدون فيهم الإخلاص والتفاني في ولاياتهم ، بذلك كسبوا حب الأهالي لهم، وحب هؤلاء الولاة التي لم تفقدهم مكانتهم السابقة ،

---

(٧) الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٦٨ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٥ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨١٧ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٥ .

(٨) مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٠٢ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٤٦ ، الحبشي ، **حكام اليمن** ، ص ٢٤٥ .

واتضح ذلك فيما حدث للأمير عبد الرب والأمير سنبل الذين أصبحا من أخلص التابعين للإمام .

وقد قسم الولاة في المناطق وخاصة اخوة الإمام المؤيد أوقـاتهم لتكون في مصلحة العامة والخاصة ، فمثلاً نجد أن الأمير الحسن جعل يومـه مقسم إلى ثلاث فترات هي : -

الفترة الأولى : التفرغ للعلم ، والمطالعة ، وتأليف الكتب .

الفترة الثانية : خصصها لتنظيم الأعمال الإدارية في الولايـة والنظر في حوائج الرعية ، ومقابلة الوفود .

الفتـرة الثالثـة : خصصهـا للنـظر في أحـوال الجنـود والإشـراف على رواتبهم .

كذلك لم يغفـل عن أهل العنـاد في البلاد ، فقـد أخذ بـالضرب على أيديهم حتى خضعت له غالبية الولاية[٩] .

ولم يهمل الإمام المؤيد رعيته ، ولم يتركهم للولاة يتحكمون فيهم وهو غافل ، بل كان كثيراً ما يتصل بهم أو يرسل إليهم الرسائل ويـوصيهم بالـرفق بالرعية ، ويحثهم على مراعـاتهم ، والنظر في حـوائجهم ، ويدل على هـذا العمل ما أمر به الإمام المؤيد القاضي أحمد بن عبد اللّه العشم أن يكتب إلى مناطق همدان العالية وحراز وأوصاهم بالرفق بالرعية ، وأن ينشروا العلم بينهم ويفهموهم ما قد جهلوه .

كذلك فإن معاملة الأمير الحسن بن القاسم لأهالي كوكبـان حينما كـان مقيم لديهم كانت غاية في الطيبة والرقة حيث أخذ بالإحسان إليهم ، وأعاد إليهم خيرات بلادهم من محاصيل زراعية وغيرها[١٠] .

---

(٩) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٤٩ ب .

(١٠) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ١٤ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ٧٤ أ .

وفي سنة ١٠٤٠هـ. طاف الأمير الحسن بن القاسم بعدد من مقاطعات اليمن وأخذ في تفقد أحوالها وقام بزيارة للأئمة في ظفار وذبين ، ومن ثم عاد إلى معقله حصن ذي مرمر بعد أن أصدر أمره بأن تجري لهذه المناطق التي زارها الصدقة المسماة بالحسنية(١١) .

ومن إصلاحاته الإدارية كذلك قمع الفتن التي تؤثر على حياة العامة ، وخاصة مدعي الخرافات والأعمال التي تمس الدين مثلما حدث مع الفقيه الهندي الذي أخذ في تحريض الناس ضد الحكم حتى أنه استخدم بعض الحيل التي صدقها الناس حتى كادت أن تقوم فتنة في البلاد الخولانية ، لكن الإمام المؤيد قتل الفتنة وهي في مهدها فسير إليهم جيشاً قبض على الفقيه وضرب عنقه ، ومن ثم أخذ في تهدئة الوضع في تلك المنطقة(١٢) .

ولقد كان الإمام المؤيد لا تأخذه رأفة ، ولا رحمة في مرتكبي المعاصي الذين لم يأخذوا من الإسلام سوى اسمه وهم يتسترون تحت اسمه ويرتكبون أفظع الجرائم مثل شرب الخمر، الفوضى ومنع الزكاة فإن مثل هؤلاء يشن عليهم الغارات ويضرب على أيديهم بيد من حديد حتى يعودوا إلى رشدهم ، كل هذا يتمثل فيما فعله مع أهالي حفاش وملحان ، فقد أرسل إليهم رسالة يدعوهم فيها بالكف عن ما يقومون به من أعمال حينما سمع أنهم حادوا عن طريق الصواب وكانت رسالته مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة ، وبيّن فيها أنه سيضرب على أيدي الظالمين حتى يرفع شعار الإسلام ، وقد ارتدع هؤلاء وعادوا إلى الإسلام نتيجة لتهديد الإمام لهم(١٣) .

أما عن تولية الولاة الجدد في المناطق فقد ترك حرية ذلك لاخوانه في من يتسمون فيهم الخير والصلاح ليقوموا بمثل هذه المهمات ، فمثلاً توجه

---

(١١) الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ٢ أ .

(١٢) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٣٤ أ ، الشرفي ، **اللآلىء المضيئة**، ق ٢٤٧ أ ، يحيى ابن الحسين، **غاية الأماني**، قسم ٢ ، ص ٨٣٠ .

(١٣) الشرفي ، **اللآلىء المضيئة**، ق ٢٤٧ ب ، الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٢١ أ .

الأمير الحسن بن القاسم إلى مدينة زبيد ونظم أمورها وأخمد الفتن فيها ، وأرسى قواعد الحكم فيها ، ثم ولى عليها أحد أتباعه وهو الشريف هاشم بن حازم المكي ، ثم سار إلى بلاد المخا وأخذ في إصلاح ما خرب فيها وولى عليها مملوكه سعيد ريحان ، كما أنه ولى على اللحية سعيد المجزي ، أما موزع فقد ولي عليها الأمير الهادي بن شويع الحمزي ، وبعد أن أدى مهمته بنجاح عاد إلى ولايته ضوران ، وأخذ في إصلاحها وتنظيم أمورها الإدارية(١٤) .

وعندما انتقل الأمير الحسن إلى جوار ربه سبحانه وتعالى لم تهمل أمور الولاية ، وتترك للطامعين بها ، بل سارع ابنه محمد بن الحسن بتنصيب نفسه على ضوران . وتولى زمام الأمر فيها بدلاً من والده ، وأول عمل قام به تعيين المقربين إلى والده ، والذين اتسم فيهم الخير ، ثم أصدر أمره بفتح الدواوين ، وأمر رؤساء الجيوش بضبط ما تحت أيديهم حتى لا تكون عرضة لنهب من ينتهزون مثل هذه الفرص وينفذون ما في أنفسهم من حقد(١٥) .

أما عن إصلاحاته العمرانية فقد اهتم الإمام المؤيد ومن ولاهم أمور البلاد بالناحية العمرانية بولاياتهم ، فإن العمران يعني التقدم والحضارة وهو مصدر تاريخي عظيم يستمر إلى عدة قرون فإن البلاد التي تشتهر بكثرة العمران فيها تعني أنها دولة متقدمة متحضرة بالإضافة إلى ذلك فهي دلالة على ثراء هذه الدولة ، وقوتها ومركزها بين الدول الأخرى .

لذا نجد أن الإمام المؤيد كان يحرص على تطوير مدنه وتعميرها وشق القنوات إليها . وازدهرت فيها الزراعة . وعبّد الطرق من أجل تسهيل مهمة الانتقال من مكان إلى آخر . فكانوا عند فتح أي مدينة يحرصون بعد نشر الأمن فيها إلى تعميرها، من كل النواحي أي يحرصون على تعميرها بالبنيان

---

(١٤) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٢١ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٤ .

(١٥) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢١ ب ، الكبسي، **اللطائف السنية**، ق ٧١ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١٠٥ أ ، الجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٥٤ .

ويشجعون الناس على التواجد فيها . فمن المعروف أن المدينة عندما تزدهر عمرانياً وسكانياً ، فيستقر بها الناس .

ويشتغلون بالزراعة والصناعة والتجارة وينشغلون عن أعمال الشغب التي كانوا يقومون بها .

كذلك فإن تعمير المدن له فائدة اقتصادية تعود على البلاد بالنفع الوفير فمثلاً تكثر فيها المنتوجات الزراعية التي يستفيد منها المزارع والمواطن على حد سواء . كذلك فإن كثرة العمران تعني استدعاء العمال والصناع وإشغالهم بالبناء والتعمير مقابل أجور تدفع لهم على هذا العمل . وهذه فائدة مادية تعود على السكان(١٦) .

ويلاحظ الدارس لتاريخ اليمن خاصة في فترة تولي آل القاسم لزمام الأمر فيها أنهم قد اهتموا بهذا الجانب الحضاري فشيدوا المدن ، والحصون ، وعبدوا الطرق . ولكن يميز هذا القطر الطابع الجبلي وهو المميز لسطح بلاد اليمن.

لذا فقد شيدت المدن على رؤوس الجبال وأكبر مثال على ذلك مدينة ضوران التي اختارها الأمير الحسن لتكون معقلاً له وان اختيار هذا المكان كانت له قصة وهي أن الأمير سار إلى صعدة ثم واصل سيره إلى هداها ومكث فيه عدة أيام طاف فيه وتعرف عليه فاستحسنه ووجد أنه من الصواب عمارته وسكناه ، لذا عزم على ذلك فكتب إلى بعض الولاة في الأقاليم أمثال الجرموزي يخبره بأنه اختار هذا الجبل ليكون مقراً له وقد قرر عمارته وطلب منه أن يمده بعدد من أهل الصناعات مثل العمال ، والمهندسين والقضاضين الذين يكسرون ويقضون البنيان السابقة ، والتجار . فأمدته كل ولاية ببعض ما أراد فبناه بعدما اشترى من أهله ما كانوا يملكون بأثمان غالية وطيب أنفسهم وألحقهم بأتباعه . ثم بعد ذلك اشترى الكثير من الأودية المحيطة به بأثمان رخيصة ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها :

---

(١٦) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٤٥ أ ، الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ٣ أ .

أولاً : لعدم حاجة أهلها لها لذا أرادوا التخلص منها .

ثانياً : لأن المنطقة خالية من السكان فإن مثل هذه الأماكن تفقد أهميتها .

هنا استغلها الأمير الحسن في توزيعها على اتباعه أمثال الأمير سنبل وغيره .

ثم أخذت العمارة تزداد شيئاً فشيئاً بعد أن حرص الأمير على زراعتها فكثرت خيراتها وعم نفعها . ثم عمر فيها قصره ليكون مقراً له في هذا المكان وقد سماه الحصن وألحقت فيه دوراً لتكون لاتباعه . وبعد ذلك عمر المدرج وهذا النوع تنفرد به البلاد الجبلية وكذلك بنى الحبس فيها ثم بنى فيه الجامع المقدس الذي خصص له مساحة كبيرة واهتم في عمارته حتى أصبح يضاهي الجامع الكبير في شهارة وقد زاد عليه ابنه محمد بعض الزيادات والتحسينات كذلك فعل أخوه الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم من بعده .

ولكي يجمل هذه المنطقة فقد غرس الأمير الحسن أشجار الفاكهة وغيرها مما جعلها تشتهر في اليمن ، حتى اصبحت هذه المدينة من أشهر المدن بعد شهارة . ثم عمّر بها حصنها الشهير المعروف باسم «الدافع» أما أسباب اختيار مثل هذا المكان يعود إلى :

أولاً : لكونه مدينة جبلية يسهل الدفاع عنها .

ثانياً : ان ارتفاعها يجعلها تشرف على ما حولها من مناطق فتكون بمثابة الحصن المنيع .

ثالثاً : انه موقع استراتيجي ممتاز .

ثم عمّر الحسن مكاناً في مدينة ذبين اعده لاستقبال الضيوف كما عمّر مدينة الغراس . وزرعها بالأشجار المثمرة حتى أصبحت مدينة عمرانية لا بأس بها(١٧) .

---

(١٧) الجرموزي ، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٤٥ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ قسم ٤ ، ق ٩٢ ب ، الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ٣ أ .

أما الحسين بن القاسم فلم يكن أقل من شقيقه حماساً في حبه للتعمير فإننا نجده أخذ في تشييد حصن بيت ردم وجعله معقلاً للدفاع عن المدينة .

ثم عاد لمساعدة أخيه الحسن في تشييد مدينة ضوران وبعد أن انهى كثيراً من مشروعاته العمرانية ضمن المناطق التابعة للإمام سار الحسن إلى مدينة صنعاء التي كانت عاصمة الدولة العثمانية في اليمن والتي تعتبر من أكبر مدن القطر وقد شرحنا ذلك في الفصول السابقة ، ونتيجة لطول الحصار المفروض عليها أيام وجود الأتراك بها فقد فقدت الكثير من مبانيها من جراء الحروب وموت الحياة الزراعية فيها . لذلك رأى الحسن تعميرها وإعادة الحياة إليها فعمّر بها الدور والعمائر . وأجرى إليها ينابيع الحياة التي كانت تسمى «بالغيول» وقد استمدها من غيل رسلان الشهير ، وبذلك عمرت البلاد وكثرت خيراتها ، وازدهرت الحياة فيها ، وتقدمت حضارياً وأصبحت من أكبر المدن في اليمن إلى يومنا هذا[١٨] .

ولم يقتصر اهتمام الإمام المؤيد واخوانه بتعمير المدن الكبيرة فقط بل أكبوا على تعمير الحصون، والقلاع، والمدن الصغيرة والأسواق التجارية فمثلاً قام الإمام المؤيد بإصلاح سمسرة الفنيين بعد تخريبها من قبل الحاج أحمد الأسدي كما أنه بعد فتح مدينة السودة نجد أن الأمير أحمد توجه إلى جبل عيال بزيد وتلا .

وأخذ في تخطيطها وأشاد فيهاالعمران، ثم اختط بعد ذلك الجامع الكبير بروضة حاتم . وعمّره فأصبح غاية في فن العمارة ؛ فلم يكن له مثيل في تلك المنطقة[١٩] .

وبما أن اليمن تعمها الجبال ، وتنزل عليها الأمطار بسبب هبوب الرياح

---

(١٨) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ١٤٦ ب ، الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ٦٩ أ .

(١٩) مجهول ، **تاريخ دولة الترك** ، ق ٣٢ أ ، الجرافي ، **ابناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ ، قسم ٤ ، ق ١١٠ ب ، الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٣٥ ب ، الجرموزي ، **السيرة المباركة** ، ق ٦٩ أ .

الموسمية عليها لذا فقد حرص الإمام المؤيد واخوته على تعمير المدرجات التي اشتهرت بها اليمن .

وحرص على الإشراف عليها بنفسه . لهذا نراه يشرف على عمارة المدرج الذي يمتد إلى باب الفتوح . وكذلك مدرج شهارة والذي انتشرت حوله الدور ، والمباني الكثيرة وعمّر بالناس .

كذلك لم تكن إصلاحات الإمام العمرانية قاصرة على بلاد اليمن فقط بل امتدت يد العمران والتقدم إلى الجزر التابعة لدولته مثل جزيرتي كمران، وفرسان . فقد أصدر الإمام المؤيد بالله أمره بإصلاحها وتشييد العمران بها بعد خروج الأتراك منهما وهكذا نجد أن الإمام المؤيد بالله ورجال دولته لم يهملوا أي جانب حضاري في البلاد ولم يتركوا ركناً من أركان الإصلاح إلا وعملوه من أجل الأهالي هناك[٢٠] .

---

(٢٠) الجرموزي، **الجوهرة المضيئة** ، ق ٢٢١ أ ، ابن لطف الله ، صلاح ، **روح الروح** ، ق ٢٤ أ ، الجرافي ، **أبناء اليمن** ، جـ ١ ـ ٢ قسم ٤ ، ق ٩٢ أ ب .

الخاتمة

بعون اللَّه سبحانه وتعالى ومساعدته وتوفيقه انتهيت من هذا العمل العلمي الذي أرجو اللَّه أن تكون فائدته شاملة وعامة لكل مطلع عليه وهو البحث المكمل لدرجة الماجستير والخاص بالإمام المؤيد في اليمن من عام ٩٩٠هـ. إلى عام ١٠٥٤هـ. والذي تناولت فيه بالدراسة حياة الإمام الخاصة منذ ولادته حتى توليه الحكم ، وكذلك أهم الأحداث التي حدثت في تلك الحقبة الزمنية ، وأهمها الثورة التي قادها وتزعمها بمساعدة اخوته فاستطاع توحيد البلاد تحت سلطته ووحد اليمن بأسره تحت لوائه لأول مرة .

وكانت دراستنا لحياة الإمام المؤيد منذ ولادته وحتى وفاته والتعرف على الظروف التي أحاطت به حين توليه الحكم حتى وفاته ذات أثر كبير في توصلنا إلى نتائج هامة هي :

من خلال دراستنا لهذا البحث استطعنا ولو بصورة مختصرة التعرف على اقليمية بلاد اليمن والتي تبين لنا ان طابعها الجبلي كان له التأثير الكبير على التكوين الجسماني لأهل تلك المناطق .

ومن خلال دراستنا لتاريخ وطبيعة بلاد اليمن اتضح لنا أن أهمية هذا القطر من العالم الإسلامي لم يكن حديثاً بل كان منذ القدم أي من قبل الميلاد كانت به ممالك عظيمة . وكان يتمتع بتقدم حضاري كبير وأهم ما ميّز تاريخ هذه المنطقة في تلك الآونة سد مأرب الشهير ، ومملكة سبأ العظيمة .

وعند دراستنا لحياة الإمام المؤيد تبين لنا ان هذا الإمام تربى تربية دينية وعلمية وحربية ، ولم يؤثر على تربيته ما كان يعم البلاد من فوضى واضطراب في تلك الفترة بل حرص والده الإمام القاسم أن يعده للولاية من بعده إعداداً متكاملاً من جميع النواحي التي يحتاجها المنصب الجديد الذي كان يعده له ، وقد نجح الإمام القاسم في هذه المهمة فقد كان الإمام المؤيد يتمتع بجميع صفات الحاكم المسلم .

ومن خلال دراستنا للأوضاع السياسية في بلاد اليمن عند تولي الإمام المؤيد للحكم توصلنا إلى أنه حرص قبل الاحتكاك بالدولة العثمانية إلى قمع الفتن المنتشرة في البلاد والقضاء على الثورات المستمرة التي كانت بين القبائل هناك ، فحرص على دوام الصلح الذي عقده والده مع باشوات الدولة العثمانية .

كذلك حرص الإمام المؤيد على دوام الصلح الذي عقده والده مع الباشا وذلك ليستطيع ترسية قواعد حكمه ، ويؤمن ظهره من غدر بعض القبائل المعادية له ، أو بعض الأشخاص الذين يكنون لآل القاسم العداء . وعندما تم له ذلك تمكن الإمام أن يفتح نيران الثورة على الدولة العثمانية من كل جانب وذلك لتشتيت تركز قواتهم التي تفوق قواته بالعدد والعدة ، وقد استطاع بعون اللّه سبحانه ثم بمساعدة اخوته على الانتصار عليهم في غالبية المعارك حتى تم له ولأول مرة جمع اليمن بأسره تحت لواء الأئمة الزيدية . ان المتتبع لهذه المعارك يتضح له أن قوات الإمام استطاعت الانتصار في المعارك التي تدور في مناطق جبلية وهذا يدل دلالة واضحة على مهارتهم في هذا النوع من القتال ، يعود هذا كما قلنا في السابق إلى تركيبهم الجسماني الذي يساعدهم على مثل هذه المهمات بالرغم من أن الطرف الآخر وهم الجند العثمانيون يفتقرون لمثل هذا النوع فقد مهروا في القتال بالسهول والأراضي المنبسطة ، واتضح ذلك في حصار صنعاء ، والمعارك التي كانت تدور في تلك المناطق السهلية .

وقد استطاع الإمام المؤيد أن يكتسح بلاد اليمن ما عدا بعض المناطق خلال السنة الأولى من ثورته ، وهذا يدل على تذمر الأهالي من الحكم العثماني ، وما أن سمعوا بثورة الإمام حتى سارعوا في الدخول تحت طاعته ، ويعود هذا إلى معاملة الولاة العثمانيين للأهالي هناك فقد اتصفوا بالقسوة والتعسف وغلاظة القلب على خلاف الطرف الآخر الذي رأى نتائج هذه المعاملة السيئة وما ترتب عليه فاستفاد من أخطاء الغير ، فأحسن معاملة الأهالي ، وخاصة أهالي البلاد المفتوحة الذين سارعوا بدورهم في الدخول تحت طاعة الإمام بطوعهم غير مجبرين على ذلك .

لقد تبين لنا من خلال دراستنا لعلاقة الإمام بالدولة العثمانية أن إهمال سلاطين آل عثمان لليمن ، وعدم اختيارهم الولاة المناسبين لهذه المهمة أدى إلى تذمر الكثير من الأهالي في هذا القطر من معاملة الباشوات العثمانيين ، وبسهولة استجاب الكل لدعوة الإمام وسهلت هذه المعاملة مهمة الثورة الإمامية وهيأت لها الأرض الخصبة التي جعلتها تترعرع فيها سريعاً وتنتشر في جميع أنحاء البلاد .

وكما تقدم لنا من دراسة اخلاق ومعاملة الإمام واتباعه تبين لنا الطريقة الناجحة التي استطاع بها اجتذاب اتباع الطرف الآخر من قادة وامراء وانضمامهم إلى صفوف جيش الإمام مثل الأمير سنبل ، والأمير عبد الرب .

لقد دأب قادة الإمام على تولية الولاة السابقين على البلاد المفتوحة وذلك لكسب رضاهم بالإضافة إلى أن الأهالي قد تعودوا عليهم وذلك لمعرفتهم بأمور تلك البلاد وقد كانوا أقدر من غيرهم لتسيير أمور هذه البلاد .

كما ان انفصال اليمن عن الدولة العثمانية واستقلاله بحكم ذاتي لم يعني انفصال هذه الدولة نهائياً عن الدولة العثمانية بل استمرت علاقتها الروحية مرتبطة بها .

وتبين لنا من خلال استعراض المعارك بين الطرفين ان ثورة الإمام المؤيد ومن قبله والده الإمام القاسم لم تكن ضد الحكم العثماني في اليمن ولم تكن

موجهة ضد الدولة بذاتها بل كانت ثورة على معاملة الباشوات السيئة لهم وللأهالي هناك .

وقد حرص الإمام المؤيد أن يولي اخوته على الألوية الهامة في البلاد ومن ثم تولية من يتسمون فيهم بالإخلاص على المناطق المهمة حتى يضمنوا ولاءهم للدولة الفتية .

وحرص الإمام المؤيد على ترابط الأسرة الحاكمة ، والإمساك بزمام الأمور في البلاد والقضاء على أية محاولة تخل بنظام الحكم حتى ولو كانت من أقرب الناس إليه ويتضح ذلك في تصرفه مع أبناء أخيه الحسن بعد وفاته وخاصة عندما شعر بميل الجنود للأمراء محمد وأحمد ابناء الحسن ومخالفتهم لأوامره أو أوامر أخيه الحسين ، فأصدر حكمه الصارم الذي يقضي بتحويل جميع ولايات الأمير الحسن إلى أخيه الحسين من بعده ، وقد أدى هذا التصرف إلى اندلاع نار الحرب مجدداً متمثلة في ثورة الأمير أحمد ضد عمه الإمام المؤيد التي كادت أن تقصف بالأمن في البلاد .

لكن الإمام المؤيد بعقله وحكمته استطاع أن يقضي على هذه الفتنة التي خاف ان يستغلها أعداء الزيدية لصالحهم فاستطاع امتصاص غضب ابن أخيه ، وقد نجح في إرجاعه إلى طاعته والتفاني في موالاته .

ومن خلال استعراض أحداث البحث اتضح لنا اهتمام الإمام المؤيد بإقامة علاقات خارجية مع الدول القريبة والبعيدة مثل الهند والحبشة والمغرب . وقد كانت هذه العلاقة تتمثل في الاتصال بالملوك والأمراء المجاورين لدولته الذين يلجأون إليه لحل المنازعات التي تنشأ بينهم وهذه دلالة على قوته السياسية .

كان الإمام المؤيد يسعى جاهداً لكسب رضى الدول المجاورة حتى يضمن ولاءهم له . فقد نجح في إقناع أشراف مكة المكرمة بالدعوة له على المثابرة وان يصكَّ العملة باسمه وهذا معناه الخضوع لدولة الإمام بطريقة غير مباشرة .

ومن خلال دراستنا لحياة الإمام توصلنا إلى أن جميع الذين كتبوا عنه لم تخل كتاباتهم من الميل إلى جانبه ضد الدولة العثمانية والآخرين من خصومه وهذا عائد إلى أن هؤلاء الكتّاب إما أن يكونـوا من أتباع الإمـام أو من وزرائه وأبناء الأخيرين فمن الطبيعي أن يحدث هذا ، اما نتيجة خضوعهم له في التبعية خوفاً من سلطته عليهم لذا ظهرت كتاباتهم معادية للدولة العثمانية وقد قذف مؤلفوها العثمانيين بنعوت لا تليق أن ينعت بها مسلم وذلك بقولهم « الكفرة » أو « الأروام » أو إذا ذكروا أحدهم قالوا لا رحمه اللّه وهذا لا يجب أن يقال لمسلم يشهد أن لا إله إلا اللّه .

لم تشغل الإمام المؤيد كثرة حروبه من حين توليه الحكم حتى وفاته عن الاهتمـام بالنـاحية الحضـارية في البـلاد على مختلف أنواعهـا سـواء أكـانت علمية ، أم عمرانية أم إدارية فنجـده قد اهتم ببنـاء المدن وتعميـرها وزراعـة أرض تلك البلاد وأجرى إليها المياه من الترع وحفر الآبار كما عبّد الطرق وأمّن حدودها حتى غدت مدناً عظيمة عامرة بالسكان .

كـذلك اهتم الإمـام بالنـاحية التعليميـة في البلاد واتضـح ذلك بفتحـه المدارس وإشرافه المستمر عليها وتعيين المدرسين الاكفاء فيها . كذلك اهتم هو شخصياً بهذه الناحية ويتضح ذلك في انكبابه على التأليف في شتى العلوم فألّف العديد من الكتب التي أصبحت ثروة علمية لا تقدر بثمن .

كان هدف الإمام المؤيد القضاء على مرتكبي المنكرات ، والمحرمات سواء من قبل الدولة العثمانية أو من الأهالي أنفسهم فنجده يشن الغارة تلو الأخرى حين سماعه وتأكده ، أن هناك مرتكبي كبائر في البلاد ، فقد مر علينا عدد من الحملات التأديبية التي أرسلها للقضاء على هؤلاء وإرجاعهم إلى الدين الإسلامي .

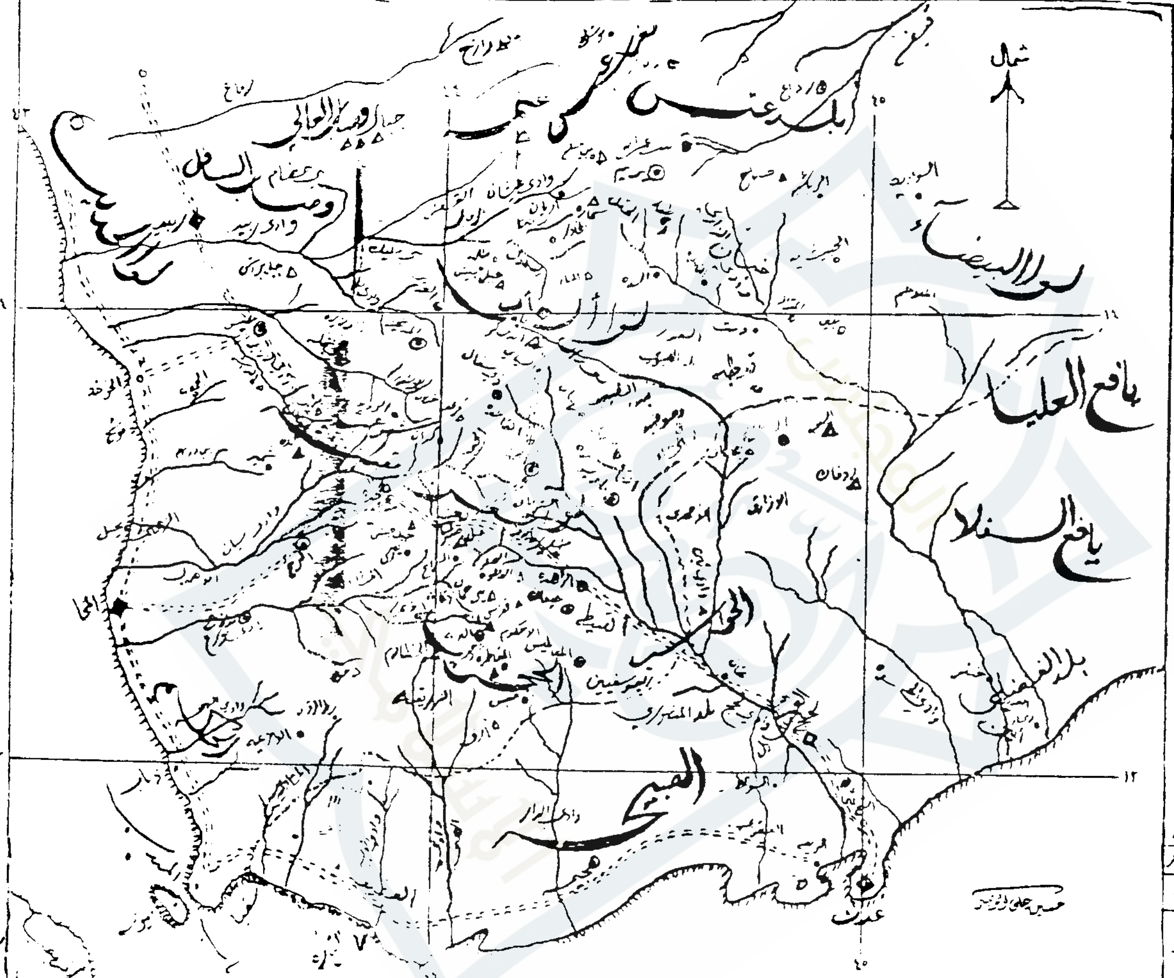
لقـد اتصف الإمام المؤيـد بحسن معاملتـه لجميع أصحـاب المذاهب الموجودة في اليمن ، فلم يفرق بين مذهب وآخر مما جعـل جميع أهـل هذه المذاهب يتفانون في محبته ، والانصهار تحت حكمه .

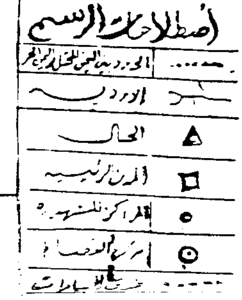
من خلال استعراضنـا للبحث تبين لنا مـدى اعتزاز الإمـام بنسبه الـذي ينتهي إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه وأظهر ذلك في الكثير من رسائله التي كان يبعث بها إلى ملوك وامراء الأقطار الأخرى .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وُفقت في تحقيق صورة واضحة لهذه الفترة من تاريخ هذا القطر العربي والإسلامي الشقيق الذي قد أغفله عـدد من مؤرخي وقتنا الحاضر وأرجو من اللّه التوفيق والسداد في كل عمل نقصد ورائه المنفعة العلمية .

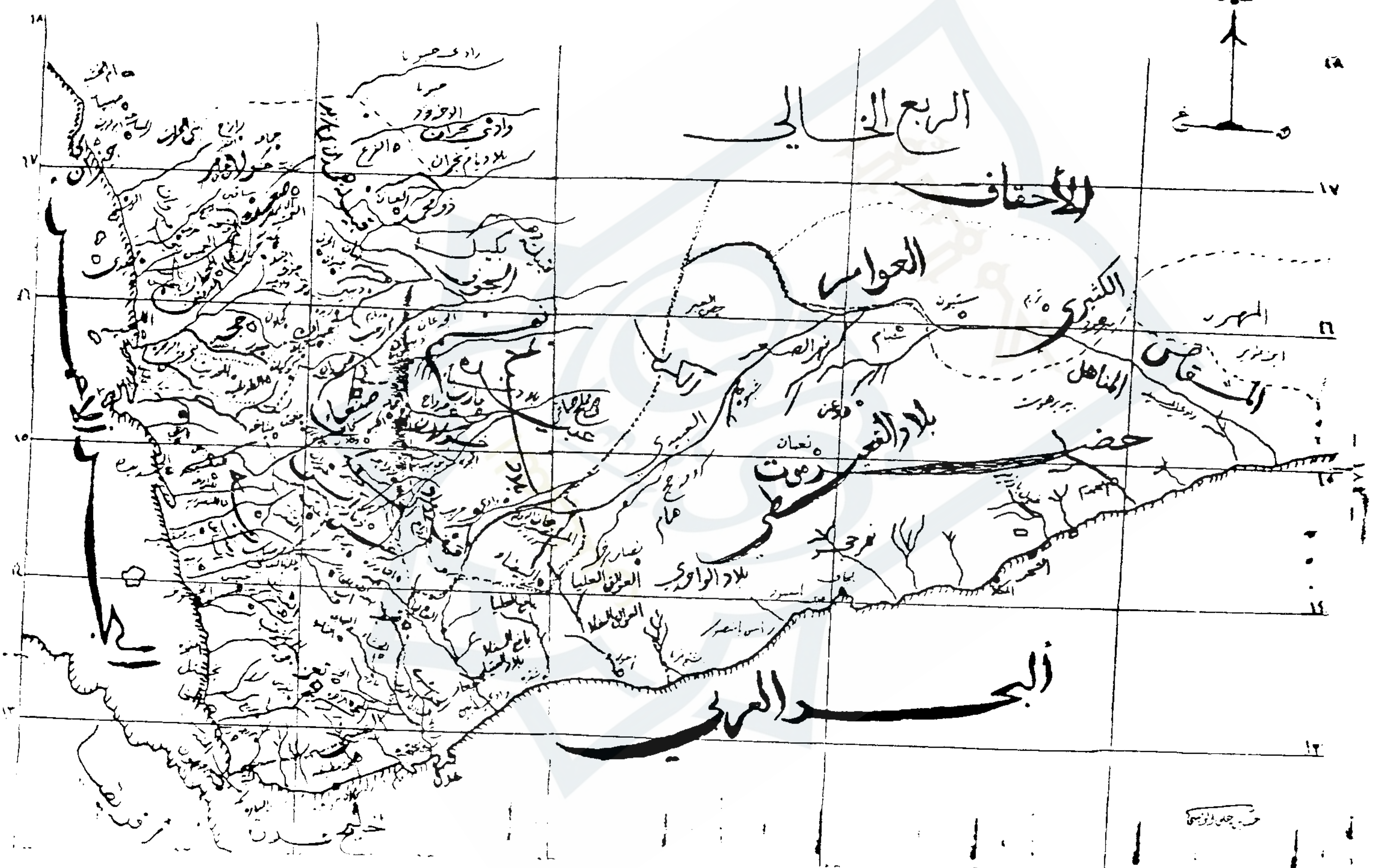
والحمد للّه رب العالمين .

الملحق

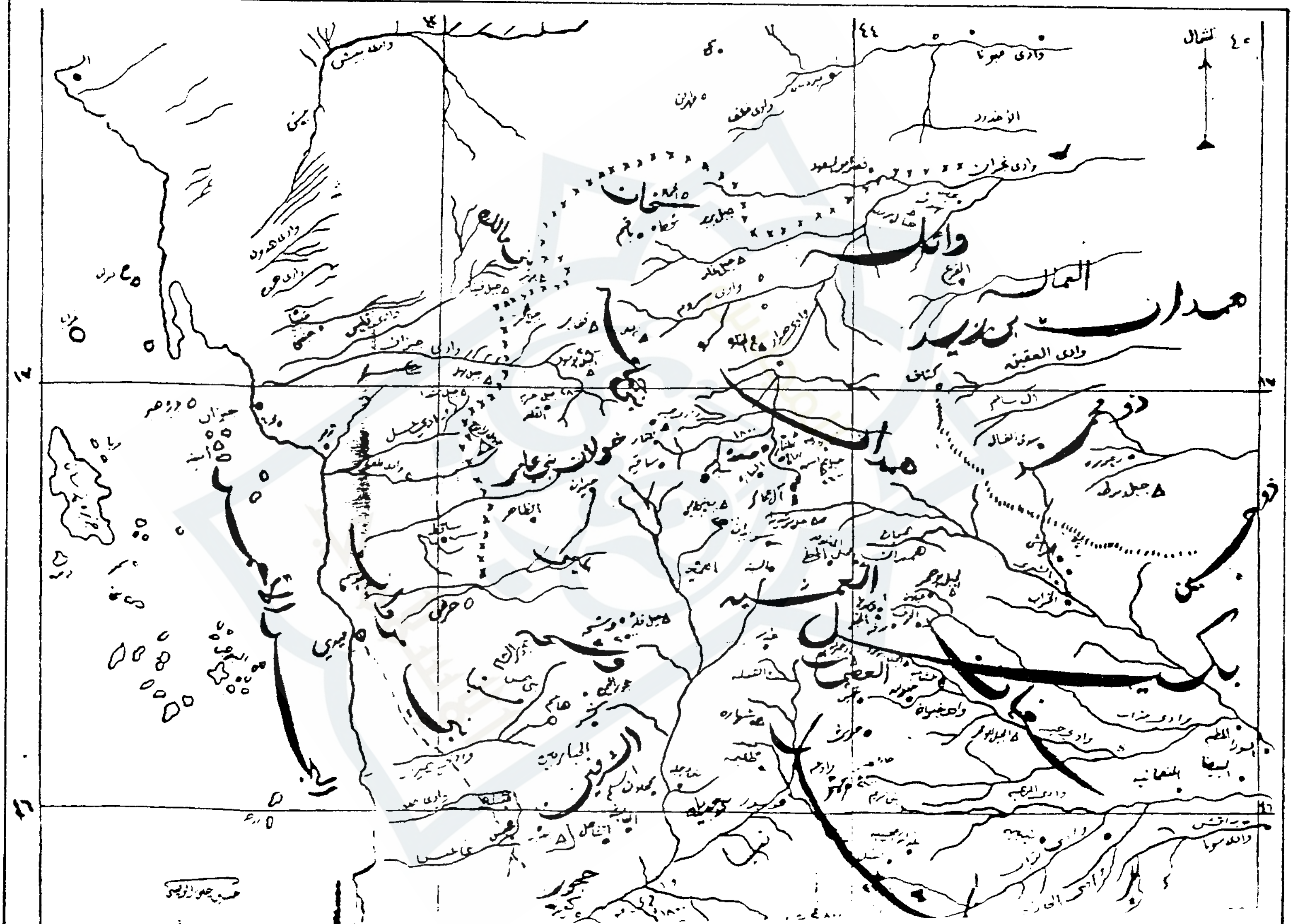


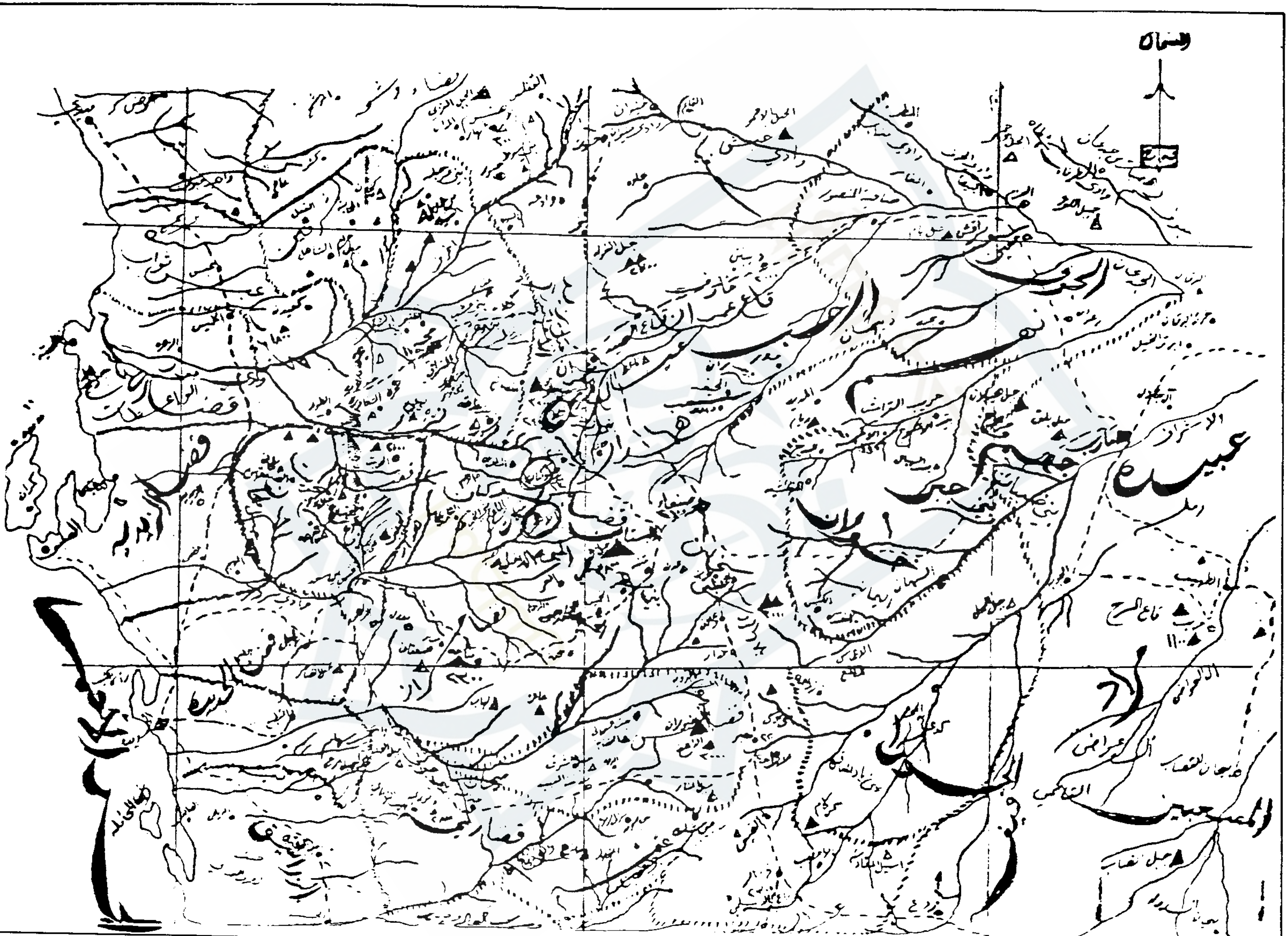


(خارطة لوائي تعز ولواء إب)



الشمال
الربع الخالي
الأحقاف
العوامر
الكثيري
المهرة
المناهل
حضرموت
البحر العربي


الشمال
همدان
بني زيد
وائلة
سنحان
بني مالك
خولان بني عامر
وادي نجران
وادي العقيقة
وادي حبونا
كتاف


الشمال

المصـــادر والمراجع

المصادر والمراجع الغير منشورة :

(*) ابن رشيد : عامر بن محمد بن عبد اللّه بن عامر بن علي .
بغية المريد، وأنس الفريد إلى معرفة أنساب الأئمة الاعلام السادة الكرام ذريـة السيد الجليـل علي بن محمد بن راشـد وذكـر مـن شـايعهـم من السـادة الأعـلام والشيعـة الفضـلاء ، المتحف البـريـطاني رقم ٣٧١٩ . OR .

(*) ابن لطف اللّه : عيسى بن لطف اللّه بن المطهر بن الإمام شرف الدين يحيـى ، توفي سنة ١٠٤٨هـ .
روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتـوح صورة في معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، رقم ٢/٢٦٢ ؟ تاريخ .

(*) ابن لطف اللّه : صلاح بن عيسى .
روح الـروح فيما حـدث بعد المـائة التـاسعة من الفتن والفتـوح الجزء الثالث ، الأمبروزيانا رقم D ٢٨٤ ARABO .

(*) الجرافي : عبد اللّه بن عبد الكريم الجرافي اليمني «القاضي» .
أبنـاء اليمن وثبلاؤه ، الجـزء الأول ، والثاني من القسم الـرابع ، مكتبـة الجامع الكبير الغربية بصنعاء رقم ٣٣٤ .

(*) الجرموزي ، المطهر بن محمد بن عبد اللَّه بن محمد المنتصر أبو علي الشريف . توفي سنة ١٠٧٧هـ .

— **النبـذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة في أخبار المنصـور باللَّه رب العالمين القاسم بن محمد .**

مكتبة المتحف البريطاني ، رقم ٣٣٢٩ . OR .

— **السيرة المباركة سيرة أمير المؤمنين المؤيد باللَّه محمد بن أميـر المؤمنين المنصور باللَّه رب العالمين .**

امبروزيانا رقم A ١١٥ A ٧٣٥ ARAB .

— **الجوهرة المضيئة في تاريخ الخلافة المؤيدية .**

مكتبة الحكومة الألمانية ، برلين رقم ٩٧٤٤ .

— **سيرة المتوكل على اللَّه إسماعيل بن القاسم .**

مكتبة الفاتكان رقم ٩٧١ .

الجنداري : صفي الدين أحمد بن عبد اللَّه .

الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز .

الجامع الكبير بصنعاء ، رقم الكتب المصادرة . يوجد مايكروفلم في دار الكتب المصرية رقم ٢١٣٢ .

(*) الشـرفي ، شمس الـدين أحمـد بن محمـد بن صـلاح ، تـوفي سنـة ١٠٥٥هـ .

— **الـلآلىء المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية .**

الجزء الثالث ، الأمبروزيانا ، رقم ٢١٠١ . C .

(*) الشلي ، محمد بن بكر .

— **عقد الجواهر والدور في أخبار القرن الحادي عشر .**

مكتبة جامعة كمبرج رقم « ٢ » ١٤٠٢ . OR .

(*) الكبسي : محمـد بن اسمـاعيـل بن يحيـى بـدر الـدين ، تـوفي سنة ١٣٠٨هـ .

— **اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية .**

مكتبة القاضي محمد بن الأكوع الخاصة ، تعز ، بدون رقم .

مجهـول :

تاريخ دولة الترك .

مكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم ٣٧ تاريخ مجهول :

قطعة من كتاب في تاريخ اليمن .

الامبروزيانا رقم D ٣٦٥ عربي .

يحيىٰ بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد ، توفي سنة ١١٠٠هـ.

ـ **انباء ابناء الزمن في تاريخ اليمن.**

دار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ .

المصادر والمراجع المطبوعة :

(*) أباظة ، فاروق عثمان .

ـ **الحكم العثماني في اليمن ١٧٨٢ م ـ ١٩١٨م .**

الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٩م .

(*) ابن حوقل ، أبي القاسم بن حوقل .

ـ **صورة الأرض** . بيروت ١٩٧٩م.

(*) ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي .

ـ **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد .**

الكويت ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون** ، القسم الأول .

القاهرة ، بدون تاريخ .

(*) ابن هاشم ، محمد ، **تاريخ الدولة الكثيرية جـ١** ، القاهرة ١٩٤٨م .

(*) أبو زهرة ، محمد .

تاريخ المذاهب الإسلامية ، الجزء الأول في السياسة والعقائد ، مكان الطبع : بدون، تاريخ الطبع : بدون .

(*) باشا ، محمد مختار .
ـ **التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين** . الافرنكية ، والقبطية .
القاهرة ١٣١١هـ ـ ١٨٩٤م .

(*) البحراوي ، محمد عبد اللطيف البحراوي .
ـ **فتح العثمانيين عدن «وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر»** ، القاهرة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

(*) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، توفي سنة ٤٢٩ .
ـ **الفرق بين الفرق** ، بيروت ، بدون تاريخ .

(*) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد اللّه .
ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** .
مكان الطبع : بدون ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م .

(*) الحبشي ، عبد اللّه محمد الحبشي .
حكام اليمن المؤلفون المجتهدون .
بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
الحداد ، محمد يحيى .
تاريخ اليمن السياسي ، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

(*) حسون ، علي .
ـ **تاريخ الدولة العثمانية** ، دمشق ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

(*) الحبيد ، عبد اللّه بن حامد .
ـ «سفارة الإمام المتوكل على اللّه إسماعيل بن القاسم» .
ـ **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية** ، العدد الثالث ، مكة المكرمة ، ١٣٩٧هـ/ ١٣٩٨هـ .
ـ «المطهر الجرموزي ومؤلفاته عن الدولة القاسمية» .
ـ **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، الجزء الثاني من الكتاب الأول ، الرياض ١٣٩٩هـ .

(*) زيد ، الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي .
ــ **مسند الإمام زيد** ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
(*) الزركلي ، خير الدين .
ــ **الأعلام** ، الجزء السابع ، الطبعة الخامسة بيروت ١٩٨٠م .
(*) سالم ، مصطفى .
ــ **الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨م - ١٦٣٥م** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٤م .
(*) السباعي ، أحمد .
ــ **تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران** .
الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة ، ١٣٨٢هـ.
(*) شرف الدين ، أحمد حسين .
ــ **اليمن عبر التاريخ** ، الطبعة الثالثة ، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(*) الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي توفي ٥٤٨هـ.
ــ **الملل والنحل** : القاهرة ١٩٧٧م.
(*) الشوكاني : محمد بن علي ، توفي ١٢٥٠هـ.
ــ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** .
الجزء الأول والثاني ، القاهرة بدون تاريخ .
(*) صبحي ، أحمد محمود .
الزيدية ، الجزء الأول ، المجلد الثاني في علم الكلام ، مكان الطبع : بدون ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(*) العرشي ، حسين بن أحمد .
ــ **بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام** . القاهرة ١٩٣٩م.
(*) العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى .
ــ **تاريخ المخلاف السليماني «أو الجنوب العربي في التاريخ »** .
الجزء الأول ، الرياض ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م .

(*) غيث ، فتحي .
- **الإسلام والحبشة عبر التاريخ** .
القاهرة ، بدون تاريخ .
(*) القلقشندي ، أبي العباس أحمد بن علي .
- **صبح الأعشى في صناعة الانشا** .
القاهرة ، بدون تاريخ .
(*) كحالة ، عمر رضا .
- **جغرافية شبه جزيرة العرب** .
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
(*) الويسي ، حسين بن علي .
- **اليمن الكبرى** ، القاهرة ١٩٦٢م .
(*) محمد ، أنعم غالب .
اليمن ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٦م .
(*) المحبي ، محمد أمين بن فضل اللّٰه بن محب الدين توفي سنة ١١١١هـ .
- **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة** .
الجزء الثالث . القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** .
الجزء الثاني ، بيروت ، بدون تاريخ .
(*) المحامي ، محمود كامل .
- **اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية** .
بيروت ١٩٦٨ .
(*) مداح ، أميرة علي وصفي .
- **العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن، ١٠٠٦هـ/ ١٠٢٩هـ** .
رسالة لنيل درجة الماجستير ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
(*) معلوف ، لويس .

ـ **المنجد** . الطبعة الثالثة والعشرون ، بيروت ، بدون تاريخ .

(*) المقحفي ، ابراهيم أحمد .

ـ معجم المدن والقبائل اليمنية ، الطبعة الأولى ، صنعاء ١٩٨٥ .

(*) نوار ، عبد العزيز سليمان .

ـ **تاريخ الشعوب الإسلامية ، الأتراك العثمانيون والفرس ومسلمو الهند** .
بيروت ١٩٧٣م .

(*) الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى .

ـ **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن** .
الطبعة الثالثة صنعاء ١٤٠٢هـ .

(*) وهبه ، حافظ .

ـ **جزيرة العرب في القرن العشرين** .
الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٣٨٧هـ . / ١٩٦٧م .

(*) يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي .

ـ **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** .
القسم الثاني ، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

(*) ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد اللّه .

ـ **معجم البلدان** .
الجزء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس ، بيروت بدون تاريخ .

AL- HIYED, A., RELATION BETWEEN THE YAMAN AND SOUTH ARABIA DURING THE ZAIDI IMAMATE OF AL- QASIM 1626-1732 THESIS PRESENTED FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY OF THE UNIVERSITY OF EDINBURGH JUNE. 1973.

الفهرس

لهذا فقد حرصت ان يكون بحثي شاملاً لكل جانب من جـوانب حكم الإمام وان تكون المعلومات موثقة ، وقد استمددت المعلومات من المصـادر التاريخية المعاصرة له . وكذلك المراجع المتأخرة والتي كتبت عنه بعد أعوام من وفاته . وقد حرصنا في هذا البحث على الالتزام بأسلوب النقد العلمي ، وتحليل بعض المعلومات ، والاستنتاج المبني على النصوص المعتمدة .

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد واربعة فصول وخاتمة ، وقـد تضمنت المقدمة كيفية اختيار الرسالة ، وتحليلاً لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الرسالة ، واهم الصعوبات التي واجهتني في كتابتها .

واحتوى التمهيد على دراسة جغرافية موجـزة عن بلاد اليمن ، ودراسـة تاريخية موجزة عن تاريخه منذ القدم ، ومن ثم إشارة موجزة عن الإمام القاسم المؤسس الأول لهذه الدولة الفتية ، ولم أطـل الحديث لأن زميلة قـد تناولتـه بالبحث والدراسة .

الدار السعودية للنشر والتوزيع